د. عبد الكريم الزبيدي

عَصرُ السُّفياني

دار الهادي

عَصرُ السُّفيانيْ

عصر السفياني

د. عبد الكريم الزبيدي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الكون بحكمته، وبرأ الخلائق برحمته، وجعل العدل أساساً لحكومته، ووعد أن يستخلف على الأرض عبداً من عباده، لإقامة العدل فيها بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً، والصلاة والسلام على نبيّه محمدﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين، وجعله خاتم النبيين والمرسلين، وجعل رسالته (الإسلام) خاتمة الرسالات، ووعده أن يُخرِج من ذريته رجلاً، اسمه كاسمه، وكنيته مثل كنيته، ولقبه المهدي، ليفي بوعده الذي قطعه على نفسه للمؤمنين، إذْ قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

لمّا أراد الله تعالىٰ أن يجعل في الأرض خليفة فقد شاء أن يُولَدَ على الأرض مجتمع إنساني. وحين وُلِدَ على الأرض أول مجتمع إنساني اقتضت رحمة الله الخالق أن يكون لهذا المجتمع نظام سُمِّيَ بالدين، ينظّم كل جوانب الحياة في المجتمع الإنساني، فيما يخصّ صلة الإنسان بخالقه، وبالكون، وبالإنسان، لكي تتحقق الغاية من خلق الإنسان، وهي الاستخلاف في الأرض، وإقامة العدل فيها.

ولمّا كان النظام أو ما سُمِّي بالدين صادراً من خالق الإنسان، وليس من

---

(١) سورة النور: الآية: ٥٥ .

الإنسان نفسه، فلا بدّ من وجود صلة بين المجتمع الإنساني وبين الله تعالى، وظيفتها تبليغ الدين أو النظام عن الله تعالى، ودعوة المجتمع إلى تطبيقه، وإنذار الخارجين عنه بالعقاب الإلٰهي، وتبشير المُطبّقين له برضا الله، والسعادة في الدنيا والآخرة. فكان الأنبياء الذين يختارهم الله من بين أفراد المجتمع هم الصلة بين الله والإنسان علىٰ الأرض، علىٰ مرّ العصور.

إن الوظيفة التي حملها الأنبياء عن الله تعالىٰ هي جمع الناس في كلِّ مجتمع من المجتمعات الإنسانية علىٰ توحيد الله، وتحكيم دينه ونظامه في جميع جوانب الحياة، لكي يتحقق مجتمع العدل الإلهي أينما وُجِدَ مجتمع إنساني علىٰ الأرض. إنَّ توحيد الله تعالى، وتحكيم دينه في الحياة، وإقامة مجتمع العدل الإلهي هو جوهر بعثة الأنبياء جميعاً.

وكان خاتم الأنبياء وأشرفهم هو رسول الله محمداً ﷺ، الذي اختاره ليكون الصلة الأخيرة بينه وبين الإنسان في كل مكان وزمان، وليبلّغ عنه ديناً كاملاً يحتوي علىٰ كل ما جاء به الأنبياء من قبله، من أسس وقواعد في تنظيم المجتمع الإنساني، ويُثبِّت قواعد تُسْتنبط بها تشريعات تنظم كافّة الشؤون الحياتية التي تستجدُّ في المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، لتحقيق مجتمع العدل الإلهي علىٰ الأرض.

إن الكتلة الشيطانية في كل مجتمع إنساني كانت تمتلك القوة والسطوة والسيطرة، فكانت تفرض إرادتها في المجتمع، وكانت تستعمل الظلم والطغيان وسفك الدماء لإشباع رغباتها التي لا تنتهي عند حدٍّ معيَن، وكان الأنبياء وأتباعهم هم المستضعفون المظلومون.

وكانت الكتلة الشيطانية في جزيرة العرب متمثّلة بالمشركين واليهود. وقد تصدّت هذه الكتلة للرسول محمد ﷺ ولأتباعه بكل أجهزة الصدّ التي منها التعذيب الجسدي، والقتل صبراً، والحرب الإعلامية، والحرب المسلحة. ولكن الله تعالىٰ نصر رسوله محمداً ﷺ، ومكنه من إقامة أول

مجتمع إسلامي في المدينة المنورة.

وحين مكّن الله رسوله محمداً ﷺ من إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة آثرت تلك الكتلة أن تُخفي حقيقتها الشيطانية بإعلانها الإسلام بلسانها دون الإيمان بقلبها، ثم عادت إلى الظهور بعد وفاة الرسول ﷺ، وخرجت إلى المجتمع بلباس الإسلام الذي أخفت تحته حقيقتها الشيطانية. وقد انضمّ إلى هذه الكتلة بعد وفاة الرسول ﷺ بعض المسلمين الذين كانوا يسعون دائماً للحصول على منافع شخصية بعيداً عن شرع الله ونظامه، ومَنْ ناصبوا العداء للقيادة الإلهية التي اختارها الله تعالى لقيادة التجربة الإسلامية بعد الرسول ﷺ لدوافع شخصية، ومنافع ماديّة، ومَنْ والوا أعداء الله، وأعداء رسوله وأهل بيته، لدوافع شخصية، ومنافع دنيوية. وقد سمّى القرآن الكريم هذه الكتلة بجميع أطرافها بـ(حزب الشيطان)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

وفي الجهة المقابلة قامت جماعة آمنت بالإسلام، والتزمت به في جميع شؤون حياتها، ووالت القيادة الإلهيّة، وتولّت أولياء الله، وتبرّأت من أعدائه، ولم تسعَ إلى الحصول على مصالح شخصيّة ومنافع مادية بعيداً عن شرع الله ونظامه. هذه الجماعة سمّاها القرآن الكريم بـ(حزب لله)، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ

---

(١) سورة المجادلة، الآيات: ١٤ ـ ١٩ .

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

إن حزب الشيطان في المجتمع الإسلامي استطاع أن يستولي على الحكم عن طريق المكر والخداع والدهاء، وحينَ امتلك قوة الحكم شنَّ حرباً قاسيةً على الجماعة التي عُرِفتْ بـ(حزب الله)، فأضحتْ هذه الجماعة هي الجماعة المظلومة والمقهورة والمضطهدة والمستضعفة. كما أن حزب الشيطان في المجتمعات غير الإسلامية، المتمثِّل بالطواغيت والمتجبرين هو الآخر امتلك أسباب القوة والحكم، فوقع ملايين البشر تحت سياط الظلم المسلَّط عليهم أزماناً طويلة، وما زلنا نشاهد في هذا العالم ملايين المظلومين والمستضعفين والمحرومين والجياع، وهم يستغيثون تحت أقدام الظالمين، وهي تسحقهم وتكتم أصواتهم.

وبهذا العرض يتبيّن لنا أن الأنبياء جميعاً، من نبيّ الله آدم أبي البشر، إلى نبينا رسول الله محمدﷺ لم يتمكنوا من إقامة مجتمع العدل الإلٰهي في الأرض كلها، بسبب وجود الكتلة الشيطانية في المجتمعات الإنسانية، سوى ومضات سريعة في زمن بعض الأنبياء، وفي مساحات محدودة من الأرض.

إن عدالة الله تعالىٰ تقتضي أن ينتصر الله للمظلومين والمستضعفين الذين ثبتوا على دينه وشريعته، على الرغم من الظلم الواقع عليهم، وأن ينصفهم بجعلهم أئمةً وقادةً في الأرض، وأن يمكنهم من إقامة حكم الله وشرعه في الأرض كلها، من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، لكي ينعم الناس كلهم بسعادة العدل في مجتمع العدل الإلٰهي، قال تعالىٰ: و﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2]، وقال تعالىٰ: و﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة المجادلة: الآية: ٢٢ .

(٢) سورة القصص: الآية: ٥ .

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٥ .

كما اقتضت إرادة الله تعالىٰ أن يكون لهؤلاء الذين يمكنهم الله من إقامة مجتمع العدل الإلٰهي قائد إلهي يمتلك القدرات التي تؤهله لاجتثاث الظلم والظالمين من الأرض، وإقامة ملكوت الله في الأرض كلها، لينعم الناس جميعاً بالعدل والأمان والتحرر من تحكم الطواغيت بهم.

إن هذا الشخص القائد الذي أُطلقَ عليه في الدين الإسلامي لقب (المهدي)، قد أخبر الله به أنبياءه جميعاً، وبشّرهم أن الظلم في الأرض كلها سيزول علىٰ يديه. إن المهدي هو الوعد الإلهي للأنبياء والمرسلين والصالحين في الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وهو يمثّل جوهر بعثة الأنبياء في إقامة مجتمع العدل الإلهي الذي لم يتمكن الأنبياء من إقامته في الأرض كلها، ولهذا كان كل نبيّ يُبشّر به بأمر الله تعالى، ويخبر الناس في عصره بشيءٍ من صفاته، وأحواله، والعلامات والأحداث التي تسبق ظهوره، ولهذا نجد فكرة المهدي عند كل أمة، وفي كل دين سماوي، أو عقيدة أصولها من دين سماوي، لأن فكرة المهدي وحي الله إلى أنبيائه، ووعده الذي لا يخلفه لهم.

وحين جاء عصر الإسلام، وأرسل الله رسوله محمداً بدين الإسلام إلى الناس جميعاً، تجلّت للناس صورة المهدي أكثر، عن طريق وحي الله لنبيه محمد، فأخبره أن المهدي من ذريته وعترته. قال رسول الله ﷺ: «**ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء من سلطانهم لم يُسْمَع بلاء أشدّ منه، حتى تضيق عليهم الأرض الرحبة، وحتى تُملأ جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عزَّ وجلَّ رجلاً من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً**»[1]. وقال ﷺ: «**والذي بعثني بشيراً ونذيراً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطَوَّلَ الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى ابن مريم، فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور**

---

(١) المهدي الموعود المنتظر، الشيخ نجم الدين العسكري: ١ ـ ٥٨ .

ربها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع الذين بشّروا بالمهدي من الأنبياء وأتباعهم وتلامذتهم كانوا يستعملون الرمزية في وصف المهدي وعلاماته وأحواله، وما يحصل من الأحداث قبل ظهوره، وذلك إيغالاً في التعمية علىٰ الظالمين والطواغيت، لئلاّ يتعرّفوا إلى هذا الشخص، ويعيّنوه، ثم يقتلوه. ولهذا نجد في أقوال الأنبياء السابقين، وأحاديث الرسول محمدﷺ عن المهدي رموزاً تحتاج إلى فتح مغاليقها من قبل علماء المسلمين العارفين الواعين، لكي يبعثوا الأمل والحياة في هذه الأمة المهزومة المخذولة، ويزفوا إليها البشارة بأن أملهم المهدي آتٍ، يأخذ بالثأر ويلمُّ الشتاتِ، يقيم دولة الحقّ، ويحيي الدين بعد الممات، وينشدوا لهم أبيات دعبل الخزاعي في المهدي :

يُـمـيّـزُ فـيـنـا كـلَّ حـقٍّ وبـاطـلٍ ويُجزي علىٰ النَّعماء والنَّقماتِ
فيا نَفسُ طيبي ثم يا نفس ابشري فـغـيـرُ بـعـيـد كـلُّ مـا هـو آتِ

وإن من أكبر العلامات التي تسبق ظهور المهدي بوقتٍ قليل هي ظهور (السُّفياني)، وهي علامة حتميّة لا بدّ من حدوثها، لكي يظهر المهدي، فلا مهديَّ بغير سفيانيّ، فمن هو السفياني؟ وهل هو موجود علىٰ مسرح الأحداث التي تجري في العالم في الوقت الحاضر؟

هذا ما سأحاول دراسته في هذا البحث، دون أن أغفل القضيَّة الرمزيَّة التي وردت في الأحاديث والأقوال في أمر السُّفياني، سائلاً الله تعالىٰ أن يأخذ بيدي إلى طريق الحق والصواب، وأن يلهمني علماً أستطيع به فكَّ مغاليق الرموز الواردة في هذا الأمر، فمنه التوفيق والسداد، وهو وليي وغايتي.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٦ .

الباب الأول

مَنْ هو السُّفْيانِيّ؟

الباب الأوّل

مَنْ هُوَ السُّفْياني؟

يشتمل هذا الباب علىٰ فصلَيْنِ :

الفصل الأوَّل: حقيقةُ السُّفياني

الفصل الثَّاني: السُّفياني في التُّراث الدِّيني

الفصل الأول
حقيقة السُفياني

أخبر رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرون من عترته أنّ حدث السفياني الذي يخرج قُبيل ظهور المهدي هو المحور والمركز لجميع الأحداث الأخرى، وأن خروجه من الوعد الإلهي المحتوم. ففي الحديث المروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلاّ بسفياني[1]. فما حقيقة السفياني؟

السفياني منسوب إلى (سُفيان) أو إلى (أبي سُفيان)، فالنسبة إلى كليهما (سُفياني). وترجح الأحاديث التي بين أيدينا نسبته إلى أبي سفيان، فأكثر الأحاديث التي ذكرت السفياني أشارت إلى أنه من وُلدِ أبي سفيان، من نسل أُميَّة[2]، كما أشارت بعض الروايات إلى اسمه، غير أننا لا نهتم باسمه، لأنه ليس اسماً حقيقيًا للسفياني، إنما هو رمز إلى الانتماء إلى خطٍّ معيّنٍ، وموقف هذا الانتماء من الإسلام الأصيل الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ.

إن من الحقائق التي يُسلم بها المسلمون أن الإسلام بدأ ببعثة النبيّ محمد ﷺ، وأن الجهة التي انتهجت خطًّا واضحاً معلوماً من الإسلام الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ، منذ أول يوم صدع به رسول الله ﷺ بالدين الجديد هي أبو سفيان بن حرب بن أمية، زعيم قريش في مكة، وأن أبا

---

(١) بحار الأنوار: ٥٣ ـ ١٨٢.

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٧٩، وبحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٠٥.

سفيان قد عمل منذ ذلك اليوم بكلِّ ما يملك من قوَّةٍ ومالٍ وزعامة في قريش علىٰ القضاء علىٰ الدين الجديد، وإعادة الهيبة والزعامة لقريش، وأنه سعى ـ بعد دخوله في الإسلام ـ إلى إعادة هيبة قريش وجبروتها وزعامتها لقبائل العرب، في دولة يحكمها بنو أمية. فمَن ينتسب إليه، وينتمي إلى هذا الخطِّ، ويقوم بعمل متميّز لتحقيق حلم أبي سفيان في إقامة دولة سفيانية تعيد لقريش سطوتها وجبروتها وهيبتها التي أماتها الإسلام فهو سفيانيّ، والدولة التي يؤسسها هي دولة سفيانية.

ومن الحقائق التي يُسلّم بها المسلمون أن الإسلام سوف يعمّ الأرض كلها في آخر الزمن، بظهور رجل من ذرية رسول الله ﷺ، لقبه (المهدي)، واسمه كاسم رسول الله ﷺ وكنيته مثل كنيته، ليتحقق قول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1]، وأنَّ جهةً تقوم في آخر الزمن، في العصر الذي يظهر فيه (المهدي)، هذه الجهة تتزعَّمُ حملةً حاقدةً عنيفةً علىٰ الإسلام، وتشنُّ حرباً شعواءً علىٰ المسلمين، وتتصدّى للمهدي وقت ظهوره، وتقود العالم في هجمة رهيبة، لسدّ جميع السبل والمنافذ أمام ظهوره لإقامة دولة الإسلام العالمية في الأرض كلها، وتبثّ الجند والرصد في كل مكان لمعرفة مكان وجوده، لقتله أو القبض عليه، ثم تقاتله قتالاً شديداً حين يظهر، كما فعل البيت السفياني بنبيّ الإسلام والمسلمين في مكة حين ظهور الإسلام، وفي المدينة المنورة بعد هجرة نبي الإسلام والمسلمين إليها. هذه الجهة هي سفيانيّ أيضاً، لأنها تنتمي إلى خط أبي سفيان، وتسير في نفس طريقه وإنْ لم تنتمِ إليه في النَّسب. وهي التي أشارت إليها أحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحابته، وعينت زمان خروجها بأنه يكون قبيل ظهور المهدي.

خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام علىٰ منبر الكوفة، فذكر

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٣٣، وسورة الفتح: الآية: ٢٨ .

قتل الحسين عليه السلام وقتل زيد بن عليّ عليه السلام، وإحراقه وتذريته في الرياح، ثم بكى عليه السلام، وذكر زوال ملك بني أميّة، وملك بني العباس، ثم ذكر ما يحدث من الفتن، فقال: أولها السفياني، وآخرها السفياني!![1]. إن السفياني جهتان اثنتان، كما أخبر الإمام علي عليه السلام، السفياني الأول، والسفياني الآخِر، ولكي نعرف السفياني الآخِر، لابدّ من تسليط الضوء على السفياني الأول.

السُفياني الأول

كانت قريش في الجاهلية تمثل القوة المركزية لقبائل العرب في الجزيرة العربية، وكانت جميع قبائل العرب تهابها وتخشاها وتأتمر بأمرها، وكانت قوة قريش ناشئة بسبب موقعها الديني، باعتبارها سادنة البيت الحرام وراعيته، وبسبب قوتها الاقتصادية الناشئة عن احتكارها التجارة العالمية لصالحها، فقد كانت التجارة مع اليمن والشام بيد قريش، ولا ينازعها في ذلك أحد من القبائل العربية الأخرى، كما أن سطوتها ناشئة من قوة شكيمة فرسانها المشهورين بالشجاعة والإقدام.

وقد كانت قريش تتألف من عدّة قبائل عربية، استوطنت مكة وما جاورها من أرض الحجاز، وكانت تلك القبائل ترتبط فيما بينها بأحلاف ومعاهدات، كما هو الحال في الولايات أو الدول التي ترتبط فيما بينها بأحلاف ومعاهدات، لتكوِّن كتلة واحدة، أو دولة فيدرالية في عصرنا الحاضر. وكانت قريش بمجموع قبائلها تمثل الجبروت والقوة المهيمنة في الجزيرة العربية، كما تمثل الإمبراطورية الفارسية في عصرها، أو الرومانية في عصرها، الجبروت والقوة المهيمنة في العالم.

ولما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وآله برسالة الإسلام إلى قريش خاصة، وإلى

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٣٢١ ،نقلاً عن الملاحم والفتن: ٢ ـ ٩٧ .

الناس عامّة، أدركت قريش أن قوتها وجبروتها وهيمنتها علىٰ قبائل العرب، ومصالحها التجارية والاقتصادية، وموقعها الديني، كل ذلك أصبح في خطر، وأصبح مهدداً بالزوال والانتهاء، فوقفت بكل ما تملك من قوة في وجه رسول الله ﷺ، ودعوته المباركة، واستعملت جميع الأسلحة للقضاء عليه وعلى دعوته، ومنها سلاح الاغتيال. وكان أبو سفيان بن حرب بن أميَّة، أحد زعماء قريش قد قاد قريش بحزم للتصدّي بشدة لمحمد ﷺ، ودعوته المباركة، كما قاد قريش في عدة معاركَ لقتال رسول الله والمسلمين بعد هجرة الرسول إلى المدينة المنورة، ولكن الله تعالىٰ حمى رسوله الكريم، ونصره علىٰ قريش، ومكّنه من تأسيس أول مجتمع إسلامي في المدينة المنورة.

إن أبا سفيان لم يستسلم للأمر الواقع بعد انتصار الرسول ﷺ والمسلمين في معركة بدر، بل شرع يعمل علىٰ إعادة الهيبة والقوة لقريش، فاستطاع أن يجهّز جيشاً كبيراً للقضاء علىٰ رسول الله والإسلام، ودارت معركة أُحُد التي انتصر فيها أبو سفيان وجيشه انتصاراً مؤقتاً، ولكنهم لم يحققوا إرَبَهم في قتل محمد ﷺ والقضاء علىٰ الإسلام، فعادوا إلى مكة خائبين. فهل اكتفى أبو سفيان بما حصل في معركة أُحُد، واستسلم للأمر الواقع؟

الحق أن أبا سفيان كان يمثل الشر المتجسد في الشيطان في ذلك العصر، فلم يستسلم للأمر الواقع، بل أصرّ علىٰ العمل للقضاء علىٰ الإسلام ونبيّه الأعظم ﷺ، وإعادة هيمنة قريش وجبروتها إلى سابق عهدها، فأنشأ يخطط لتحقيق هذا الهدف، فعقد حلفاً مع اليهود الذين كانوا يمثلون ديانة سماوية كبيرة في المدينة المنورة، وكان أحبار اليهود في ذلك العصر بمنزلة الأنبياء لليهود. وكان المسلمون ينظرون إليهم علىٰ هذا الأساس، ولذلك عاهدهم رسول الله ﷺ والمسلمون علىٰ أن يبقوا علىٰ دينهم، بشرط أن لا يتعرّضوا للمسلمين بسوءٍ، ولا يحاربوهم، ولا يدخلوا في حلف مع عدوهم، ولكن أحبار اليهود كانوا كذبة وخونة، لأنهم استجابوا لدعوة أبي سفيان،

وتحالفوا معه علىٰ حرب المسلمين، والقضاء عليهم قضاءً مبرماً. ولم يكتفِ أبو سفيان بتحالفه مع اليهود، لتنفيذ خطته، بل تحالف مع القبائل العربية المشركة في الجزيرة العربية، كقبائل غَطَفان وغيرها.

وجاء الحلفاء (الأحزاب) إلى المدينة المنورة، وأحاطوا بها من كلِّ مكانٍ، وحاصروها حصاراً شديداً، وكادوا يصلون إلى تحقيق هدفهم الكبير في القضاء علىٰ الإسلام ونبيّه الكريم، ولكن الله ردّ كيدهم إلى نحورهم، وسبّب الأسباب إلى دحرهم وهزيمتهم، وجلائهم عن المدينة المنورة دون تحقيق هدفهم. وبعد هزيمة الأحزاب أُسقط في يد أبي سفيان، ولم يَعُد في يديه قوة ولا حيلة. فهل توقّف عن المحاولة لإعادة هيبة قريش وقوتها التي أسقطها الإسلام؟ وهل توقف عن الكيد للإسلام والمسلمين؟

إن أبا سفيان لم يستسلم، بل انتهج خطاً جديداً، للوصول إلى هدفه الذي نذر نفسه من أجل تحقيقه. خطته الجديدة هي الدخول في الإسلام، ثم العمل من داخله علىٰ تحقيق هدفه، لأنه أدرك أن الإسلام أصبح ديناً قوياً، ودخلت فيه أكثر قبائل العرب، وأن القضاء عليه صار أمراً مستحيلاً، ولكن أبا سفيان أدرك في الوقت نفسه أن إعادة هيبة قريش (القبيلة) وقوتها علىٰ أساس قبلي أمر أصبح بعيد المنال. أمَّا أنْ تعود قريش في دولة أموية، تحمل اسم الإسلام فهو أمر ممكن، فطفق يعمل في هذا الخط الجديد لتحقيق هذا الهدف.

وقد وجد أبو سفيان الفرصة التي انتظرها طويلاً، وهذه الفرصة تمثَّلت في وفاة رسول الله ﷺ، واختلاف المسلمين في سقيفة بني ساعدة علىٰ الشخص الذي يخلف رسول الله في قيادة الدولة الإسلامية، ثمَّ اختيار أبي بكر الذي ينتمي إلى قريش خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ. وفي هذا الوقت جمع أبو سفيان بني أُميّة، وخاطبهم بقوله: تلاقفوها يا بني أُميّة تلاقف الكرة ، وهو يعني السلطة والدولة، وفي هذا الاجتماع جعل ولده معاوية زعيماً عليهم، وقلّده وظيفة العمل لتحقيق الوصول إلى هذا الهدف.

ومن ذلك الوقت أخذ معاوية بن أبي سفيان يعمل مع بني أمية على إعادة قوة قريش في دولة أموية بقيادته. وكان الناس في عصره يظنون أن هيبة قريش القائمة على التسلط والجبروت وإرهاب الآخرين كانت قد ماتت.

واستطاع بنو أُمية التأثير على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالموافقة على تعيين معاوية بن أبي سفيان والياً على بلاد الشام، بعد أن فتحها المسلمون. وقد وافق عمر على ذلك، فأصبح معاوية والياً على بلاد الشام، مكان أخيه يزيد بن معاوية الذي توفي في بلاد الشام.

وحين تولّى الخلافة عثمان بن عفان الذي ينتسب إلى بني أميّة سنة ٢٤هـ أقرَّ معاوية على ولاية الشام، وقرّب إليه الأمويين، وجعلهم في مناصب مهمة في الدولة الإسلامية، وأطلق أيديهم في التصرّف بأموال هذه الدولة. وكان من الذين قرّبهم إليه الحكم بن العاص الذي طرده رسول الله ﷺ، وأهدر دمه، وابنه مروان بن الحكم. وكان منهم أيضاً عبد الله بن سعد بن أبي سرح، الذي طرده رسول الله ﷺ، وأهدر دمه. وقد أغدق عثمان عليهم أموالاً كثيرة. ويذكر اليعقوبي أن غنائم المسلمين في فتح إفريقية سنة ٢٧ هـ بلغت ألفي ألف دينار، وخمسمائة ألف دينار، وعشرين ألف دينار، فأمر عثمان لمروان بن الحكم بخُمس هذا المال[١].

وحدّث أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن يسار، قال: رأيتُ عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة، إذا أمسى آتاها عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن العاص.

وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة، جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل[٢] يدافعه[٣]، ويقول له: يكون فنعطيك إن شاء الله... فجاء

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ ـ ٦٠ .

(٢) الضمير في (جعل) عائد إلى عامل صدقات المسلمين .

(٣) الهاء في (يدافعه) عائد إلى الحكم بن العاص .

بالمفتاح يوم الجمعة، وعثمان يخطب، فقال: أيها الناس زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت خازناً للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها، فأخذها عثمان[1].

وكان أبو سفيان من مستشاري عثمان، وكان له دور كبير في حمل عثمان على تقريب بني أمية، ووضعهم في مناصب مهمة في الدولة الإسلامية، وخاصة منصب الوالي أو الحاكم على البلدان التي فتحها المسلمون. وكان أبو سفيان يمهّد بذلك لإقامة دولة بني أميّة بعد خلافة عثمان. ذكر اليعقوبي أن عثمان كتب إلى معاوية أثناء مدة حصاره في داره، يستنجد به، فجاء معاوية باثني عشر ألف مقاتل، ولكنه وضعهم على حدود المدينة المنورة، وجاء وحده إلى عثمان، فسأله عثمان: لماذا لم تأتِ بالجند؟ فقال: قد قدمت لأعرف رأيك، وأعود إليهم، فأجيئك بهم، فقال عثمان: لا والله، ولكنك أردت أن أُقْتَلَ، فتقول: أنا وليُّ الثأر[2].

لقد كان معاوية يعمل بجدٍّ من خلال كونه والياً على الشام على تحقيق الهدف السُّفياني، وهو إقامة دولة أموية تعيد لقريش هيبتها وأمجادها التي سحقها الإسلام، وتنفض التراب عن عزها الذي أقبره الإسلام، وتحيي جبروتها وسلطانها الذي كانت عليه في الجاهلية. وأمكن التعرّف إلى أهم خطوات هذا العمل، وهي :

١ ـ الظهور بلباس الدين، واتخاذه وسيلة لتحقيق الهدف السفياني، فكان يعمل على تأسيس بناء فكري عند أهل الشام، قائم على فكرة أن بني أميّة هم الذين يمثلون الإسلام، وأن إرادة الله قضت أن يكونوا هم خلفاء الله الذين يقودون الدولة الإسلامية.

٢ ـ العمل على تربية أهل الشام على الطاعة العمياء، والانقياد للحاكم

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١ ـ ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه: ١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ .

الأموي، وتنفيذ إرادته دون نقاش أو اعتراض.

٣ ـ العمل علىٰ بناء جيش قوي منضبط مدرّب مسلّح بكلّ الأسلحة التي كانت متوفرة في ذلك العصر.

٤ ـ التحالف مع مروان بن الحكم وعمرو بن العاص اللذين عُرِفا بالمكر والدهاء، لإقامة الدولة الأموية، وكان يلتزم بما يرسمان له من خطط ولا يخالفهما.

٥ ـ الاستعانة بأهل الكتاب في بناء دولة علىٰ طريقة الإمبراطورية الرومية[١].

وحين بايع الناس عليًّا عليه السلام بالخلافة بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) وقف معاوية في وجه عليّ، وشنَّ عليه حرباً شعواء بكل الأسلحة التي كان منها السلاح الفكري. وسُفِكت بسبب هذه الحرب دماء غزيرة، ثم كانت خاتمة هذه الحرب اغتيال عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم اغتيال نجله الحسن بن عليّ عليه السلام، فأصبح الطريق بذلك ممهّداً أمام معاوية لتحقيق الهدف السفياني في إقامة الدولة الأموية.

ولما كان مؤسس هذه الدولة هو معاوية بن أبي سفيان، وهو الذي حقق الهدف السفياني بإقامة هذه الدولة، فيمكن القول بأن هذه الدولة التي أسسها معاوية بن أبي سفيان هي أوّل دولةٍ سُفيانية.

وقد اتخذت هذه الدولة الإسلام ديناً رسميًّا لها، ولكن ملوك بني أمية اتَّخذوه خادماً لمصالحهم، فكانوا يرجعون إليه إذا اقتضت مصالحهم، ويجعلونه وراء ظهورهم إذا انتفت الحاجة إليه.

إن الدولة السُّفيانية الأولى كان لها سياسة متميّزة عُرِفت بها، وأهمّ ملامح وصفات هذه السياسة ما يلي :

---

(١) المصدر نفسه: ١ ـ ١٤٢ .

١ ـ اتّخاذ مستشارين يتميّزون بعقليات شيطانية في المكر والدهاء، ولهم قدرات عالية في وضع السياسات والخطط الاستراتيجية، والتكتيكية، ومواجهة الأحداث بالمكر والدهاء، سواء كانوا مسلمين، أمثال مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، أو من أهل الكتاب. وكان لهم الأثر الكبير في إقامة الدولة الأموية. ويمكن القول إن الدولة الأموية قامت بجهد معاوية، وعقول هؤلاء المستشارين.

٢ ـ إيجاد بدائل شرعية عن مصادر الإسلام الأصيل، وقد سخّرت أجهزة الحكم في الدولة كل وسائل التثقيف والإعلام لتكريس هذه الظاهرة.

٣ ـ إضفاء ثوب الشرعية الدينية علىٰ حكومة بني أميّة، وقد سخّرت هذه الحكومة لتحقيق ذلك وعاظ السلاطين وفقهاءهم والرواة والمحدّثين الذين آثروا الحياة الدنيا علىٰ الآخرة.

٤ ـ استخدمت الدولة السُّفيانية تخويف الناس بالحرب وقطع الأرزاق، وترغيبهم بالجنة الأرضية التي تنتظرهم إذا سلموا القيادة إليها. واستعملت لتحقيق ذلك الخداع والتضليل الديني في إظهار نفسها قائداً حريصاً علىٰ دين الله وتطبيق أحكامه.

٥ ـ ضرب القاعدة التي توالي عليًّا والحسن وشيعتهما. واتبعت الدولة السفيانية في التعامل مع معارضيها سياسة وُصِفت بقتل أي معارض للحكم الأموي، وتغييب أي متصدٍّ للانحراف عن خط الإسلام الأصيل، وإسكات صوت أي منكر للظلم.

٦ ـ تفتيت وحدة الأمة الإسلامية، بإحياء القومية التي أماتها الإسلام. فقد جعل معاوية للعرب امتيازات خاصة علىٰ غيرهم من القوميات الأخرى، وفضَّلهم في العطاء، وجعلهم سادة، وغيرهم العبيد، وفرّق بين القرشي وغير القرشي من العرب في العطاء والامتيازات، وشجع علىٰ ظهور الفرق الإسلامية، وصولاً إلى تفتيت وحدة الأمَّة، ليسهل عليه بعد ذلك قيادتها.

٧ ـ نشر الفساد الأخلاقي باتباع أسلوب الإغراء بالمتع واللهو والغناء وشرب الخمور، وخاصة بين جيل الحجاز وجيل العراق، بقصد إلغاء المناعة الأخلاقية. وقد ظهرت بالفعل بين هذين الجيلين أخلاق الترف والمجون.

٨ ـ إظهار جبروت بني أميّة في دولتهم الجديدة، وفرض هيبتهم وسطوتهم علىٰ قبائل العرب كلها، داخل الجزيرة العربية وخارجها.

٩ ـ إذلال الأمة باستعمال كل فنون الإذلال، وبسبب ذلك صار المجتمع الإسلامي في عصر الدولة السُّفيانية غير قادر علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعلان البراءة من أعداء الله، والجهاد في سبيل الله، وأصبح أيضاً غير قادر علىٰ الثورة علىٰ الحاكم المستبد الظالم، وغير قادر علىٰ نصرة المظلومين وإغاثة الملهوفين، لأن هذه الدولة قد أفقدته عزته وكرامته وإرادته، وأماتت ضميره بشتّى فنون الإذلال.

والحق أنَّ معاوية قام بعمل متميّز في الخط السفياني، وهو أنه أحيى مجد قريش وهيبتها وسطوتها وجبروتها، في شكل دولة منظمة حديثة، يتعاقب علىٰ رئاستها ملوك بني أمية، وليس في شكل سطوة القبيلة القوية المتجبرة.

إن الدولة التي أقامها الخط السفياني بقيادة معاوية بن أبي سفيان بإسناد مستشاريه، ومعاونة أهل الكتاب تُعَدُّ السفياني الأول. والدولة التي تأتي في الزمن الذي يأتي فيه حفيد رسول الله (المهدي)، وتلتقي في الأهداف والأعمال مع السُّفياني الأوَّل، وتسير في نفس الخط، وتقوم بعمل متميّز يؤدي إلى إقامة قوة أو إمبراطورية بطريقة تشبه طريقة قيام الدولة السفيانية الأولى، تُعَدُّ السُّفياني الآخر، وإن لم يكن مؤسسها من نسل أبي سفيان.

وإذا عرفنا السفياني الأول، فمن هو السفياني الآخِر؟

السُفياني الآخِر

هو الذي يظهر قُبيل الإمام المهدي عليه السلام، ويكون حدث ظهوره علامة كبرى لظهور المهدي، ويستمرّ حدث ظهوره حتى تكون المواجهة الحاسمة بينه وبين الإمام المهدي عليه السلام. وهو المقصود في الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة من آله، وأصحابه، فمن هو؟

استولى الرومان سنة ٦٣ ق. م على الأرض المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وأسسوا إمبراطورية عظيمة سُمِّيت بالإمبراطورية الرومانية، وامتدت من إسبانيا إلى بلاد الشام. وكانت هذه الإمبراطورية يحكمها قانون واحد وحكومة واحدة، وتتمتع بقوة عسكرية جبارة، قادرة على حفظ أمنها وسلامتها في طول الأرض وعرضها.

وقد اتَّصفت هذه الإمبراطورية بالوحشية في سحق خصومها، بسبب ما تملكه من قوة عسكرية عظيمة، مؤلفة من جيوش جرارة، وآلة عسكرية مدمرة. وكانت رحاها تطحن كل من يقف في طريقها، أو يخاصمها، أو ينصب لها العداء. وكانت تسحق بأسنانها الحديدية كلَّ قوة تنافسها على الأرض، فلم يسلم من شرها وعدوانها الدول والقبائل والتجمعات البشرية. وكانت وثنية تدين للشيطان، وليس لله رب العالمين.

وحين أرسل الله تعالى رسوله عيسى ابن مريم، وقفت هذه الإمبراطورية من نبي الله موقفاً شديداً، لأنها أدركت أن هذا الدين الجديد يشكل خطراً على هيبتها وسطوتها وجبروتها وسلطانها في الأرض، فحاربته، وحاربت أتباعه حرباً لا هوادة فيها، وصدّت الناس عن دينه، ثم تجرّأت على الله

تعالىٰ بقتل نبيه، ولكن الله نجّاه من كيد الشيطان، ورفعه إليه حيًّا، وألقى صورته علىٰ الشخص الذي أرشد جند القيصر إليه، فقُتِل ذلك الشخص، وظن الرومان أنهم قتلوا نبيّ الله عيسى ابن مريم. ثم تلا ذلك موقف الرومان من تلاميذ عيسى وأتباعهم، فأودعوهم السجون، وعذبوهم أشدّ ألوان العذاب، ولكن الله تعالىٰ أراد لدينه الذي أرسل به عيسىعليه السلام أن يبقى، وأن ينتشر، حتى شمل الإمبراطورية الرومانية نفسها.

انقسمت تلك الإمبراطورية إلى قسمين: إمبراطورية شرقية كانت عاصمتها القسطنطينية، وإمبراطورية غربية كانت عاصمتها روما. وقد توسعت الإمبراطورية الغربية حتى شملت كل أوربا. وبعد أكثر من ٥٠٠ سنة من قوة إمبراطورية روما وسطوتها وغطرستها بدأ نظامها السياسي والعسكري والاقتصادي بالانحلال، وبدأ الضعف يدبُ في جسدها، وبدأت تدريجياً تفقد القدرة علىٰ كافة مناطق الإمبراطورية الشاسعة. ومنذ سنة ٤٧٦ م بدأت تتعرض لهجمات مستمرة من قبائل البربر التي لم تترك شيئاً من حضارة هذه الإمبراطورية إلاّ دمرته. وكانت نتيجة هجمات تلك القبائل أن تقطّعت أوصال إمبراطورية روما، ودُمِّر أكثرها، وانقسم ما تبقّى منها إلى قبائل متحاربة. وبذلك تفكّكت الإمبراطورية إلى دويلات صغيرة، اختفت وراء غيوم العصور المظلمة، ودخلت أوربا في ليلٍ طويلٍ من التخلّف. وقضى المسلمون علىٰ ما بقي من الإمبراطورية الرومانية في بلاد الشام والإسكندرية وشمال إفريقيا، ثم سقطت إمبراطورية القسطنطينية بعد أن فتح الخليفة العثماني محمد الفاتح عاصمتها، وحوّلها إلى مدينة إسلامية.

إن انقسام إمبراطورية روما إلى قبائل متحاربة وكيانات صغيرة أدّى إلى تعميق الإحساس القومي لدى تلك القبائل، فنشأت دول عديدة داخل أوربا، أخذ كلّ منها يبني لنفسه كياناً مستقلاً، وبعد عدّة قرون صار لكل كيان اسم دولة، وحدود معترف بها من قبل الآخرين، ونظام سياسي خاص بها. وما نشاهده الآن

من دول مستقلة في أوربا هي بقية تلك الإمبراطورية الرومانية المندثرة.

وعلى الرغم من ذلك كله فقد حصلت محاولات متعدّدة من قبل بعض القادة الأوربيين لإعادة الحياة إلى إمبراطورية روما، وإحياء مجدها الغابر، وكان من هؤلاء أباطرة وساسة وبابوات. ففي سنة ٨٠٠ م حاول شارلمان توحيد أوربا تحت قيادة روما الدينية، ولكنه فشل في ذلك. وتوالت المحاولات من قبل فريدريك باربروسا، ونابليون بونابرت، ولكن الدول الأوربية قاومت هذه المحاولات بشدة.

وبعد انتهاء عصر نابليون انعقد مؤتمر فينّا سنة ١٨١٤ م، وأعقبه إنشاء حلف مقدّس ضمّ بريطانيا وروسيا والإمبراطورية النمساوية الهنكارية، ومملكة بروسيا. وقد برزت بريطانيا في هذا الحلف قوة رئيسة فاعلة، بعدما تراجعت بقية أطراف الحلف. واستطاعت بريطانيا أن تمسك بزمام قيادة العالم في القرن التاسع عشر، وتقود الثورة الصناعية الأولى، وتسيطر على سبل التجارة العالمية وأدواتها. وصار الأسطول البريطاني يتحكم في منافذ البحار ومسالكها ومضائقها. ويمكن القول إن ملامح نظام عالمي جديد أوشكت بريطانيا أن تقيمه في العالم بقيادتها.

وحاولت ألمانيا بقيادة هتلر، وإيطاليا بقيادة موسوليني الذي تحالف مع هتلر أن يقيما نظاماً عالمياً جديداً وأن ينتزعا المحاولة من بريطانيا، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حال دون ذلك، وخرجت بريطانيا من هذه الحرب منهكة عسكريًا واقتصاديًا.

وخرجت الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الحرب دولة قوية، ثم أصبحت بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ مركزاً للثورة الصناعية الثانية. وانطلق المارد الأمريكي ليأخذ بزمام المبادرة لإقامة نظام عالمي جديد، وحاولت بريطانيا وفرنسا وروسيا أن تعطي الأمم المتحدة صلاحية إقامة نظام عالمي جديد، ولكن حقيقة القوة التي امتلكها المارد الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية

فرضت واقعاً جديداً حال دون نجاح الأمم المتحدة في إقامة نظام عالمي جديد، ولذلك تسلمت الولايات المتحدة الأمريكية فعليًا زمام المبادرة لإقامة نظام عالمي جديد يفرض على العالم قيادة الدولة الواحدة، والقوة المتغطرسة، والهيمنة المتجبّرة على مصادر الطاقة، وسبل التجارة والاقتصاد، وذلك بما تملكه الولايات المتحدة من قوة عسكرية وسياسية واقتصادية. فمن حيث القوة العسكرية برزت القوة العسكرية النووية الأمريكية قوة رئيسة، وأصبحت الحارس القوي على أمن النظام العالمي الجديد، بدلاً من الأسطول البريطاني، وأصبحت القواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة في أنحاء العالم هي التي ترسم وتوجّه سياسات دول العالم. ومن حيث القوة الاقتصادية، فقد برز الاقتصاد الأمريكي عملاقاً لا ينافس، واستطاع أن يطبع الأسواق العالمية بختمه الخاص الذي لا يستطيع أحد أن يتجاوزه دون أن يأخذ تخويلاً من الإدارة الأمريكية، وحلّ الدولار الأمريكي محلّ الجنيه الإسترليني في تعاملات الأسواق. ومن حيث القوة السياسية، فإن المؤسسات السياسية الأمريكية في البيت الأبيض والكونجرس والخارجية تتمتع بكفاءة عالية لم تبلغ كفاءتها أيّة دولة في العالم.

أما من الناحية الدينية، ففي الوقت الذي كان الإيمان الديني في نفوس الأوربيين يؤشر إلى العدِّ العكسي نحو الأسفل، كان الإيمان الديني في نفوس الأمريكيين يؤشر إلى العدِّ المتصاعد نحو الأعلى. ففي عام ١٩٩٠ م أجرت مؤسسة (غالوب) استطلاعاً واسعاً للرأي العام شمل حوالي ٦٠ دولة، وكان موضوعه الدين ـ وكانت هذه المؤسسة قد أجرت الاستطلاع نفسه قبل حوالي ٥٠ عاماً ـ وأسفر الاستطلاع الأخير عن مفاجأة مذهلة، إذْ تبيّن أن معدلات الاهتمام بالدين قد هبطت كثيراً في البلدان الأوربية، عما كانت عليه وقت نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكنها ارتفعت كثيراً في الولايات المتحدة الأمريكية، وتبيّن أن تسعة من كلّ عشرة أمريكيين متديّنون.

وفي هذا الجو المتديّن في أمريكا ظهرت حركة مسيحية متطرفة، كانت جذورها تعود إلى سيروس أنجرسون سكوفيلد، المولود في ولاية ميتشكان في ١٩ /٨/ ١٨٣٤ م. وكان سكوفيلد قد نشر إنجيلاً سنة ١٩٠٩ م، وذكر فيه نبوءةً حتمية الوقوع، وهي أن دولة إسرائيل سوف تُحيى في أرض فلسطين، وأنها تأخذ القدس، وتبني هيكل سليمان فيها، ثم تتجمّع قوى معادية للمسيح وإسرائيل في العراق، وتنطلق بقيادة رجل قوي نحو إسرائيل، وتعبر الفرات الذي ستكون مياهه قد جفت أو قلّت، وحين يصل ذلك الجيش إلى وادي مجيِدو أو (هرمجدون) داخل دولة إسرائيل تحدث معركة عظيمة بين تلك القوى وأنصار المسيح القادمين من الغرب. وتعرف هذه المعركة بـ(معركة هرمجدون)... وفي نهاية هذه المعركة يعود المسيح ثانية إلى الأرض، ليؤسس دولة السلام في الأرض، وتحكم دولة المسيح العالم كلَّه مدة ألف عام. وقد استند سكوفيلد في هذه النبوءة إلى التوراة والإنجيل. وسيأتي الحديث مفصلاً عن هرمجدون في الفصول القادمة.

وظهر بعد ذلك عدد من المروّجين لنظرية هرمجدون الذين يملكون وسائل إعلام مؤثرة في الولايات المتحدة الأمريكية، منهم :

١ ـ بات روبنسون، ابن السيناتور السابق عن ولاية فرجينيا. ويستضيف برنامجاً دينياً لمدة سبعين دقيقة يومياً، يدعى (نادي الـ ٧٠٠)، نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه. ويصل هذا البرنامج إلى أكثر من ١٦ مليون عائلة.

٢ ـ جيمس سواغرت، وهو يبث برامجه الدينية من باتون روج في لويزيانا، وهي ثاني أكثر محطات التلفزيون الإنجيلية شهرة في أمريكا.

٣ ـ جيم بيكر، أحد تلاميذ بات روبنسون، وهو يملك ثالث محطة تلفزيونية تبشيرية، وتصل برامجه إلى نحو ٦ ملايين منزل.

٤ ـ أورال روبرتس، وتصل برامجه التبشيرية إلى نحو أكثر من ٥ ملايين منزل.

٥ ـ كينين كوبلاند، وهو يرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية هما شيء واحد. وتصل برامجه إلى نحو٩,٤ مليون منزل، وكان يقول: إنه لوقت رائع أن نبدأ في دعم حكومتنا طالما أنها تدعم إسرائيل... إنه لوقت رائع أن نشعر الله مدى تقديرنا لجذور إبراهيم.

٦ ـ ريتشارد دي هان، ويصل برنامجه (يوم كشف النظام) إلى حوالي ٥,٤ مليون منزل.

٧ ـ ريكس همبرد، وتصل برامجه عن هرمجدون إلى حوالي ٧,٣ مليون منزل.

٨ ـ جيري فال ويل، وقد اشترى سنة ١٩٨٦ م شبكة تلفزيون بالكيبلات، وهي الشركة المسيحية الوطنية، وغيّر اسمها إلى (محطة الحرية للبث) وكانت تبث البرامج الدينية من ليتشبورغ في فرجينيا لمدة ٢٤ ساعة في اليوم. وكان من أبرز أقواله: في الحقيقة أن الوقوف ضدّ إسرائيل هو معارضة لله! فقد وعد الله إبراهيم بأن يبارك مَن يبارك إسرائيل، ويلعن مَن يلعنها، لهذا فلا مجال للنقاش في كون يهوذا والسامرة (الضفّة الغربية) جزء من إسرائيل، وكذلك الجولان، وأن القدس عاصمة إسرائيل.

ثم وصل رونالد ريغان إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، وكان من المؤمنين بحتمية هرمجدون، وكان فال ويل قد دعمه بشدة للوصول إلى البيت الأبيض. وينقل فال ويل أن ريغان قال له في مارس سنة ١٩٨١م: جيري، إنني أُؤمن بأننا نتوجّه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجدون. وكان ريغان يعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، لتكون مستعدة ليوم هرمجدون.

ثم وصل إلى البيت الأبيض جورج بوش الأب، وكان فال ويل يرعاه من الناحية الدينية، ومنحه بركته حين فاز برئاسة الولايات المتحدة، وكان بوش مؤمناً بما يقوله فال ويل بحتمية هرمجدون، وحظي برجال في إدارته

من المؤمنين بحتمية هرمجدون، وبما يقوله فال ويل، أمثال تشيني وزير الدفاع في إدارته، وكولن باول رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية، و وول فولفوفيتز، وغيرهم.

كانت إدارة بوش الأب تعمل علىٰ تحقيق الأمور التالية، استعداداً ليوم هرمجدون، وهي :

١ ـ تجريد الشرق الأوسط من كل أسباب القوة، وخاصة الدول التي تشكل خطراً علىٰ إسرائيل، لأن نبوءة هرمجدون تقول: إن الجيوش التي تزحف نحو إسرائيل تتشكل من دول الشرق الأوسط، وبناءً علىٰ ذلك يجب أن تمنع إدارة بوش بيع الأسلحة المتطورة إلى دول الشرق الأوسط، وأن تمنع هذه الدول من إنتاج أسلحة متطورة، وخاصة أسلحة الدمار الشامل.

٢ ـ التواجد العسكري المباشر في المنطقة، وخاصة منطقة الخليج العربي، لكي تكون القوات الأمريكية قريبة من أيّ حدث يشكل خطراً علىٰ مصالحها، وعلى أمن إسرائيل.

٣ ـ استهداف العراق خاصة، لأنه يشكل حجر الزاوية في تحقيق النبوءة، وذلك بعدم السماح له بامتلاك قوة عسكرية ضخمة، أو أسلحة دمار شامل يمكن أن تستعمل ضد إسرائيل، وبتدمير البنية التحتية لكلّ مرافق الحياة فيه، وتفتيته إلى جماعات متصارعة، وكسر إرادة الشعب العراقي عن طريق تجويعه، وسلب كرامته وعزته، وقتل رجاله، وإبادة علمائه، وصولاً إلى تجريده من كل أسباب القدرة علىٰ تهديد إسرائيل.

وقد أدركت إدارة بوش أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلاّ إذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تؤسس حكومة عالمية بقيادتها، وأن تفرض إرادتها وقوتها علىٰ العالم من خلال هذه الحكومة العالمية، علىٰ طريقة إمبراطورية روما المندثرة، ويكون الطريق إلى ذلك أن تبرز الولايات المتحدة الأمريكية قوة وحيدة في العالم. ثمّ ظهرت إلى الوجود فكرة إقامة ما يُسمّى

بـ(النظام العالمي الجديد) الذي هو تجسيد للحكومة العالمية بقيادة أمريكا. ولكن ثَمَّة صعوبات وتحديات تقف في هذا الطريق، منها وجود الاتحاد السوفيتي قوة رئيسية منافسة، ومنها أوربا التي تستعد أن تبرز إلى الوجود كياناً واحداً باسم الاتحاد الأوربي، ومنها الكتلة الآسيوية التي تتزعمها اليابان.

إن الإدارة الأمريكية بزعامة بوش قد عملت على انهيار الاتحاد السوفيتي، وعلى تحجيم دور الصين، وعلى جعل أوربا والكتلة الآسيوية محتاجة إليها في إمدادات الطاقة والأسواق التجارية. وقد نجحت في تحقيق ذلك، فأصبح الطريق أمامها مفتوحاً للمضي في إقامة نظام عالمي جديد، تتربّع على عرشه، وتحيي بذلك حلماً عزيزاً لم يستطع أحد قبلها أن يحققه، وهو إحياء إمبراطورية روما المندثرة.

وقد وجد دهاقنة السياسة الأمريكية، وراسمو استراتيجيتها أن العراق هو الطريق إلى تحقيق الحلم الأمريكي في إعادة إمبراطورية روما بزعامتها فيما يُسمَّى بـ(النظام العالمي الجديد).

ولماذا العراق؟ والجواب عن ذلك يكمن في الأسباب التالية :

لأن العراق يُشكّل حجر الزاوية في نبوءة هرمجدون التي تؤمن بها إدارة بوش، ولأن العراق يمثّل قلب الشرق الأوسط الذي تسعى الإدارة الأمريكية إلى السيطرة عليه سيطرة عسكرية مباشرة، ولأن الوضع السياسي في العراق، وما يدّعيه النظام فيه بأنه يمتلك أسلحة الدمار الشامل يوفّر لإدارة بوش المبررات لاتخاذه طريقاً لتحقيق الحلم الأمريكي.

وأعدّ دهاقنة السياسة الأمريكية وراسمو استراتيجيتها لإدارة بوش خطة محكمة، يتم تنفيذها على مرحلتين، المرحلة الأولى وتشتمل على الخطوات التالية :

١ ـ خلق مشكلة يكون العراق سبباً فيها، وتتطلب تدخلاً عسكريًا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لحلها، تمهيداً لاتخاذ العراق طريقاً لإقامة

النظام العالمي الجديد بقيادتها. والخطوة التي تلي ذلك هي :

٢ ـ تواجد القوات العسكرية الأمريكية مباشرة في المنطقة، وخاصة في منطقة الخليج، لمواجهة تلك المشكلة عسكريًا. والخطوة التي تلي ذلك هي:

٣ ـ شنّ حرب مدمرة علىٰ العراق، الهدف منها تدمير الجيش العراقي، وقوته العسكرية، وبنيته التحتية، وفرض حصار اقتصادي عليه، وتدمير أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها، وعدم السماح له بتطوير أو إنتاج أسلحة دمار شامل، ثم كسر إرادة الشعب العراقي. والخطوة التي تلي ذلك هي :

٤ ـ بقاء القوات العسكرية الأمريكية في المنطقة، وفي منطقة الخليج خاصةً، وبناء قواعد عسكرية دائمة لها، للسيطرة علىٰ إمدادات النفط إلى أوربا واليابان وغيرهما، ولتكون قريبة من أي حدث في المنطقة يشكل خطراً علىٰ مصالحها وعلى إسرائيل. والخطوة التي تلي ذلك هي :

٥ ـ إبراز الولايات المتحدة الأمريكية قوة وحيدة في العالم، من خلال نجاحها الباهر في الحرب علىٰ العراق، وسيطرتها علىٰ المنطقة وثروتها النفطية، واحتكار أسواقها لها وحدها. والخطوة التي تلي ذلك هي:

٦ ـ ونتيجة نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب، وبروزها قوة وحيدة في العالم، وسيطرتها علىٰ المنطقة، تصبح أوربا واليابان ومجموعتها الآسيوية بحاجة إلى الولايات المتحدة، لتأمين وصول النفط والغاز إليها، وللحصول علىٰ موطئ قدم في أسواق المنطقة التجارية.

وفي هذه المرحلة بخطواتها المذكورة تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد وضعت أسس إمبراطوريتها العالمية، أو ما يسمّى بالنظام العالمي الجديد. أما المرحلة الثانية من الخطة الأمريكية فقد جُعِلت لإكمال بناء النظام العالمي الجديد، والتفرُّد بقيادته دون منافس.

إنَّ المرحلة الثانية من الخطة هي اتِّخاذ العراق أيضاً طريقاً للسيطرة علىٰ

منطقة الشرق الأوسط بأكملها سيطرة عسكرية مباشرة.

وتشتمل المرحلة الثانية من الخطة على الخطوات التالية :

١ ـ خلق مشكلة مع العراق باستغلال الوضع السياسي في العراق، ووجود استياء شعبي عام في العراق وفي الدول المجاورة بسبب ممارسات نظام صدام، وعدم الثقة الحاصلة بين الشعب العراقي وحكومته، وادّعاء نظام صدام امتلاكه أسلحة دمار شامل، ثم تصعيد هذه المشكلة بين النظام العراقي والولايات المتحدة الأمريكية ليصل الأمر إلى الحلِّ العسكري في معالجتها.

٢ ـ احتلال العراق عسكرياً وإسقاط النظام الحاكم فيه، وإيجاد نظام يتعاون معها في تنفيذ سياساتها، وتحقيق أهدافها، ثم الإبقاء على قواتها العسكرية في قواعد دائمة، لتحقيق الخطوات اللاحقة، فيكون احتلال العراق مفتاحاً لتحقيق بقية الخطوات.

٣ ـ إسقاط النظام في سوريا بالتدخل العسكري المباشر بالتعاون مع إسرائيل، ثم يتبع ذلك تغيير بقية الأنظمة في بلاد الشام.

٤ ـ إسقاط النظام في المملكة العربية السعودية بالطريقة نفسها التي تمَّ بها إسقاط النظام في سوريا.

٥ ـ استنزاف إيران اقتصاديًا، وإضعافها عسكريًا بتوجيه ضربات مدمّرة إلى بنيتها العسكرية في حرب محدودة غير شاملة معها.

٦ ـ استنزاف تركيا عسكريًا واقتصاديًا، وإضعافها في حروب محلية مع الأكراد.

٧ ـ تكبيل النظام في مصر باتفاقيات تلزمه بإجراء إصلاحات ديمقراطية في أنماط الحكم والسياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والممارسات الدينية، بما يجعل مصر تدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية، ومحققة لأهدافها.

٨ ـ تغيير أنماط الحياة والسلوك لدى شعوب الشرق الأوسط بما يشبه أنماط الحياة والسلوك في الغرب وأمريكا.

٩ ـ حلّ عُرى الإسلام الأصيل في دول منطقة الشرق الأوسط الإسلامية، باتباع أساليب مدروسة، تدخل القوة طرفاً فيها.

١٠ ـ إضعاف عقيدة المسلمين في قدسية الأماكن الإسلامية المقدسة، مثل مكة والمدينة، ومراقد أئمة المسلمين، والمساجد، وذلك باستباحتها وانتهاك حرمتها أو تدميرها علىٰ مرأى من المسلمين.

إن المرحلة الأولى من هذه الخطة قد تحققت بجميع خطواتها في عهد الرئيس بوش الأب، وحققت جميع أهدافها. وإذا رجعنا إلى الشهور الأولى من سنة ١٩٩٠ م فإننا نجد أن الإدارة الأمريكية قد بدأت تصعيداً ملحوظاً مع النظام العراقي برئاسة صدام، مستهلة ذلك بحملة إعلامية قوية علىٰ شخص صدام. وكانت إسرائيل علىٰ الخط أثناء هذه الحملة، وكانت تركز علىٰ القوة العسكرية للعراق، التي يهدد بها جيرانه، وتحوَّلت حرب الكلمات إلى حرب أعصاب. في ١٥/ ٢/ ١٩٩٠م صدر عن وزارة الخارجية الأمريكية تقرير عن حالة حقوق الإنسان في العراق، وكان قاسياً وحاداً في لهجته علىٰ النظام العراقي.

وبدأت الكويت تزيد إنتاجها من النفط، وتتجاوز الحصة المقررة لها من أوبيك، وفي ٢٧/ ٣/ ١٩٩٠م قابل صدام الملك فهد في منطقة حفر الباطن داخل السعودية، وبحث معه موقف الكويت من زيادة إنتاجها من النفط، وهو ما يؤثر علىٰ اقتصاد العراق الذي خرج من حرب طويلة مع إيران، كما بحث معه موقف أمريكا المعادي للعراق. وقد كان ردّ الملك فهد: إن الإخوان في الكويت يضرون حتى بمصالح السعودية، بإنتاجهم الزائد عن حصتهم... وقال: إنه علىٰ اتصال دائم بهم، وسوف يحاول إقناعهم بالالتزام بحصة أوبيك.

وفي ٢٨/ ٣/ ١٩٩٠م أعلنت بريطانيا أنها عثرت علىٰ شحنات من أجهزة (أليكترون) التي تستخدم في التفجيرات النووية، كانت متجهة إلى العراق، وبعد ذلك بيوم أعلنت بريطانيا أنها عثرت علىٰ ماسورة مدفع عملاق ينوي العراق أن ينتجه. وفي ٣٠/ ٣/ ١٩٩٠م أعلن رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي إيهود باراك أن إسرائيل لا بدّ أن توجه ضربة وقائية للعراق، وردّ صدام في ١/ ٤/ ١٩٩٠م بقوله: إذا تعرض العراق لهجوم نووي إسرائيلي فإنه سوف يستعمل أسلحة متطورة تحرق بالنار نصف إسرائيل.

وبدأ العمل المشترك بين الكويت وأمريكا باتجاه الضغط علىٰ العراق، كما أشارت إلى ذلك الوثيقة التي عثر عليها العراقيون في مكتب وزير الخارجية الكويتي، وكانت بتوقيع السفير أحمد الإبراهيم، سفير الكويت في بروكسل، ومما جاء فيها: وأثناء تباحثي مع السيد ج. أ. ماكوين (مساعد وزير الخارجية الأمريكي) تفهمت الأمور التالية: أن أساليب الضغط علىٰ العراق التي اقترحها سمو أمير البلاد المفدى، بما فيها السعي الأمريكي والغربي لتدمير الأسلحة العراقية المتطورة، قد وجدت حماساً لدى الولايات المتحدة، لأنه أول طلب عربي بهذا الخصوص...

وفي ٢٥/ ٧/ ١٩٩٠م طلب صدام أن يلتقي أبريل جلاسبي سفيرة الولايات المتحدة في بغداد. وبعد حديث طويل بينهما تركز علىٰ الخلاف بين العراق والكويت، أخبرت جلاسبي صداماً بأن أمريكا لا تتدخل في الخلافات العربية العربية، ومنها خلافكم مع الكويت، وأن التوجيهات الصادرة إليها تقول إنه لا ينبغي أن نبدي رأيًا حول هذه القضية، وأنه لا علاقة لأمريكا بهذه القضية. وقالت: نتمنى أن تتمكنوا من حلّ هذه المشكلة بأيّ طريقة مناسبة وبعد هذه المقابلة قررت جلاسبي أن تقوم بإجازتها السنوية العادية ابتداءً من ٣٠ /٧/ ١٩٩٠م.

وفي ٣١/ ٧/ ١٩٩٠م عُقِد اجتماع بين الشيخ سعد العبد الله الصباح

وعِزّت إبراهيم برعاية الملك فهد في السعودية، ولكن الطرفين لم يتوصلا إلى اتفاق مرضٍ يحلّ الخلاف بينهما، وعاد الدوري إلى بغداد وهو يلقي بمسؤولية فشل الاجتماع علىٰ عاتق الجانب الكويتي.

وفي ٢/٨/١٩٩٠م دخلت القوات العراقية الكويت في عملية عسكرية كبيرة، فاجأت الجميع في البلاد العربية. وكانت واشنطن مستعدة لهذه اللحظة المصيرية المرسومة، ففي ٣/٨/١٩٩٠م استدعى مستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية في واشنطن، وناقش معه ما تنوي الولايات المتحدة أن تفعله ضد العراق، ثم رتّب له لقاء مع وزير الدفاع تشيني، ليطلعه علىٰ خطة البنتاجون، وجاء الأمير بندر إلى مكتب تشيني في البنتاجون فوجد عنده الجنرال كولن باول، و وولفوفيتز، وفي هذا اللقاء عرض باول الخطة التي كانت الخطوة الأولى فيها إرسال القوات الأمريكية إلى السعودية.

وعلى الفور توجه تشيني، ومعه روبرت جينس والجنرال شوارتزكوف والجنرال وولفوفيتز إلى السعودية، والتقوا الملك فهد، وعرضوا عليه الخطة المذكورة، وخوّفوه من احتمال أن يشنّ صدام هجوماً علىٰ السعودية خلال ٤٨ ساعة. وبعد هذا بدأت الجسور الجوية والبحرية تنقل حشود الجيوش الأمريكية ومعداتهم إلى السعودية. وسعت أمريكا إلى إغلاق كل الأبواب التي يمكن من خلالها حلّ الأزمة بانسحاب العراق من الكويت، فجميع الوساطات فشلت، وجميع الأبواب أغلقت إلا باب الحرب. وبدأت عملية عاصفة الصحراء فجر ١٧/١/١٩٩١م بضربات صاروخية وجوية مدمرة، الهدف منها تدمير الجيش العراقي والبنية التحتية للعراق.

وفي ٢٨/٢/١٩٩١م اتّصل الرئيس بوش بالجنرال شوارتزكوف وسأله السؤال التالي: هل تعتبر أن الهدف الاستراتيجي من الحرب قد تحقق؟. وكان ردّ شوارتزكوف أنه يعتبر أن الهدف تحقق بالكامل. إنَّ شوارتزكوف

يفهم أنّ الهدف الاستراتيجي هو إبادة الجيش العراقي وتدمير الإمكانات العراقية. وبعد ذلك أصدر بوش قراره بوقف العمليات العسكرية. وهذا يعني أن احتلال العراق في المرحلة الأولى من الخطة لم يكن ضمن خطواتها إن جميع الأهداف في هذه المرحلة قد تحققت، فقد أصبح للولايات المتحدة الأمريكية وجود عسكري قوي وفاعل في المنطقة، وخاصة في الخليج العربي، والدول المطلّة عليه، وفي البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط، وبذلك تمّ التحكم في إمدادات النفط والغاز إلى أوربا واليابان ومجموعتها الآسيوية، وتمّ تدمير الجيش العراقي وقوته العسكرية وبنيته التحتية وإرغام العراق على التوقيع على وثيقة الإذلال التي تتضمن تدمير جميع أسلحة الدمار الشامل وعدم تطوير أو إنتاج أي أسلحة متطورة، بما فيها أسلحة الدمار الشامل، والسماح لفرق التفتيش بالدخول إلى جميع مرافق الدولة للتأكد من خلو العراق من تلك الأسلحة، وعدم قيامه بإنتاجها، ثم فرض حصار خانق على الشعب العراقي جواً وبحراً وبراً، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية قوة وحيدة في العالم. وبعد أن حققت هذه المرحلة جميع أهدافها بدأت الولايات المتحدة في وضع أسس النظام العالمي الجديد بقيادتها، وهو يجسد في الحقيقة إمبراطورية عالمية ترأسها الولايات المتحدة الأمريكية، تسوس الناس فيها بعصاً من حديد، فتحيي بذلك ما كانت تفعله روما في الإمبراطورية الرومانية المندثرة.

أما المرحلة الثانية من الخطة فقد تمّ الاتفاق على تنفيذها في الفترة الثانية من رئاسة بوش، ولكن لسوء حظ بوش أن الشعب الأمريكي لم ينتخبه لفترة رئاسية ثانية، وأعطى البيت الأبيض إلى رئيس جديد هو بيل كلينتون، ولم يكن الرئيس الجديد مؤمناً بأقوال فال ويل، وأفكار الحركة المسيحية المتطرفة التي تسعى لبناء نظام دولي جديد، لمواجهة هرمجدون، والتمهيد لدولة المسيح العالمية، ولذلك طُوِيت صفحات المرحلة الثانية من الخطة،

واحتُفِظ بها في خزائن فال ويل، و وولفوفيتز وريتشارد بيرل، إلى أن يحين الوقت المناسب لتنفيذها.

وفي مطلع القرن الحادي والعشرين وصل إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ابن ذلك الرئيس الذي كان علىٰ يديه تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة الهادفة إلى إحياء إمبراطورية روما في شكل (النظام العالمي الجديد) بقيادة أمريكا، والرئيس الجديد هو بوش الابن.

بوش الابن كأبيه مؤمن بحتمية هرمجدون، وعودة المسيح، وكان تلميذاً جيداً ومستمعاً مطيعاً لفال ويل الذي احتضنه قبل وصوله إلى الرئاسة، وغذّاه بأفكاره، وسقاه من خلاصة ما وصل إليه تفكير المسيحيين الصهاينة، للسيطرة علىٰ العالم وإقامة إمبراطورية الشيطان.

وكان بوش الابن يستمع باستمرار إلى الطقوس الدينية التي يجريها القس جراهام، فأصبح أحد مريديه، واستطاع القس جراهام إقناعه بالانضمام إلى طائفة (الميثوديتس) أي التحالف الصهيوني المسيحي، وكان يقتنع بما يقوله جراهام عن الإسلام والمسلمين. ويقول المقربون منه إنه لا يقرأ الإنجيل المتداول بين المسيحيين، إنما يقرأ الكتاب المقدس للميثوديتس الذي يجمع بين التوراة والإنجيل. وأبناء طائفة الميثوديتس يؤمنون إيماناً مقدساً بما يلي :

إن أرض إسرائيل هي البقعة المباركة في هذا العالم، وإنه يجب حمايتها والدفاع عنها.

وجوب إقامة الهيكل علىٰ أنقاض المسجد الأقصى، لأن إقامة الهيكل علامة كبرى لعودة المسيح.

إن الإسرائيليين الذين يعيشون في الأراضي المباركة هم الجنود المخلصون الذين يقاتلون إلى جانب المسيح، حتى يتم القضاء علىٰ المسلمين والمسيحيين غير المخلصين.

إن المسيح مثل الذهب النقي الخالص، ولذلك فإن عودته لا بدّ أن

تكون مقترنة بالاستيلاء على الذهب الخالص الموجود في دولة قريبة من أورشليم، وأن هذا الذهب قد وضع في هذه الدولة، لأنه يجب أن يكون هناك اقتتال عنيف للسيطرة عليه.

إن هذه الدولة التي يوجد فيها جبل الذهب تنطبق خصائصها الواردة في الكتاب المقدس على العراق، وأن جبل الذهب موجود داخله.

إن العراق هو الذي يشكل خطراً حقيقياً على دولة إسرائيل.

إن العراقيين إذا نجحوا أولاً في السيطرة على الذهب وما يرتبط به من جبل الذهب، فإنهم يسيطرون على كل المنطقة، ويتمكنون من تمويل جيوش يدفعون بها للحرب مع إسرائيل، وإنهم سينتصرون على إسرائيل في هذه الحرب، ويستولون على المسجد الأقصى. وإذا تحقق ذلك للعراقيين فهذا يعني عدم ظهور المسيح، وتأخير ظهوره مئات السنين.

إن أمريكا إذا لم تنتصر على العراق وتبيده في حرب تُشَنُّ عليه فإن العراق سيصبح في غضون سنوات قليلة قوة عظمى يُحسب لها ألف حساب، مما سينقل مركز الثقل الدولي إلى منطقة الشرق الأوسط، وسيعيد التاريخ الكرة للمسلمين، فيسيطرون على العالم.

إن أي ضعف ديني أو سياسي لإسرائيل سيؤدي إلى تأخير ظهور المسيح، وإن كل يوم يمضي دون ظهور المسيح ستُلعَن فيه طائفة الميثوديتس، وإن هذه اللعنة ستجعلهم يُعذَّبون يوم القيامة.

لا بدّ من تهيئة منطقة الشرق الأوسط بأسرها لاستقبال عودة المسيح.

آمن بوش الابن بهذه المبادئ كلها. وحين وصل إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية أوحوا إليه أن الله دعاه لقيادة الأمة في هذه اللحظة ، وآمن هو أنه مبعوث العناية الإلهية.

ومنذ اليوم الأول الذي وصل فيه إلى الرئاسة أعاد إلى إدارة البيت

الأبيض أولئك الأشخاص الذين كانوا في إدارة أبيه، وكانوا يؤمنون بالمبادئ السابقة، ويسعون إلى إحياء إمبراطورية روما في شكل النظام العالمي الجديد، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ويؤمنون بأن العراق هو الطريق الوحيد لتحقيق ذلك، وهؤلاء الأشخاص هم :

١ ـ كولن باول المعروف بعشقه للطقوس الكنسية الصهيونية.

٢ ـ كوندليزا رايس التي كان أبوها قسًّا مبشراً في أَلَبَامَا.

٣ ـ ريتشارد تشيني الملقب بديك تشيني الذي يؤمن بأن المدفع والإنجيل هما اللذان يُقام بهما النظام الدولي الجديد.

٤ ـ رامسفيلد الذي يسير على خطى ديك تشيني.

٥ ـ بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع، وهو يهودي الأصل.

٦ ـ ريتشارد بيرل رئيس لجنة التخطيط السياسي في وزارة الدفاع، وهو يهودي الأصل، وشارك في كتابة وثيقة سنة ١٩٩٦ م، بعنوان (فرصة كاملة استراتيجية لتحقيق الحلم)، ودعا فيها إلى إزالة نظام صدام، وأطلق عليه في وقتها: أمير الظلام.

٧ ـ فال ويل، وقد تقدم الحديث عنه.

هؤلاء السبعة هم أعمدة حكومة بوش الابن، ومهندسو سياسته الخارجية والعسكرية والاقتصادية. وهم معروفون بسعيهم إلى تشكيل العالم من جديد في إمبراطورية تمسك الولايات المتحدة الأمريكية بزمامها بيد من حديد.

وفي ظل إدارة بوش الابن أُخرِجت إلى النور صفحات المرحلة الثانية من الخطة التي تم تنفيذ المرحلة الأولى منها في عهد بوش الأب، ونُشِرت على مكاتب إدارة الرئيس استعداداً للعمل بها، حين تأتي الفرصة المناسبة.

وجاءت الفرصة المناسبة في أحداث ٢٠٠١/٩/١١ م، وبدأ مفهوم

الإرهاب، والقضاء على مصادر الإرهاب يُسوَّق بشكل جيد للشعب الأمريكي، ولشعوب أوربا خاصة، وشعوب العالم عامة، لأجل تهيئة الأجواء النفسية لدى الشعوب للقبول بما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، بحجة القضاء على الإرهاب ومصادره. وكان على خط أحداث الحادي عشر من أيلول ابن لادن وتنظيمه المسمّى بالقاعدة، الذي اتَّخذ من أفغانستان مقراً، وطالبان الذين أوصلهم الأمريكان إلى حكم أفغانستان، فتحمل هؤلاء مسؤولية تلك الأحداث وتبعاتها.

إن تنظيم القاعدة وطالبان اتُّخِذوا طريقاً لنقل العالم بما فيهم الأمم المتحدة ومجلس الأمن إلى مرحلة جديدة، أُطلق عليها اسم (مرحلة الحرب على الإرهاب والقضاء على مصادره)، تمهيداً لتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة المذكورة، وصولاً لتحقيق الحلم الأمريكي في إقامة النظام الدولي الجديد.

وفهم بعض قادة الدول الغربية أهداف أمريكا من الحرب على الإرهاب، فوجدوا أنَّ المصلحة تقتضي منهم أنْ يكونوا أطرافاً مشاركين في النظام الدولي الجديد الذي تريد أمريكا إقامته بقيادتها، ولا يكونوا رعية أو عبيداً فيه. وكانت بريطانيا من أول العارفين بالأهداف الأمريكية من وراء إعلان الحرب على الإرهاب بعد ٩/١١، ومن أول الدول التي أرادت أن تكون طرفاً مشاركاً في النظام الدولي الجديد، وليس من الرعية أو العبيد، ولذلك خرج رئيس وزراء بريطانيا توني بلير بعد حدث ٩/١١، فوجه الاتهام إلى القاعدة وطالبان، وقال: إن ٩/١١ كانت لحظة حاسمة في العلاقات الدولية، ولا بدّ من تغيير أشياء كثيرة، ولا نستطيع فعل ذلك إلا إذا وحّدنا الناس معاً في تحالف دولي قوي. هذا هو الأمر الأول، والأمر الثاني هو اعتقاد قاطع قائم على التجربة، كما على الإيمان بأن المصلحة الشخصية ومصالح الدول بدأت تتداخل..

ووجدت إدارة بوش الابن أن المرحلة الراهنة تقتضي أن لا يهملوا

المساندة والدعم الذي تقدمه أوربا والغرب في تحقيق الهدف الأمريكي، ولذلك فتحت إدارة بوش الباب أمام أوربا والغرب ودول أخرى للدخول معها في تحالف مقدس للقضاء علىٰ الإرهاب.

وشنت الولايات المتحدة الحرب علىٰ طالبان والقاعدة في أفغانستان، وتمَّ القضاء علىٰ نظام طالبان، وتوجيه ضربة قاصمة للقاعدة، وتمّ تشكيل حكومة جديدة في أفغانستان أُشيع عنها أنها أول حكومة أفغانية تطبق الديمقراطية، وتمنح الحرية لفئات الشعب بما فيها حرية المرأة في المشاركة في الحياة السياسية. إن نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان هو في الحقيقة تمهيد لتنفيذ الخطوة الأولى من المرحلة الثانية من الخطة المذكورة، والتي تقضي باحتلال العراق.

وانتهت مرحلة التمهيد، وبدأت مرحلة التنفيذ، وطفقت الولايات المتحدة الأمريكية تعبأ العالم نحو إسقاط النظام العراقي برئاسة صدام، بحجة علاقته بالإرهاب، وامتلاكه أسلحة الدمار الشامل التي تخشى أن يضعها صدام بيد الإرهابيين. واستعملت أمريكا كل وسائل الإعلام في هذه التعبئة، حتى استطاعت أن تجعل الوهم حقيقة، والخيال واقعاً. وكان اليهود لاعبين أساسيين في هذه التعبئة، سواء كانوا داخل إدارة بوش أو في إسرائيل. ودخلت بريطانيا علىٰ الخط، لكونها حليفاً رئيساً مع أمريكا في الحرب علىٰ الإرهاب، وسارت مع أمريكا في الاتجاه نفسه نحو العراق، وصار الجميع يؤشر نحو خريطة الشرق الأوسط، ويصيح: العراق... العراق، وأصبح همُّهم العراق، وليس لهم همٌّ سوى العراق.

وبدأت الاستعدادات تُتَّخذ لغزو العراق.. الجيوش بدأت تصل إلى المنطقة المجاورة للعراق.. وتحتشد بأسلحة الدمار في دول الخليج العربي وتركيا.. حاملات الطائرات تعبر قناة السويس، وتستقر قريباً من العراق.. البوارج البحرية والغوّاصات النووية تجوب مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر

الأحمر والخليج العربي.. الطائرات بأنواعها تحتشد في مطارات أُعِدَّت لهذه الساعة... المشهد رهيب ومخيف، والعالم يضع يده علىٰ قلبه من هول ما يحدث. وارتفعت أصوات الشعوب والحكام في العالم، وفي الأمم المتحدة لمنع أمريكا مما تريد القيام به في العراق، ولكن الآذان صماء، لا تسمع إلا هاتف العراق... العراق، والألسن خرساء لا يجري عليها إلا اسم العراق... العراق.

وجاءت ساعة الصفر يوم ٢٠ /٣/ ٢٠٠٣ م، وبدأ تنفيذ الخطوة الأولى من المرحلة الثانية من الخطة التي تمّ تنفيذ المرحلة الأولى منها في رئاسة بوش الأب.. وانطلقت الصواريخ المدمرة من البوارج الأمريكية في البحار القريبة، لتدمر كل شيء تقع عليه في بغداد.. وانطلقت الطائرات المتنوعة من قواعدها في دول الخليج ومن حاملات الطائرات، ومن قواعد بعيدة عن العراق في أوربا، لتدمر القوات العسكرية العراقية، ولتدك كل البنى التحتية للشعب العراقي، وتحول العراق إلى دمار وأشلاء.

وفي ٩/ ٤/ ٢٠٠٣ م تحققت الخطوة الأولى من المرحلة الثانية من الخطة.. سقط نظام صدام، وانتشرت القوات الأمريكية في كافة أنحاء العراق، وحملت معها القتل والسلب والنهب والدمار والخوف والإرهاب.. واستولت القوات الأمريكية علىٰ معسكرات الجيش العراقي وقواعده، لتحولها إلى معسكرات وقواعد خاصة بها، ثم شرعت تبني قواعد عسكرية دائمة لها في العراق، استعداداً لتنفيذ بقية خطوات المرحلة الثانية من الخطة التي يتحقق في نهايتها لأمريكا السيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط بأكملها، امتداداً من باكستان في الشرق إلى موريتانيا في الغرب، سيطرة عسكرية مباشرة، بعدها تتربع أمريكا علىٰ عرش الإمبراطورية العالمية، لتحكم العالم بعصاً من حديد، كما كانت تفعل إمبراطورية روما.

وفي هذه المناسبة أودّ أن أقول: إن الذين يأملون أن تخرج أمريكا من

العراق بعد وقت قصير من احتلاله، وقبل أن تحقق أهدافها، أو الذين يقولون: يجب أن نصبر، ونعطي الفرصة لأمريكا لكي تبني العراق، وتجعله بلداً ديمقراطياً، ينعم فيه الناس بالحرية والرفاهية، أو الذين يقولون يجب أن نُخرج أمريكا من العراق بالمقاومة السلمية والحوار المباشر، كل هؤلاء واهمون، لأنهم لا يعرفون حقيقة أمريكا، والأهداف التي تريد تحقيقها باحتلال العراق.

إن بوش الأب الذي تمّ في رئاسته تنفيذ خطوات المرحلة الأولى من الخطة، وبوش الابن الذي تمّ في رئاسته تنفيذ الخطوة الأولى من المرحلة الثانية من الخطة لحدّ هذا اليوم، لم يقوما بذلك كله وحدهما، بل كانت هناك قوة أخرى تقف معهما وتساندهما، وهي القوة اليهودية. إن العقول التي تفكر وترسم الخطط لتحقيق الحلم الأمريكي هي عقول يهودية صهيونية، سواء كانت موجودة داخل إدارة الرئيسين بوش الأب والابن، أو داخل إسرائيل. ذكرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر يوم ٢٥/٣/٢٠٠٣ م أن مراسلة القناة الأولى في تلفزيون إسرائيل كيرن نويبخ، ومعها أمنون ابراموفيتش كبير المعلقين بالقناة تحدثا عن دور إسرائيل في دفع إدارة الرئيس بوش الابن إلى المضي في حرب العراق، فذكرا أن مشروع غزو العراق كان من وضع ريتشارد بيرل، وبول وولفوفيتز، ودوجلاس فايت، وهم من غلاة اليهود الأمريكيين، وأنهم بعد أحداث ٩/١١ اجتمعوا بإفرايم هلايفي الذي كان في ذلك الوقت رئيساً للموساد، ثم تولّى منصب مدير مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، وشارك في الاجتماع رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية عاموس مالكا، وخلفه هارون زئيفي، إضافة إلى رئيس قسم الأبحاث في كل من جهاز الموساد والاستخبارات العسكرية. وكان الهدف من هذا الاجتماع هو صياغة أهداف الحرب الميدانية والاستراتيجية. واتّفق الجانب الأمريكي والإسرائيلي على تشكيل لجنة تنسيق عسكرية مشتركة،

ضمت جنرالات في هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، وهيئة أركان الجيش الأمريكي، منهم الجنرال تومي فرانكس، قائد المنطقة الوسطى في الجيش الأمريكي، الذي أوكلت له مهمة قيادة الحرب على العراق. وتمّ أيضاً تشكيل لجنة سياسية ضمت كوندليزا رايس، ومدير مكتب شارون.

واستفادت إدارة بوش الابن من استشارات القادة السياسيين في بريطانيا التي ما فتئت تقدم للإدارة الأمريكية النصح تلو النصح، والاستشارة تلو الاستشارة، وتحثها على المضي في هذا الطريق، لأنها تفهمت أهداف الخطة الأمريكية في هذه المرحلة، ولأنها أرادت أن تصبح طرفاً مشاركاً في الإمبراطورية العالمية الجديدة، ولأن الخطة الأمريكية دغدغت مشاعر الساسة البريطانيين في تحقيق حلم قديم طالما سعى قادتها وملوكها إلى تحقيقه، وهو إحياء إمبراطورية روما التي حكمت العالم بعصاً من حديد.

إن الرئيسين بوش الأب وبوش الابن قاما بعمل متميّز، وهو أنهما عملا على إحياء مجد إمبراطورية روما وهيبتها وجبروتها في صورة جديدة، وهيئة عصرية، أُطلِق عليها اسم (النظام العالمي الجديد)، ولم يتمكن أحد قبلهما من تحقيق ذلك، فقد كان إحياء الإمبراطورية الرومانية حلماً سعى إلى تحقيقه ملوك وقادة أوربا في القرون الماضية، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك. كان بوش الأب قد وضع أسس النظام الدولي الجديد، وعمل بوش الابن في خط أبيه، لاستكمال بناء ذلك النظام، وهو الآن على أعتاب قيام الإمبراطورية العالمية الجديدة.

إن التشابه كبير بين ما قام به أبو سفيان وابنه معاوية من عملٍ متميّزٍ في إحياء هيبة قريش وجبروتها وسلطانها في صورة جديدة وهيئة عصرية، وهي إقامة الدولة الأموية، وبين ما قام به بوش الأب وابنه من عمل متميّز في إحياء مجد إمبراطورية روما وجبروتها وسلطانها في صورة جديدة، وهيئة عصرية، وهي إقامة إمبراطورية عالمية تكون الولايات المتحدة على رأسها،

ويكون اليهود ودول أوربا ركيزتيها وقاعدتيها.

وإذا أردنا أن نعمل مقارنة بين ملامح العمل الذي قام به معاوية بن أبي سفيان، وحقق به الهدف السُّفياني في إحياء سلطان قريش وهيبتها وجبروتها، في صورة جديدة، وهيئة عصرية، وهي إقامة الدولة الأموية، وبين ملامح العمل الذي قام به بوش الأب وبوش الابن لإقامة إمبراطورية عالمية عصرية، تعيد إلى الحياة إمبراطورية روما، وهيبتها وجبروتها، فإننا نجد أن أوجه التشابه بين ملامح العملين قريبة جداً، حتى تكاد أن تكون متطابقة، فعلى سبيل المثال، وليس الحصر :

١ ـ اتخذ معاوية لباس الدين في سعيه لتأسيس الدولة السفيانية، فحين كان والياً علىٰ الشام أشاع بين أهلها أن بني أميّة هم الذين يمثلون الإسلام، وأن إرادة الله قضت أن يكونوا هم خلفاء الله الذين يقودون الدولة الإسلامية، وأن الله انتدبه للقيام بذلك. وكذلك فعل بوش الابن، فحين جاء إلى البيت الأبيض أشاع أجواء التدين في البيت الأبيض وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وحشّد المشاعر الدينية لدى الشعب الأمريكي نحو محاربة الشر، وأشاع أنه مبعوث العناية الإلهية، وأن الله انتدبه للقضاء علىٰ الشر في العالم.

٢ ـ عمل معاوية علىٰ تربية أهل الشام علىٰ الطاعة العمياء، والانقياد للحاكم الأموي، وتنفيذ إرادته دون نقاش أو اعتراض. وكذلك فعل بوش الابن، فقد عمل طول مدة رئاسته علىٰ ترسيخ تربية الخوف من الإرهاب عند الشعب الأمريكي، ووجوب الثقة بحكومته فيما تفعله لتأمين سلامتهم، ووجوب تنفيذ سياسة حكومته في مكافحة الإرهاب دون نقاش أو اعتراض.

٣ ـ عمل معاوية علىٰ بناء جيش قوي منضبط مدرّب مسلّح بكل الأسلحة التي كانت متوفرة في ذلك العصر، لتحقيق إقامة الدولة السفيانية. وكذلك فعل بوش الابن لتحقيق إقامة النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ ـ اتّخذ معاوية مستشارين يتميّزون بعقليات شيطانية في المكر والدهاء، ولهم قدرات عالية في وضع السياسات والخطط الاستراتيجية، والتكتيكية، ومواجهة الأحداث بالمكر والدهاء، سواء كانوا مسلمين، أمثال مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، أم كانوا من أهل الكتاب. وكان لهؤلاء الأثر الكبير في إقامة الدولة الأموية. وكذلك فعل بوش الابن، فإن أعمدة إدارته الذين هم كوندليزا رايس، وكولن باول، وديك تشيني، ورامسفيلد، وبول وولفوفيتز، وريتشارد بيرل، وفال ويل، ودوجلاس فايت، كلهم يتمتعون بعقليات شيطانية في المكر والدهاء، ولهم قدرات عالية في وضع السياسات والخطط الاستراتيجية، والتكتيكية، ومواجهة الأحداث بالمكر والدهاء، وهم خليط من اليهود والمسيحيين المتصهينين. ولهؤلاء دور كبير في إقامة النظام العالمي الجديد، الذي تربعت أمريكا على عرشه.

٥ ـ استعان معاوية بأهل الكتاب في بناء دولة جديدة على نمط الإمبراطورية الرومانية. وكذلك فعل بوش الابن، فقد استعان باليهود، سواء كانوا في الولايات المتحدة أو في إسرائيل، وتحالف معهم على المضي في إقامة الإمبراطورية العالمية الجديدة، لتحكم العالم بعصاً من حديد.

أما إذا قارنا بين ملامح وصفات السياسة التي مارستها الدولة السفيانية التي أقامها معاوية، وبين ملامح وصفات السياسة التي تمارسها إمبراطورية أمريكا العالمية الجديدة، فإننا نجد أيضاً أن أوجه الشبه بين السياستين تكاد أن تكون متطابقة، فعلى سبيل المثال، وليس الحصر :

١ ـ إيجاد بدائل شرعية عن مصادر الإسلام الأصيل: سخّرت أجهزة الحكم في الدولة السفيانية كل وسائل التثقيف والإعلام لتكريس هذه السياسة. وتمارس الولايات المتحدة الأمريكية التي تتربع على عرش الإمبراطورية العالمية الجديدة السياسة نفسها في العالم الإسلامي والعربي، فإنها تستغل قوتها وجبروتها في فرض إسلام على الطريقة التي تريدها،

ليكون بديلاً عن الإسلام الأصيل، وهي تسخر كل وسائل التثقيف والإعلام في حكومات الدول الإسلامية الخاضعة لسلطانها لتكريس هذه السياسة.

٢ ـ إضفاء ثوب الشرعية الدينية علىٰ حكومة بني أمية، وما تفعله في المجتمع، وقد سخّرت هذه الحكومة لتحقيق ذلك وعاظ السلاطين وفقهاءهم والرواة والمحدّثين الذين آثروا الحياة الدنيا علىٰ الآخرة. وتمارس الولايات المتحدة السياسة نفسها علىٰ دول الشرق الأوسط، فإنها تضفي ثوب الديمقراطية علىٰ تدخلاتها في شؤون دول المنطقة، وعلى احتلالها العراق، وستلبس الثوب نفسه لاحتلال دول أخرى، وإقامة شرق أوسط كبير. وهي تسخر عملاءها من المثقفين والكتّاب ووسائل الإعلام للتأثير علىٰ فكر الشعوب من أجل قبولها بهذا الثوب الجميل مظهره.

٣ ـ استخدمت الدولة السفيانية سياسة تخويف الناس بالحرب وقطع الأرزاق، وترغيبهم بالجنة الأرضية التي تنتظرهم إذا سلموا القيادة إليها، واستعملت لتحقيق ذلك الخداع والتضليل الديني في إظهار نفسها قائداً حريصاً علىٰ دين الله وتطبيق أحكامه. وتمارس الولايات المتحدة السياسة نفسها مع الشعوب والحكومات.

٤ ـ ضرب المعارضة، وهم أتباع علي والحسن وشيعتهما، وقتل أي معارض للحكم الأموي، وتغييب أي متصدّ للانحراف عن خط الإسلام الأصيل، وإسكات صوت أي منكر للظلم. وكانت الدولة السفيانية تنتهك حقوق الإنسان في معاملة خصومها ومعارضيها. وكذلك تفعل الولايات المتحدة مع من يعارضها، أو ينكر عليها ما تفعله من ظلم، أو يتصدّى لأيّ انحراف عن خط الإسلام الأصيل، في العراق وأفغانستان، وغيرهما من الدول التي يصل سلطانها إليها.

٥ ـ تفتيت وحدة الأمة الإسلامية، بإحياء القومية التي أماتها الإسلام، فقد جعلت الدولة السفيانية للعرب امتيازات خاصة علىٰ غيرهم من القوميات

الأخرى، وفضلتهم في العطاء، وجعلتهم سادة، وغيرهم العبيد، وفرّقت بين القرشي وغير القرشي من العرب في العطاء والامتيازات، وشجعت على ظهور الفرق الإسلامية. وتتبع الولايات المتحدة السياسة نفسها في العالم الإسلامي، فإنها تعمل على إيجاد الفرقة بين العرب وغير العرب من المسلمين، كما تعمل على إيجاد الفرقة والاختلاف بين المذاهب والفرق الإسلامية، وهي الآن تسعى إلى زرع بذرة الحرب الأهلية بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وخاصة بين السنة والشيعة، وصولاً إلى تفتيت وحدة الأمة الإسلامية، ليسهل عليها تحقيق إمبراطوريتها العالمية.

٦ ـ نشر الفساد الأخلاقي عن طريق أسلوب الإغراء بالمتع واللهو والغناء وشرب الخمور، وخاصة بين جيل الحجاز وجيل العراق، بقصد إلغاء المناعة الأخلاقية. وقد ظهرت بالفعل بين هذين الجيلين أخلاق الترف والمجون. وكذلك تفعل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها اليهود في العالم كله، وخاصة في العالم الإسلامي. وقد جنّدت لذلك وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية، ليسهل عليها بعد ذلك قيادة العالم وحكمه.

٧ ـ إظهار جبروت بني أمية في دولتهم الجديدة، وفرض هيبتهم وسطوتهم على قبائل العرب كلها، داخل الجزيرة العربية وخارجها. وتتبع الولايات المتحدة السياسة نفسها، فإن ما تفعله في أفغانستان والعراق، وبطشها بمن تسميهم الإرهابيين في كل مكان من الأرض، دون أن يستطيع أحد أن ينكر عليها، كلّ ذلك لإظهار جبروتها وسلطانها في إمبراطوريتها الجديدة، وفرض هيبتها وسطوتها على العالم.

٨ ـ إذلال الأمة باستعمال كل فنون الإذلال، وبسبب ذلك صار المجتمع الإسلامي في عصر الدولة السفيانية غير قادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعلان البراءة من أعداء الله، والجهاد في سبيل الله، وأصبح أيضاً غير قادر على الثورة على الحاكم المستبد الظالم، وغير قادر

علىٰ نصرة المظلومين وإغاثة الملهوفين، لأن سياسة الدولة قد أفقدته عزته وكرامته وإرادته، وأماتت ضميره بشتّى فنون الإذلال. وتتبع الولايات المتحدة السياسة نفسها في العالم العربي والإسلامي، بالتعاون مع الحكام العرب والمسلمين بعد أن جعلتهم خاضعين لها، مؤتمرين بأوامرها. فنرى العرب والمسلمين الآن قد سُلِبت إرادتهم، فلم يعودوا قادرين علىٰ الثورة علىٰ الحاكم المستبد، وغير قادرين علىٰ نصرة إخوانهم المظلومين في فلسطين والعراق، وإغاثة الملهوفين في كل مكان.

٩ ـ اتخذت الدولة الأموية عليَّ بن أبي طالب وذريته وأتباعه أعداء حقيقيين لها، وأباحت سبَّ عليّ والنيل منه علناً علىٰ المنابر. واتخذت الولايات المتحدة الإسلام وحملته الحقيقيين أعداء، وفتحت الأبواب أمام الكتَّاب والألسن لتنال من الإسلام، وتتحدّث عنه بكلِّ سوء.

١٠ ـ لا تلتزم الدولة السفيانية بالمعاهدات والمواثيق إلاّ بقدر مصلحتها وتحقيق أهدافها. وتتبع الولايات المتحدة الأمريكية السياسة نفسها مع الأمم المتحدة، وجميع دول العالم.

وإذا كانت الدولة السفيانية التي أقامها معاوية بن أبي سفيان، وأحيى بها مجد قريش وسطوتها وجبروتها، هي السفياني الأول، فإن إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة التي أقامها بوش الأب وبوش الابن، وأعاد بها مجد إمبراطورية روما وسطوتها وجبروتها، هي السُّفياني الآخر.

إن هذه الإمبراطورية العالمية الجديدة التي أقامها بوش الأب، وبوش الابن تقوم علىٰ ثلاث ركائز، الأولى: هي الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثّل رأس هذه الإمبراطورية وقيادتها، والثانية: هم اليهود، سواء أكانوا في إدارة بوش الأب وبوش الابن ومستشاريهما، أم كانوا في إسرائيل، والثالثة: أوربا، وعلى رأسها بريطانيا. هذا المثلّث الشيطاني يجسّد إمبراطورية الشيطان وهي آخر الإمبراطوريات التي تظهر في آخر الزمن، وهي السفياني الآخِر.

ولمّا كانت الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ رأس هذه الإمبراطورية، وهي التي قامت بعمل متميّز لإقامتها في زمن رئاسة بوش الأب، وبوش الابن، وهي القوة الوحيدة الفاعلة فيها، التي تستطيع ـ بهذه الإمبراطورية ـ أنْ تحكم العالم بعصاً من حديد، فإنَّ رمزية السفياني تتجسَّد فيها، فهي ـ أي الولايات المتحدة الأمريكية ـ السفياني الأكبر، وهي السُّفياني الآخِر الذي يخرج قبيل ظهور المهدي، وهو المقصود في الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله ﷺ، وأهل بيته وأصحابه. ولا يمنع اختصاص الولايات المتحدة الأمريكية برمزية السفياني الآخِر، من أنْ يشاركها في رمزية السفياني ركيزتا إمبراطوريتها وقاعدتاها: اليهود في أمريكا وإسرائيل، ودول أوربا التي تكون بريطانيا علىٰ رأسها.

الفصل الثاني
السُّفياني في التراث الديني

السُّفياني في تراث أهل الكتاب

إذا اعتمدنا التسلسل التاريخي للأديان الإلٰهية في الحديث عن السفياني، فإن ذلك يقتضي أن نبدأ بالحديث عن السفياني في (العهد القديم) أي التوراة.

كتاب (دانيال) أحد أسفار العهد القديم، وقد ورد فيه أن الملك البابلي (نبوخذنصّر) رأى حلماً أطار عنه النوم، ولم يستطع حكيم أو ساحر أو مجوسيٌ أو منجم أن يفسره له، فقرر الملك أن يقتل كل حكيم وساحر ومنجم، ولكن النبي دانيال أخبر (أريوخ) قائد حرس الملك بأنه يستطيع أن يفسر حلم الملك. فأحضر أريوخ النبي دانيال إلى الملك. كان حلم الملك نبوخذنصّر هو أنه رأى تمثالاً عظيماً ضخماً، كثير البهاء، واقفاً أمامه، وكان رأس التمثال من ذهب نقي، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه خليط من حديد ومن خزف. وبينما الملك ينظر إلى التمثال انقضّ حجر لم يقطع بيد إنسان، فضرب التمثال علىٰ قدميه المصنوعتين من خليط الحديد والخزف، فسحقهما، فتحطم الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وانسحقت وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح حتى لم يبق لها أثر. أما الحجر الذي ضرب التمثال فتحوّل إلى جبل كبير، وملأ الأرض كلها[1]. وفسر النبي دانيال

---

(١) العهد القديم، كتاب دانيال: ٢: ٣١ ـ ٣٦ .

الحلم للملك بقوله: أيها الملك فيما أنت مستلق علىٰ مضجعك، انتابتك الأفكار عمَّا يحدث في الأيام المقبلة. والذي يكشف الخفايا عرّفك بما سيكون... أنت أيها الملك هو ملك الملوك، لأن إله السماوات أنعم عليك بمملكة وقدرة وسلطان ومجد، وولاّك وسلّطك علىٰ كل ما يسكنه أبناء البشر، ووحوش البر، وطيور السماء. فأنت الرأس الذي من ذهب. ثم لا تلبث أن تقوم من بعدك مملكة أخرى أقل شأناً منك. وتليها مملكة ثالثة أخرى ممثلة بالنحاس، فتسود علىٰ كل الأرض. ثم تعقبها مملكة رابعة صلبة كالحديد فتحطم وتسحق كل تلك الممالك، كالحديد الذي يدُقُّ ويسحق كل شيء... وكما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، فإنَّ هذه المملكة تعقد صلات زواج مع ممالك أخرى، إنما لا يلتحمون معاً، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفي عهد هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لا تنقرض إلى الأبد.. وتسحق وتبيد جميع الممالك، أما هي فتخلّد إلى الأبد، لأنك رأيت أن الحجر المنقض الذي لم يقطع من الجبل بيدين قد سحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. إن الله العظيم قد أطلع الملك عما سيحدث في الأيام الآتية، فالحلم حقيقة، وتفسيره صدق[1].

وقد فسر علماء أهل الكتاب قول دانيال: فأنت الرأس الذي من ذهب بأنه يرمز إلى الإمبراطورية البابلية. وقوله: ثم لا تلبث أن تقوم من بعدك مملكة أخرى أقل شأناً منك يعني المملكة التي يُرمز لها بصدر التمثال وذراعيه اللذين من فضة، وهي مملكة فارس. ففي سنة ٥٣٩ ق. م هُزمت بابل من قبل جيوش مادي وفارس، فأصبحت هي القوة العظمى الجديدة بعد الإمبراطورية البابلية. وقوله: وتليها مملكة ثالثة أخرى ممثلة بالنحاس، فتسود علىٰ كلِّ الأرض يعني بعد مملكة فارس تقوم مملكة أخرى هي الإمبراطورية اليونانية بقيادة الإسكندر الأكبر الذي هزم الفرس سنة ٣٣١ ق. م، وامتدت

---

(١) العهد القديم، كتاب دانيال: ٢: ٢٩ ـ ٤٥ .

من الهند إلى مصر وأوربا. وقوله: ثم تعقبها مملكة رابعة صلبة كالحديد... التي رُمِز إليها بساقي التمثال اللذين هما من حديد، يعني بها الإمبراطورية الرومانية. ففي سنة ٦٣ ق. م استولى الرومان على الأرض المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وحكمت أكثر من ٥٠٠ سنة. وقد انطبق عليها ساقا التمثال المنفصلتان، لأنها انفصلت إلى إمبراطورية شرقية، كانت عاصمتها القسطنطينية، وإمبراطورية غربية، كانت عاصمتها روما. وقوله: كما رأيت أن القدمين والأصابع هي خليط من خزف وحديد... يعني أن القدمين والأصابع يتشكلان من حديد الساقين، مخلوطاً بالخزف. ولما كان القدمان متصلين بالساقين اللذين هما من حديد، وهما آخر جزء من التمثال فإن ذلك يعني أن الساقين والقدمين ما هما إلاّ مملكة واحدة في هيئتين مختلفتين، فالهيئة الأولى التي رُمز لها بالساقين اللذين هما من حديد هي الإمبراطورية الرومانية، والهيئة الثانية التي رُمز لها بالقدمين اللذين هما من حديد الساقين مخلوطاً بخزف هي انبعاث جديد لإمبراطورية روما المندثرة في ثوب عصري جديد يناسب القرن الحادي والعشرين.

إن الإمبراطورية العالمية الجيدة التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية، باسم النظام العالمي الجديد ما هي إلا انبعاث جديد للإمبراطورية الرومانية. وقد رمز قدما التمثال في رؤيا الملك البابلي إلى هذه الإمبراطورية، لأنها آخر الإمبراطوريات الشيطانية التي تحكم الأرض.

ورمز الحديد في القدمين إلى أن هذه الإمبراطورية تمثل امتداداً لإمبراطورية روما، ورمز الخزف إلى أنها تكون في ثوب عصري يناسب الحياة في القرن الحادي والعشرين. ورمز اختلاط الحديد بالخزف إلى أن هذه الإمبراطورية في ثوبها العصري الجديد تقودها قوة جبارة في العالم، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وأنها تعقد حلفاً مع ممالك أخرى، للحرب على ما تسميه بالإرهاب العالمي.

وقال النبي دانيال: وفي عهد هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لا تنقرض إلى الأبد... إن هذه النبوءة لم تتحقق في عهد الإمبراطورية الرومانية القديمة، ولأجل أن تتحقق لا بدّ من أن تقام في آخر الزمن آخر الإمبراطوريات التي هي في حقيقتها امتداد لإمبراطورية روما. إن الإمبراطورية العالمية التي تقيمها الولايات المتحدة الأمريكية هي تلك الإمبراطورية التي تمثل قدمي التمثال، والتي يضربها الحجر، وهي السفياني في الروايات الإسلامية. أما الحجر الذي يضرب قدمي التمثال فيرمز إلى الإمام المهدي الذي يحطم إمبراطورية آخر الزمن الشيطانية. ويقيم حكم الله في الأرض كلها.

وفي السنة الأولى لحكم بَيلْشاصَّر رأى دانيال حلماً ورؤى مرّت برأسه وهو مضطجع في فراشه، رأى أربعة حيوانات عظيمة صاعدة من البحر، وكل واحد يختلف عن الآخر، فالذي صعد أولاً كالأسد بجناحين كجناحي النسر، ثم صعد الثاني بعده وهو شبيه بالدب، ثم صعد الثالث وهو شبيه بالنمر، وكان الرابع الذي صعد بعد الثلاثة هائلاً وقوياً وشديداً، ذا أسنان ضخمة من حديد، وقد افترس وسحق وداس ما تبقى برجليه، وكان له عشرة قرون[1].

ثم قال دانيال: وفيما كنت أتأمل القرون إذ ا بقرن آخر صغير نبت بينها، واقتُلِعت ثلاثة قرون من أمامه... وكان في هذا القرن عيون كعيون الإنسان، وفم ينطق بعظائم... وشاهدتُ أيضاً وإذا بمثل ابن الإنسان مقبلاً علىٰ سحاب، حتى بلغ الأزليّ فقربوه منه، فأنعم عليه بسلطانٍ ومجد وملكوت.. سلطانه سلطان أبدي لا يفنى، وملكه لا ينقرض[2].

وقد فسر دانيال الحيوانات الأربعة بأربعة ملوك يملكون الأرض... وفسر القرن الذي طلع من رأس الحيوان الرابع بأنه ملك يخرج بعد نهاية

---

(١) العهد القديم، كتاب دانيال: ٧: ١ ـ ٧ .

(٢) المصدر السابق، كتاب دانيال: ٧: ٨ ـ ١٤ .

ملوك المملكة الرابعة، ويختلف عن الملوك السابقين، ويخضع ثلاثة ملوك له، ويُعيّر العليّ، وينكّل بقدِّيسيه، ويحاول أن يغيّر الأوقات والقوانين[1].

وفسر علماء الكتاب المقدس الحيوانات الأربعة بالإمبراطوريات الأربع التي حكمت الأرض، وهي: إمبراطورية بابل، وبعدها إمبراطورية مادي وفارس، ثم إمبراطورية اليونان، ثم إمبراطورية الرومان. وفسروا القرن الصغير الذي طلع بين قرون الحيوان الرابع بأنه انبعاث جديد للإمبراطورية الرومانية في آخر الزمن قبل مجيء ابن الإنسان الذي يُعْطَى سلطاناً ومجداً وملكوتاً. إن ابن الإنسان يرمز إلى الرجل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جوراً وظلماً، ويقيم ملكوت الله في الأرض. أما إمبراطورية آخر الزمن التي تُعَدُّ انبعاثاً جديداً لإمبراطورية روما، فهي السفياني الذي يسبق حدثه مجيء ابن الإنسان.

السُّفياني في العهد الجديد (الإنجيل)

جاءت الإشارة واضحة إلى السفياني في سفر الرؤيا في العهد الجديد، فالقرن الصغير الذي طلع بين قرون الوحش الرابع في رؤيا دانيال، الذي يرمز إلى الإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة، في صورة جديدة، وهيئة عصرية، هو نفسه الوحش الطالع من البحر في رؤيا يوحنّا.

قال يوحنا: إنه رأى نفسه واقفاً علىٰ رمل البحر، وإذا وحش خارج من البحر، له سبعة رؤوس وعشرة قرون... ورأى التنين وهو يعطي الوحش سلطته، ورأى الناس قد عبدوا الوحش، وهم يقولون: مَن مثل هذا الوحش؟ ومَن يجرُؤ علىٰ محاربته؟!

ورأى الوحش يشتم اسم الله، ويشتم بيته، وسكان السماء، ورأى الوحش أُعطي قدرة علىٰ أن يحارب القديسين ويهزمهم، وسلطة علىٰ كلِّ

---

(١) نفسه، كتاب دانيال: ٧: ١٧ ـ ٢٥ .

قبيلة وشعب ولغة وأمة، فيسجد للوحش جميع سكان الأرض[١].

قال علماء الإنجيل في تفسير هذا المقطع من الرؤيا: إن رمل البحر يرمز إلى الأيام الأخيرة، حيث يكثر الارتداد وعدم الرسوخ الروحي. أما البحر فيرمز إلى العالم. والرؤوس ترمز إلى الفطنة الشريرة. والقرون ترمز إلى القوة والقسوة[٢].

وفسروا قوله: أُعطي الوحش قدرة...فيسجد للوحش جميع سكان الأرض بأن هذا الوحش يقيم حكومة عالمية جديدة، ويخضع له كل حكومة ولغة وأمة. وفسروا قوله: وعبدوا الوحش... أن العالم كله سيتّحد في غضون فترة قصيرة للغاية، عندما تحدث فيه أزمة معيّنة، تثير اضطراباً أو هياجاً عظيماً، فيقبل الناس عندئذٍ الخضوع لحكومة الوحش[٣].

وبناءً علىٰ هذا التفسير يمكن القول أنه في الأيام الأخيرة من الزمان يكثر الارتداد عن الدين، وتنحطّ الأخلاق، في هذه الأيام يظهر في العالم وحش (قوة) تديرها سبعة عقول شريرة، تتصف بالدهاء والمكر، و بالقسوة والشراسة، كما كانت إمبراطورية روما قبلها، وأن هذه القوة تقيم إمبراطورية جديدة يكون لها فيها سلطان علىٰ كل حكومة ولغة وأمة، ويخضع لها سكان الأرض جميعاً. إن هذه الأوصاف تنطبق في أيامنا الحاضرة علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة جورج بوش الابن، وإدارته المسيحية المتصهينة، وهؤلاء كما ذكر يوحنا في الرؤيا يشتمون اسم الله إله المسلمين، ويشتمون بيته الذي يحجون إليه.

---

(١) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٣: ١ ـ ٩ .

(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأنبا موسى، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٣) هل يشاهد جيلنا نهاية العالم، نخبة من خدام الإنجيل: ص ١٢٤ .

مَنْ يساعد الوحش علىٰ قيام سلطانه في الأرض؟

ذكر يوحنا أن وحشاً آخر خارجاً من الأرض له قرنان صغيران كقرني خروف، ولكنّ صوته كصوت تنين، وقد استمدّ سلطته من الوحش الأول الذي خرج من البحر، ليعمل بها في حضوره، فجعل سكان الأرض يسجدون للوحش الأول... وقال: وقام الوحش الثاني بآيات خارقة... فخدع سكان الأرض بالآيات التي كان يقوم بها في حضور الوحش الأول، وأمر سكان الأرض أن يقيموا تمثالاً للوحش الأول، وأن يأمر الجميع كباراً وصغاراً، أغنياءَ وفقراءَ، أحراراً وعبيداً، أن يوسَموا بشارة علىٰ أيديهم اليمنى أو علىٰ جباههم، فلا يستطيع أحد أن يبيع أو يشتري إلا إذا كانت عليه شارة الوحش، أو الرقم الذي يرمز لاسمه..[1].

مَنْ هو الوحش الخارج من الأرض؟

قال يوحنا في موضع آخر مشيراً إلى حقيقة الوحش الثاني الخارج من الأرض: فقُبِض علىٰ الوحش وعلى النبيّ الكذاب الذي قام بالمعجزات في حضور الوحش، وأضل بها الذين قبلوا شارة الوحش، وسجدوا لتمثاله[2].

إن الوحش الثاني الخارج من الأرض هو النبيّ الكذاب، فمن هو النبي الكذاب؟ قال نخبة من خدام الإنجيل في تفسير رؤيا يوحنا: إننا نجد فرقاً في الصورة التي يرمز بها الكتاب إلى الوحش والنبي الكذاب. فالوحش له عشرة قرون وسبعة رؤوس، وهو يخرج من البحر. أما النبيّ الكذاب فهو وحش ثانٍ له قرنان فقط، ويخرج من الأرض. وبالنسبة لتوقيت ظهورهما علىٰ مسرح الأحداث نجد أن الوحش سيظهر أولاً، بينما النبي الكذاب سيظهر بعده، (ويستمدّ وجوده وسلطته من الوحش الأول). كذلك يختلف الشخصان

---

(١) العهد الجديد، الرؤيا: ١٣: ١١ ـ ١٨ .

(٢) العهد الجديد، الرؤيا: ١٩: ٢٠ .

في السلطة والمركز العالي الذي يحتله كل منهما، فالوحش سياسي حربي عظيم، أما النبي الكذاب فذو سلطة دينية عالية. وبالنسبة لجنسيتهما، فالوحش أممي الجنسية، أما النبيّ الكذاب فيهودي الجنسية. ولكن هل هناك من تشابه بينهما؟ نعم، هناك نقطتا تشابه بين الوحش والنبيّ الكذاب، فعلى الرغم من اختلاف الشخصيتين اختلافاً جوهرياً في كل شيء، إلا أنهما يتفقان في طبيعتهما الشريرة ومصيرهما الأبدي. فالاثنان يُعرَفان بشرهما الذي ليس له حدود، ومقاومتهما لله ولشعبه أكثر من أي شخص عاش يوماً علىٰ هذه الأرض. أما بالنسبة لمصيرهما الأخير ونهايتهما المحتومة، فيقول الكتاب: فقُبِض علىٰ الوحش والنبي الكذاب... وطُرِح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت.

وقالوا: كما قدّم الرسول يوحنا ذلك القائد السياسي الذي يخرج من الإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة في صورة وحش أول طالع من البحر (رؤيا: ١٣: ١) يقدم لنا شخصاً آخر في صورة وحش ثان، لكنه في هذه المرة طالع من الأرض (رؤيا ١٣: ١١). وكما يرمز البحر للأمم ترمز الأرض لشعب إسرائيل[1]، لأنه قبل مجيء المسيح كانت البشرية تنقسم إلى يهود وأمم. إذاً نفهم من النبوءات أن ذلك الوحش الثاني الطالع من الأرض هو شخص يهودي مرتدّ عن الله الحي، ويدّعي لنفسه الملك (كتاب دانيال: ١١: ٣٦)، كما يدّعي النبوّة (رؤيا: ١٩: ٢٠)، والكهنوت، إذ تصوره لنا النبوءات حاملاً للعمامة التي يلبسها الكهنة[2]. وكان يسوع قد قال لتلاميذه: احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان، ولكنهم من الداخل

---

(١) العهد القديم، المزامير: ١٠: ١٨، ودانيال ١١: ٣٩ و ٤١، والعهد الجديد، رؤيا: ٢٠: ٩.

(٢) العهد القديم، حزقيال: ٢١: ٢٥، وإن كان حزقيال موجهاً كلامه إلى صدقيا الملك، لكن النبوءة تتجه إلى المستقبل عندما يأتي النبي الكذاب الذي جاء يومه في (زمان إتم النهاية).

ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم (متى: ٧: ١٥ ـ ١٦). فسيأتي ذلك النبي الكذاب ويظهر من الخارج في ثياب حمل، بينما من الداخل يكون تنيناً. ويقول الرسول بولس: إن مجيئه سيكون بعمل الشيطان بكل قوة بآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم في الهالكين (تسالونيكي، الرسالة الثانية: ٢: ٩ ـ ١٠). سينجح النبي الكذاب في إقناع اليهود بنبوءته، لكن بقية قليلة وأمينة ستميّز نبوءته الكاذبة من كلماته وأفعاله، إذْ إنها تعرف صوت الراعي الحقيقي من صوت الغريب.

وقالوا عن علاقة النبي الكذاب بالوحش: يقول دانيال: إن الوحش سوف يثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد. وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة (دانيال: ٩: ٢٧). أي يبرم الوحش في أول الأسبوع معاهدة مع الشعب اليهودي عن طريق النبي الكذاب لحمايتهم في بلادهم وفي عبادتهم... ونتيجة لهذا التحالف الشيطاني سيعمل النبي الكذاب بكل سلطان الوحش الروماني، ويكون له بمثابة نبيّ وكاهن (إذْ يُكرِم إله الحصون، وهو إله لم يعرفه آباؤه...) (دانيال: ١١: ٣٨) فإله الحصون (في دانيال) ما هو إلاّ الوحش، ذلك القائد الحربي الذي تعجّبت كل الأرض وراءه قائلة: مَنْ هو مثل الوحش؟ مَنْ يستطيع أن يحاربه؟.

وبعد هزيمة التنين (الشيطان) وجنده في حربه مع ميخائيل وملائكته في السماء (رؤيا ١٢: ٧، ١٢)، يبدأ الشيطان في تحريك آلتيه البشريتين (الوحش والنبيّ الكذاب) بوحشية مرعبة، فيفتح الوحش فمه بالتجاديف على الله، وعلى اسمه ومسكنه والساكنين في السماء (رؤيا: ١٣: ٦). وفي ذات الوقت يصنع النبي الكذاب صورة للوحش، ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورته يُقتَلون (رؤيا ١٣: ٦). هذا الوثن الموضوع في هيكل الله في أورشليم هو رِجْسةُ الخراب التي قال عنها دانيال ويسوع (دانيال ١٢: ١١، ومتى ٢٤: ١٥). إذْ يجعل النبي الكذاب اليهود يسجدون للوحش، كما

يعبدونه هو شخصياً كنائبه وممثله. (تسالونيكي، الرسالة الثانية: ٢: ٤)[١]

وكما ينطبق الوحش الأول الخارج من البحر على الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيسها الذي يكون رئيساً للإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة، ينطبق الوحش الثاني الخارج من الأرض الذي سُمِّي بالنبي الكذاب على إسرائيل ورئيسها المتحالف مع الوحش، وعلى اليهود الصهاينة الذين أسسوا إسرائيل، ويدعمونها بالمال والسلاح والمواقف السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تتزعّم التحدّي السافر مع الله تعالى، وتقود العالم في طريق هذا التحدي نحو الانحراف الديني والأخلاقي، قد رُمِزَ لها في رؤيا يوحنا بـ(بابل الزانية)، لأن بابل التي بناها نمرود، وشرع في بناء صرحها صارت رمز التحدي السافر لله تعالى على مرّ الزمان، ولذلك ارتبط اسم بابل في الكتاب المقدس بكلِّ تجمع بشري عظيم، يتصدّى في كبرياء لله تعالى. قال يوحنا: وجاء واحد من الملائكة السبعة حاملي الكؤوس السبع، وقال لي: تعال فأريك عقاب الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة، والتي زنى معها ملوك الأرض، وسكر أهل الأرض من خمر زناها..[٢].

قال مفسرو الإنجيل: الزانية رمز للانحراف عن الله، ووُصِفت بالزانية، لأنها تنحرف بالناس بعيداً عن الله. ووُصِفت بالعظيمة، لفرط قوتها الشريرة وتأثيرها على الناس.

ووُصِفت بأنها جالسة على مياه كثيرة، لأنها تُخضِع لسلطانها الشرير وغوايتها المدمرة شعوب الأرض. ووُصِفت بأنها (زنى معها ملوك الأرض)

---

(١) هل يشاهد جيلنا نهاية العالم، نخبة من خدام الإنجيل: ص ٩١ ـ ٩٥ .

(٢) العهد الجديد، الرؤيا: ١٧: ١ ـ ٢ .

إشارة إلى البذخ والغنى المادي، وكيف تقود الناس للبعد عن الله. ووُصِفت بأنها (سكر أهل الأرض من خمر زناها) إشارة إلى الخطيئة التي يفعلها الناس بسبب إغواءها، لأن الخطيئة كالخمر ينتشي بها الإنسان للحظات، ثم يكتشف أنها دمّرت حياته[1].

إننا نستطيع أن نستنتج دون عناءً مما جاء في الكتاب المقدّس بقسمَيْه العهد القديم والعهد الجديد، حول القوة التي تعيد إلى الحياة إمبراطورية روما، وتحكم العالم بها: أنّ الولايات المتحدة الأمريكية المتحالفة مع إسرائيل واليهود الصهاينة للسيطرة علىٰ العالم، هي تلك القوة، التي سُمِّيت في تراث أهل الكتاب بـ(الوحش)، وفي تراث المسلمين بـ(السفياني).

السُّفيانيّ في تراث المسلمين

عرفنا أن السُّفياني الأول هو الدولة السفيانية التي أسسها معاوية بن أبي سفيان، وعرفنا أن السفياني الآخِر الذي يكون ظهوره مقدّمة وعلامة رئيسة لظهور الإمام المهدي عليه السلام هو الإمبراطورية التي تقيمها الولايات المتحدة الأمريكية بالتحالف مع إسرائيل واليهود الصهاينة، وبمساندة دول أوربا. وفي هذا الجزء من البحث نريد أن نسلط الأضواء علىٰ السفياني الآخِر، كما جاء في التراث الإسلامي. ومن الجدير بالذكر هنا أن الرمزية التي كانت مستعملة في النصوص الواردة في العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس، هي نفسها مستعملة في النصوص الإسلامية. فلا بدّ من التعامل معها، وعدم تفسير النصوص علىٰ ظواهرها.

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأنبا موسى: ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

اسمه في النصوص الإسلامية

ذكرت بعض الروايات أن السُّفياني من وُلْدِ خالد بن يزيد بن أبي سفيان[1]، وذكر بعضها أن اسمه عثمان بن عنبسة، من ولد أبي سفيان[2]. وعلى الرغم من أن هذه الروايات التي ذكرت اسم السفياني هي من روايات العامة الضعيفة السند، ولكنها متفقة علىٰ أنه ينتسب إلى أبي سفيان. ولو افترضنا صحتها فإنه يمكن حملها علىٰ الرمزية المستعملة في روايات السفياني والمهدي. فانتسابه إلى أبي سفيان يرمز إلى الموقف الذي وقفه أبو سفيان من الإسلام الذي جاء به رسول الله محمدﷺ، وإلى الخط الذي انتهجه أبو سفيان وابنه معاوية، لإعادة مجد قريش المندثر، وجبروتها التي كسرها الإسلام، ويرمز إلى العمل المتميّز الذي قام به معاوية بن أبي سفيان لإقامة الدولة السفيانية التي تُعَدّ السفياني الأول. أما السفياني الآخِر فلا بدّ ـ لأجل معرفته ـ من دراسة النصوص التي تحدّد هويته.

نصوص تحدّد هوية السُّفياني الآخِر

في التراث الإسلامي نصوص تدلّ علىٰ هوية السفياني الآخِر، ومن هذه النصوص :

١ ـ أخرج الشيخ المفيد في (الاختصاص)، والنعماني في (الغَيْبة)، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقرعليه السلام، أنه قال: . . . ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة، فيفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً علىٰ أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة. . . وينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي منادٍ من السماء: يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم

---

(١) المهدي الموعود المنتظر، نجم الدين العسكري: ٢ ـ ٧٩ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٠٥ .

إلا ثلاثة نفر، فيحوّل الله وجوههم إلى أقفيتهم، وهم من (كلب)، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾[1]. قال: والقائم يومئذٍ بمكة..[2].

إن قوله: (وهم من كلب)، وكذلك الآية التي وردت في الرواية علىٰ أنها نزلت في جيش السفياني الذي يُخسَف به في بيداء المدينة المنورة، يمكن أن يُلقيا الضوء علىٰ هوية السفياني. إن كلب قبيلة عربية كانت تدين بالنصرانية، وهي من القبائل التي كانت توالي الروم، وتعيش تحت مظلة الإمبراطورية الرومانية، وقد استُعملت في الرواية للرمز إلى الروم النصارى. كما جاء في (عقد الدرر) أن السفياني يخرج في كلب، وهم يحيطون علىٰ سائر الشام[3]. إن الذين يحيطون علىٰ سائر الشام هم الروم بلا شك. أما من جهة الآية الكريمة التي وردت في الرواية، فإن الخطاب فيها موجّه إلى أهل الكتاب، فإذا كانت قد نزلت في جيش السفياني الذي يُخسف به في بيداء المدينة المنورة، فهذا دليل علىٰ أن جيش السفياني من أهل الكتاب، والجيش هنا مضاف إلى السفياني، والجيش لابد أن يكون تابعاً إلى دولة. إذاً السفياني دولة من أهل الكتاب. وهذه الدولة هي الولايات المتحدة الأمريكية التي أقامت في أيامنا الحاضرة ـ بالتحالف مع اليهود وإسرائيل ـ إمبراطورية عالمية أحيت بها إمبراطورية روما.

٢ ـ أخرج في إكمال الدين، بسنده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: إنك لو رأيت السفياني رأيت أخبث الناس. أشقر أحمر أزرق... [4]

الشقرة: بياض مشرب بحمرة، ويطلق الأشقر أحياناً علىٰ الأبيض. إن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٧ .

(٢) الاختصاص: ص ٢٥٥، والغَيْبة: ص ١٥٢ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٢ .

(٤) إكمال الدين، ص: ٦١٠ .

لهذه الألوان الثلاثة دلالة رمزية علىٰ هوية السفياني. إنها ترمز إلى الراية أو العلم الذي يُعرف به السفياني وهي ألوان أساسية وأصلية في علم الولايات المتحدة الأمريكية، ومشتركة في أعلام بعض دول أوربا الغربية، وخاصة بريطانيا، كما أن الأبيض والأزرق لونان أساسيان في علم إسرائيل. إن السفياني بناءً علىٰ رمزية هذه الرواية هو من أهل الكتاب، وإذا أضفنا إلى رمزية الألوان الخبث الذي وصفته به الرواية نجد أن الوصف ينطبق علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية التي أقامت الإمبراطورية الطالعة إلى الدنيا في أيامنا الحاضرة بالتحالف مع إسرائيل واليهود الصهاينة وبعض دول أوربا.

٣ ـ أخرج الطوسي في (كتاب الغَيْبة)، عن بشر بن غالب مرسلاً: يقبل السفياني من بلاد الروم منتصراً، في عنقه صليب ، وأخرج المجلسي في البحار، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: يخرج السفياني براية حمراء وصليب من ذهب[1].

(بلاد الروم) يراد بها أوربا الغربية في العصور القديمة، ويضاف إليها الولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الحاضر، وشعوبها من أهل الكتاب، كما يمكن القول بأن اليهود الذين أقاموا دولة إسرائيل في فلسطين، واستوطنوها يشملهم لفظ (الروم)، لأن أكثرهم جاؤوا من بلاد الروم. ويرمز الصليب إلى ديانة السفياني، فهو من أهل الكتاب، كما يرمز إلى تظاهر السفياني بالتدين، ولكنه يخفي في نفسه حقيقة شيطانية. وقوله: (منتصراً) يدل علىٰ أنه يأتي من بلاد الروم وهو يمتلك القوة العظيمة التي لا يستطيع أحد أن يقف أمامها. وقوله: (براية حمراء) يرمز إلى دمويته وسفكه الدماء حين يخرج من بلاده لإقامة إمبراطوريته. إن هذه الرموز تدل دلالة واضحة علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت من بلادها بالتحالف مع اليهود وبعض دول أوربا، لإقامة إمبراطوريتها العالمية.

---

(١) كتاب الغَيْبة، ص: ٢٧٨، والبحار: ٥٣ ـ ٨٢ .

٤ ـ أخرج السيوطي في (العرف الوردي)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: يجلبنَّ الروم علىٰ والٍ من عترتي اسمه يواطئ اسمي، فيقتتلون بمكان يقال له العُماق (الأعماق). وأخرج مسلم في صحيحه الحديث بألفاظ أخرى[١].

(العُماق): كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية. أجمعت الروايات التي تحدثت عن المهدي أن السفياني هو الذي يحتل بلاد الشام في خطوة استباقية للتصدي للمهدي، ويحشد قواته في بلاد الشام، وخاصة في هذا المكان. وهذه الرواية تشير إلى أن الروم هم الذين يحشدون جيوشهم في بلاد الشام، وفي هذا المكان خاصة، لقتال المهدي الذي يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ. وفي هذا دليل واضح علىٰ أن السفياني هو الإمبراطورية العالمية التي تقيمها الولايات المتحدة الأمريكية في أيامنا الحاضرة، بالتحالف مع اليهود، وبعض الدول الأوربية.

٥ ـ أخرج النعماني، عن جابر بن يزيد الجعفي، (وهذا الحديث يعرف بموثقة جابر)، عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام حديثاً طويلاً عن السُّفيانيّ، ومما قال فيه: ثم لا يكون له (أي السفياني) هِمّةٌ إلا الإقبال نحو العراق..[٢]. وأخرج في عقد الدرر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر حديثاً عن السفياني، ومما قال فيه: ثم لا يكون له همٌّ إلا القتل نحو العراق[٣]

يدلُ الحديث السابق علىٰ أن العراق يملأ تفكير السفياني، ويشغل مساحة كبيرة من إستراتيجيته، وأنه مصمم أشدّ تصميم علىٰ الإقبال نحو العراق، ولا يشغله أي شيء آخر سوى احتلال العراق، مهما كان الثمن، ولو كان الثمن قتل العراقيين جميعاً. وقد تقدّم أن الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٦، والفتن، عن صحيح مسلم، الحديث (٢٨٩٧).
(٢) الغَيْبة: ١٨٧.
(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٦، نقلاً عن عقد الدرر: الحديث (١٣٦).

اتَّخذت العراق طريقاً لتنفيذ خطتها في مرحلتيها الأولى والثانية، للوصول إلى هدفها في إقامة إمبراطوريتها العالمية، بالتحالف مع اليهود الصهاينة وبعض الدول الأوربية. وقد رأينا أن الولايات المتحدة وحلفاءها وقفوا جميعاً، وهمَّ يؤشرون نحو خريطة العراق، ويصيحون: العراق. . .العراق. .وأصبح هم الجميع العراق، وليس لهم همٌّ سوى العراق. ثم تمّ بعد ذلك احتلال العراق يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣ م.

٦ ـ حديث جابر المشهور، عن الإمام الباقر عليه السلام، ومما قال فيه مما يكون قبل ظهور المهدي: مارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هَرْج الروم. . . وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة. .[1].

المارق: الخارج عن الدين، يقال: مرق من الدين: خرج. والهرْج: القتل. يشير الحديث إلى جماعة تخرج عن الدين وعن المجتمع الدولي، ويكون موطنها أرض الترك.

والترك عند العرب جيل من العجم، واحده تركي[2]. وقال ياقوت الحموي: الترك من نسل ترك بن يافث بن نوح، وأرضهم ما بين مغارب الهند إلى مشارق الروم[3]. فناحية الترك المذكورة في الحديث تشمل منطقة باكستان وأفغانستان وتركمانستان. ومعنى الحديث أن جماعة في تلك الناحية تقوم بأفعال خارجة عن الوضع الدولي وعن الدين الإسلامي الأصيل، يعقبها قيام الروم بقتلهم وقتل من ينتمي إليهم أو يؤيدهم. وينطبق هذا الوصف علىٰ طالبان الذين حكموا أفغانستان مدة من الزمن، كما ينطبق علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية التي وجهت تهمة القيام بعمليات إرهابية لهم، ولما سُمِّي بجماعة القاعدة الذين يعيشون معهم، ثم أعقب ذلك توجيه ضربات ماحقة لهم، فقتلتهم وقتلت مؤيديهم، وما زالت تلاحقهم بالقتل.

---

(١) السفياني وعلامات الظهور: ٣٧ .
(٢) المعجم الوسيط: (ترك) .
(٣) معجم البلدان: ١ ـ ١٨ .

ويذكر الحديث أيضاً (مارقة الروم)، تخرج من بلادها، وتنزل الرملة. والرملة في اللغة قطعة من الرمل. وتسمى الأرض التي فيها رمل (رملة) أيضاً. والرملة موضع بفلسطين. والرملة موضع نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ[1]. والرميلة: موضع في جنوب العراق.

إن (مارقة الروم) ترمز إلى دولة بعينها، وهي أمريكا. إن أصل التسمية بـ(أمريكا) عربي، فقد اكتشف العرب أمريكا قبل كولمبس، وكان الإدريسي قد أطلق علىٰ ما يُسمى أمريكا اليوم اسم (المارقة) حين رسم خريطة العالم، لأنها خارجة في ذلك الوقت عن قارات العالم المعروفة. وكما هو الحال في انتقال الكلمة من أصلها العربي إلى اللغات الأوربية، فقد حصل حذف وتغيير في أصوات الأصل العربي، كما هو الحال في كثير من الكلمات العربية التي انتقلت إلى اللغات الأوربية، فحُذِفت لام (ال)، وقُلِبت القاف كافاً فصارت (اماركة)، ثم جرت علىٰ ألسنتهم (America). وبالعودة إلى الحديث فإن (مارقة الروم) (أمريكا الروم) تخرج من بلادها، وتأتي إلى بلاد العرب. وإذا أخذنا (الرملة) بالمعنى اللغوي فإن أمريكا جاءت إلى رمال العرب في الكويت والسعودية وقطر والعراق. وإذا أخذنا الرملة بأنها موضع نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد، فإن أمريكا نزلت هذا الموضع بالذات حين احتلت بغداد يوم ٩/٤/٢٠٠٣ م. وإذا أخذنا الرملة بأنها موضع في فلسطين، فإن أمريكا دفعت بأعداد كبيرة من اليهود الأمريكان إلى الهجرة إلى فلسطين، ولابدّ أنهم نزلوا في رملة فلسطين. ويحتمل أن تأتي أمريكا بجيوشها إلى هذا الموضع استعداداً لمواجهة المهدي في معركة سهل (مجِيدو) (هرمجدون) التاريخية.

٧ ـ أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تقوم الساعة حتى يَحْسِرَ الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه»**[2].

---

(١) معجم البلدان: ٣ ـ ٦٩ .

(٢) كتاب الفتن، عن صحيح مسلم، الحديث: (٢٨٩٤) . وفي رواية: (عن كنز من ذهب).

وأخرج في عقد الدرر بسنده عن كعب الأحبار، قال: يكون بناحية الفرات في فتنة الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتتلون علىٰ الأموال، فيُقتَل من كل تسعة سبعة[1].

وفي مخطوطة ابن حماد، بسنده عن النبيّ ﷺ أنه قال: **ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة، فيقتل عليه من كل تسعة سبعة**[2].

وأخرج في روضة الكافي، عن ميسَّر، وهو ما عُرِف بصحيحة ميسّر، قال: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عليّ بن عقبة، عن أبيه، عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يا ميسر، كم بينكم وبين قرقيسيا، قلتُ: هي قريبة علىٰ شاطئ الفرات، قال: أما إنّه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض، مأدبةٌ للطير، تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء، يهلك فيها قيس، ولا يدعى لها داعية. قال: ورَوى غير واحد، وزاد فيه: وينادي منادٍ هلمُّوا إلى لحوم الجبارين[3].

وأخرج النعماني في الغَيْبة، عن جابر، في حديث عن السفياني، وهو ما عُرِف بموثَّقة جابر، قال: . . . ثم لا يكون له همّةٌ إلاّ الإقبال نحو العراق، ويمرّ جيشه بقرقيسيا، فيقتتلون بها، فيُقتل من الجبارين مائة ألف[4].

إن الروايات الثلاثة الأولى تخبر عن انكشاف الفرات عن جبل من ذهب، (والجبل يرمز إلى الشيء الكثير). وسواء أكان المقصود بالذهب في تلك الروايات هو المعنى الحقيقي للذهب، أم كان المقصود به المعنى المجازي، وينطبق علىٰ النفط، فإنَّ تلك الروايات تخبر عن مجيء جيوش

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٤٧ .

(٢) السفياني وعلامات الظهور: ١٣١، نقلاً عن مخطوطة ابن حماد: ٩٢ .

(٣) روضة الكافي: ٤٥١ .

(٤) الغَيْبة: ١٨٧ .

عظيمة من بلدان مختلفة، يدفعهم الحصول علىٰ نصيب من الكنز الذي يكون في تلك المنطقة، وإن هذه الجيوش سوف تختلف فيما بينها علىٰ نصيب كل منهم من الكنز، فيقتتلون فيما بينهم، وتنشب بينهم معركة كبيرة يُقتل فيها من كل تسعة سبعة.

وفي هذا الصدد يقول بعض الباحثين المهتمين بالمسيحيين المتطرفين: إن تيار بوش الابن يقولون إن العراق احتلت جزءًا كبيراً في كتب (الميثوديتس)، وأن المسيح مثل الذهب الخالص النقي، وأن هذا الذهب يجب أن يحيط به عند ظهوره لهذا العالم، وبكميات ضخمة. وأن هذا الذهب لا بدّ أن يأتي من إحدى الدول القريبة من أورشليم. ويقول: وتعتقد طائفة الميثوديتس أن الذهب وُضِع في هذه الدولة (العراق)، لأنه يجب أن يكون هناك اقتتال عنيف علىٰ الذهب... وترى كتبهم أيضاً أن هذا الذهب ذو مواصفات معينة لن يوجد في أي دولة مسيحية، ولكن سيوجد في دولة يدين أهلها بالإسلام، وأن خصائص هذه الدولة تنطبق علىٰ العراق، وأن جبل الذهب ما زال موجوداً داخل العراق، وإن لم يتم اكتشافه بعد. ولذلك فإن بوش وفق هذه المعلومات كان يوجه قادة البنتاجون بأن تهتم الأقمار الصناعية الأمريكية بتصوير الجبال العراقية، وتحليل الصور بواسطة علماء متخصصين في الجيولوجيا[1].

وتخبر صحيحة ميسر، وموثقة جابر عن مرور جيش السفياني بقرقيسيا، وحصول معركة عظيمة بين جيش السفياني وجيوش أخرى لم تذكرهم الروايتان، فيُقتل في هذه المعركة عدد كبير من الجبارين في الأرض، وصفتهم موثقة جابر بـ(مائة ألف). ويرى الشيخ الكوراني أن الطرف المنافس للسفياني في الحصول علىٰ الكنز هم الترك والروس، ولكن السفياني ينتصر

---

(١) الحروب المقدّسة، ياسر حسين ومحمد بسيوني: ١٠١ ـ ١٠٢ .

عليهم جميعاً[1].

إنَّ صحيحة ميسر تحوي المعلومات التالية :

١ ـ إنَّ قرقيسيا تقع علىٰ نهر الفرات.

٢ ـ إنَّ حرباً عظيمةً تقع في قرقيسيا، لم يكن مثلها، ولا يكون.

٣ ـ إنَّ أعداداً كبيرة من المتقاتلين، ومعهم القادة الجبارون يلقون حتفهم فيها، فتكون مأدبة لطيور السماء، وسباع الأرض.

٤ ـ يهلك في هذه الحرب قيس، ولا يدعى لها داعية. و(قيس) يُرمَز بها إلى الجيوش القادمة من مصر.

أمَّا موثقة جابر فاحتوت علىٰ المعلومات التالية :

١ ـ مرور جيش السفياني بقرقيسيا.

٢ ـ اقتتال هذا الجيش مع جيوش أخرى في هذه المنطقة.

٣ ـ هلاك مائة ألف من الجبارين (أي قادة الجيوش) في هذه الحرب.

وقرقيسيا اسم قديم أُطلِق علىٰ بلدة كانت تقع علىٰ نهر الفرات بالقرب من مصب نهر الخابور، وتبعد عن بلدة الرحبة بحوالي ستة فراسخ[2]. وبعد رؤية الخريطة وجدتُ أن هذه المنطقة تقع داخل حدود سوريا، وهي قريبة جداً من مدينة القائم التي تقع علىٰ الحدود العراقية السورية، وهي تبعد من ناحية أخرى حوالي مائتي كيلومتر عن الحدود التركية. وقد وجدتُ أنه قد أُعلِنَ سنة ١٩٨٩م عن اكتشاف نفط بكميات تجارية في ناحية دير الزور بسوريا[3].

وبالرجوع إلى الروايات الثلاث الأولى، وروايتي ميسر وجابر، نجد

---

(١) عصر الظهور: ٩٤ .

(٢) معجم البلدان: ٤ ـ ٣٢٨ .

(٣) السفياني وعلامات الظهور: ١٣٠، نقلاً عن مجلّة الحوادث.

وجود مشتركات بينها، مثل: الحديث عن منطقة علىٰ نهر الفرات، ومجيء جيوش كثيرة إلى هذه المنطقة، ونشوب حرب عظيمة بين تلك الجيوش، وهلاك أعداد كبيرة منها. إنَّ وجود هذه المشتركات بين تلك الروايات جميعاً يجعلنا نرجّح كونها تخبر عن حدث واحد، وهو الحرب في قرقيسيا، التي يكون السفياني طرفاً رئيساً فيها. وهذا يعني أنَّ جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تكون طرفاً رئيساً في هذه الحرب، وقوّة فاعلة فيها، والعمليات العسكرية والحربية التي تقوم بها جيوش الولايات المتحدة بالقرب من هذه المنطقة، قريباً من الحدود السورية، ترجح ما ذهبنا إليه. أمَّا كيف تحدث حرب قرقيسيا؟ ومتى تحدث هذه الحرب؟ فإني أسوق إلى القارئ الكريم الاحتمالين التاليين :

الاحتمال الأول: أنَّ هذه الحرب تقع بعد احتلال السُّفياني العراق.

الاحتمال الثاني: أنّ هذه الحرب تقع بعد استيلاء السُّفياني علىٰ كامل بلاد الشام (أي علىٰ الكور الخمس).

وإذا أخذنا حصول الاحتمال الأول فإنَّ هذا يعني أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تقرّر اجتياح الحدود السورية، والاندفاع إلى داخل سوريا، للسيطرة علىٰ المنطقة التي تعلم الولايات المتحدة أنَّ فيها الكنز، أو جبل الذهب الذي أخبرت عنه الروايات السابقة، وأخبر عنه الإنجيل في سفر الرؤيا. فقد ذكر سفر الرؤيا (بابل) وشبّهها بامرأة تلبس ملابس من أرجوان وقرمز، وتتحلّى بالذهب والحجارة الكريمة واللُّؤلؤ، وتجلس علىٰ وحش له سبعة رؤوس، وأنّ هذه الرؤوس السبعة ترمز إلى سبعة جبال [سفر الرؤيا :١٧]. إنّ ما جاء في سفر الرؤيا إضافةً إلى ما أخبرت به الروايات في التراث الإسلامي هو الذي اعتمدته طائفة (الميثودتس) في الإيمان بوجود الكنز المتمثّل في الجبال السبعة، وتؤمن الطائفة بأنَّ الجبال السبعة هي جبال من الذهب الخالص تجلس عليها بابل (أي العراق). وتؤمنُ أيضاً بأن الإنجيل قد حدّدَ المنطقة

التي توجد فيها جبال الذهب بأنها منطقة الفرات، وأنه سيكون في هذه المنطقة اقتتال علىٰ هذا الكنز، فقد جاء في سفر الرؤيا: صدر الأمر للملائكة الكبار عند نهر الفرات العظيم، لكي يقتلوا ثلثي الناس [الرؤيا: ٩]، وجاء في موضع آخر: وسكب الملاك السادس كأسهُ علىٰ نهر الفرات، فجفَّ ماؤُهُ، ليصير ممرًا للملوك القادمين من الشرق [الرؤيا :١٦]. وهذه المنطقة تمتد من مدينة القائم داخل الأراضي العراقية إلى منطقة قرقيسيا داخل الأراضي السورية. وهذا يعني أنَّ الهدف من اجتياح الحدود السورية هو السيطرة علىٰ جزء من الأرض السورية. وسوف تتبيَّن دوافع هذا العمل الخطير وقت وقوعه.

وبهذا يمكن أنْ نُدرك لماذا أطلقت الولايات المتحدّة الأمريكية اسم (النهر الكبير) علىٰ إحدى عملياتها العسكرية التي نفّذتها في منطقة القائم والمناطق المجاورة لها. إنَّ العمليات العسكرية والحربية التي تقوم بها قوات الولايات المتحدة في منطقة الفرات قريباً من الحدود السورية سرُّها الحصول علىٰ الكنز أو جبال الذهب قبل أنْ يصل إليه غيرها، والتواجد العسكري في تلك المنطقة استعداداً لتلك الحرب التي ستقع بين الأطراف الساعية لامتلاك الكنز. إنَّ الهدف الرئيس من وراء تلك العمليات العسكرية هو إجبار سكان تلك المناطق علىٰ النزوح منها. أي تهجيرهم من مناطقهم بالإكراه، لكي تخلو تلك المناطق تماماً من أيِّ وجود سكاني عراقي إلاّ الوجود الأمريكي.

وحين تحين ساعة السيطرة علىٰ مناطق الكنز، أو جبال الذهب السبعة تتحرّك جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تحت مبرّر إقامة الديمقراطية في سوريا، أو إسقاط النظام السياسي في سوريا بحجة كونه مسؤولاً عن حالة عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. وستجد الولايات المتحدة الغطاء الشرعي لهذا التحرك العسكري، لأنه لا يعجزها الحصول علىٰ قرار من مجلس الأمن يعطيها الغطاء الشرعي لهذا التحرك العسكري، وسوف تتحرّك

معها جيوش الدول المتحالفة معها (الجيوش المتعدّدة الجنسية) من العراق إلى داخل الأراضي السورية أيضاً، وقد يخرج معها عدد كبير من المرتزقة العراقيين الذين أعدتهم الولايات المتحدة، ودرّبتهم تدريباً جيداً.

أمَّا كيف يحصل الاقتتال بين جيوشٍ كثيرة مختلفة في تلك المنطقة فهناكَ سيناريوه محتمل، وهو كما يلي: إذا افترضنا صحة وجود الكنز أو الجبال السبعة من الذهب الخالص في تلك المنطقة فإنَّ جيوش الولايات المتحدة الأمريكية يصدر لها القرار في وقتٍ مُعَيَّن باجتياح الحدود السورية والاندفاع نحو منطقة قرقيسيا، وتشاركها في هذا التحرّك العسكري القوات المتعدّدة الجنسية الموجودة في العراق كما ذكرنا قبل قليل، وليس بالضرورة أن تكون زعامات الدول التي تعود إليها القوات المتعددة الجنسية العاملة في العراق علىٰ علم بحقيقة الكنز الذهبي، وبأهداف الولايات المتحدة من وراء تحركها العسكري هذا. وحين تصل هذه الجيوش إلى المنطقة التي تسمّى بـ(قرقيسيا) تواجه مقاومة شديدة من السوريين، ولم تكن الولايات المتحدة قد حسبت حساباً لمثل هذه المقاومة، فتطول بسبب ذلك أيام الحرب، ولا تستطيع الجيوش الأمريكية حسمها في وقت قصير، فقد جاء في بعض الروايات التي تحدّثت عن توجّه السُّفياني إلى سوريا، أنَّ السُّفياني يدخل الحدود السورية، ولكنّه لا يستطيع أن يصل إلى عمق الأراضي السورية إلاّ بعد ستّة أشهر من الحرب الشديدة بين جيوشه وبين السوريين[1]. وفي أثناء أيام الحرب والمواجهة بين السوريين والجيوش الأمريكية، تأتي إلى سوريا أعداد كبيرة من المقاومين والمدافعين عن سوريا، من جميع الدول العربية والإسلامية، فيتسبّب ذلك في تعقيد مجريات الحرب وإطالتها، وتكبّد الجيوش الأمريكية خسائر كبيرة.

إنَّ هذه الحرب الطويلة تتسبّب في انشقاق المجتمع الدولي، واختلاف

---

(١) الغَيْبة، للنعماني: ٢٠٢ .

الدول في مواقفها منها، وينتج عن هذا الانشقاق والاختلاف أنْ تقرّر بعض الدول دخول الحرب إلى صالح الولايات المتحدة، وتقرر دول أخرى دخول الحرب إلى صالح سوريا، ومنها دول عربية وإسلامية، وتشير صحيحة ميسر إلى مصر، وأنها تدخل الحرب ضدّ الولايات المتحدة الأمريكية لصالح سوريا.

ويتزامن مع هذه الحرب التي تدور رحاها في منطقة قرقيسيا أنْ تنشر وسائل الإعلام العالمية أخبار وجود الكنز الذهبي، وكشف السرّ من وراء هذا التحرّك العسكري الأمريكي. وحينئذٍ يُقرّر قادة الدول التي تعود إليها تلك الجيوش أنْ تشترك جيوشهم في الحرب لا لصالح الولايات المتحدة، ولا لصالح سوريا بل طمعاً في الحصول علىٰ حصة من ذلك الكنز، سواء جاءت نتيجة الحرب لصالح الولايات المتحدة أم لصالح سوريا، فتنشب معركة رهيبة بين تلك الجيوش المجتمعة في قرقيسيا، ويُقتل فيها أعداد كبيرة من المتحاربين، إلى درجة أنه (يقتَل من كل تسعة سبعة)، ويهلك فيها من قيادات تلك الجيوش حوالي مائة ألف قائد.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً رئيساً في هذه المعركة، فقد أخبرت الروايات بأنَّ السفياني طرف رئيس فيها أيضاً، وفي هذا دليل علىٰ كون السفياني هو الولايات المتحدة الأمريكية.

أمّا أخذنا حصول الاحتمال الثاني، وهو حدوث تلك الحرب بعد استيلاء السفياني علىٰ كامل بلاد الشام (أي الكور الخمس)، فإنّ هذا يعني الإشارة إلى المعركة العظيمة التي ستقع بين جيش المهدي عليه السلام وبين جيوش السفياني، وجيوش حلفائه، داخل بلاد الشام، والتي أطلق عليها في سفر الرؤيا من العهد الجديد بـ(معركة هرمجدون)، فقد تكون قرقيسيا اسماً لهذه المعركة في الروايات الإسلامية، وتكون (هرمجدون) اسماً لها في العهد الجديد. وسيأتي الحديث عن معركة هرمجدون في الباب الأخير من هذا الكتاب.

٨ ـ ذكرت بعض الروايات التي تحدثت عن السفياني مواضع تواجد قواته المسلحة في العراق، والمواضع التي تحصل فيها مواجهات بين جيوشه وبين المقاومين له، ومن هذه المواضع: البصرة و واسط (الكوت) وميسان (العمارة) والزوراء (بغداد القديمة) والروحاء:

وهي قرية من قرى بغداد علىٰ نهر عيسى قرب السندية[١] والصراة، وهي موضع بمدينة الحلّة، والأنبار التي تضم الفلوجة وعانة، والكوفة والحيرة والنجف والقُطْقُطانة: وهي موضع قرب الكوفة. ووصفت بعض الروايات ما يحدث في النجف والكوفة بـ(إحصار الكوفة بالرصد والخندق، وتخريق الزوايا في سكك الكوفة) أي إقامة الحواجز والمتاريس لقتال الشوارع[٢].

إن قوات الولايات المتحدة الأمريكية والقوات المتحالفة معها قد انتشرت في الأماكن المذكورة بعد احتلال العراق. ويكاد ما يحدث في الكوفة والنجف و الأنبار والفلوجة وبغداد ينطبق تماماً علىٰ ما يحدث هذه الأيام بين القوات الأمريكية وبين المقاومين لها في تلك الأماكن.

٩ ـ ذكرت الروايات التي تحدثت عن السفياني أنه يأتي من بلاده فيحتل سوريا والأردن وفلسطين ولبنان والعراق وجزءًا من إيران، ويحتل المدينة المنورة في طريقه إلى مكة في السعودية[٣]. إن المحلل السياسي حين يدرس القوى السياسية التي تحكم في العالم، والأحداث السياسية التي تجري فيه هذه الأيام، يكاد يجزم بأنه لا توجد في الوقت الحاضر، ولا في المستقبل القريب قوة تستطيع أن تسيطر علىٰ منطقة الشرق الأوسط، وتحتل تلك

---

(١) معجم البلدان: ٢ ـ ٧٦ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٣٢٤، والبحار: ٥٣ ـ ٨٢ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٢ ـ٨٣، و٢ ـ ٨٩ ـ ٩٠، وبحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٤٨ .

المناطق غير الولايات المتحدة الأمريكية.

١٠ ـ ذكرت بعض الروايات التي تحدثت عن السفيانيّ أنه يلبس لباس الدين ويُظهر نفسه للعالم أنه متدين في بداية ظهوره، ولكنه حين يأتي إلى العراق ويعبر نهر الفرات تنكشف حقيقته، فيتبين للناس أنه ليس مؤمناً[١].

إن الولايات المتحدة الأمريكية تُظهر للعالم أنها تحترم الأديان، وتحترم حقوق الإنسان، وتدعو إلى الديمقراطية والمساواة بين البشر. والرئيس بوش الابن يُظهر نفسه متديناً، وأنه مبعوث العناية الإلهية، ويستمع هو وأركان إدارته أمثال كولن باول وكوندليزا رايس ورامسفيلد وبول وولفوفيتز وريتشارد بيرل وفال ويل إلى الطقوس الدينية التي يجريها القس جراهام، ويدعون في أقوالهم إلى احترام حقوق الإنسان، وإلى إحلال الديمقراطية بين شعوب العالم الثالث. ولكن الولايات المتحدة الأمريكية حين عبرت نهر الفرات واحتلت العراق تنكرت لكل ما كانت تؤمن به من مثل دينية، وداست علىٰ حقوق الإنسان بقدميها، ومارست بحقّ العراقيين أبشع صور انتهاك حقوق الإنسان، وأقذر أفعال المجرمين، فانجلت حقيقتها للعالم، وبدا له أن ما تُظهره به ليس صدقاً، بل مجرد سراب لا واقع له.

إن هذه الروايات قد ألقت الضوء كافياً علىٰ حقيقة السُّفيانيّ. وبعد أن تبينت لنا هويته ندرك أننا نعيش الآن عصر السُّفيانيّ، وأن ظهور المهدي قريب إن شاء الله، فتشرق شمس آل محمدﷺ علىٰ الأرض، وينجلي عنها ظلام الجور والظلم والخوف والحرمان والفقر والجوع، ليعم العدل والأمان والسلام والبهجة والسعادة والقناعة والرضا.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٤، نقلاً عن عقد الدرر، الحديث: (١٢٦).

الباب الثاني

مَنْ هو المهدي؟

ويشتمل علىٰ الفصول التالية :

الفصل الأول: حقيقة المهدي

الفصل الثاني: هل هناك مهدي آخر غير ابن الحسن العسكري؟

الفصل الثالث: أدلَّة مساعدة علىٰ كون المهدي هو محمد بن الحسن العسكري

الفصل الرابع: المهدي في التوراة والإنجيل

الفصل الخامس: زمان ظهور المهدي

الفصل الأول
حقيقة المهدي

المهدي من وُلْدِ فاطمة عليها السلام

عيّنت الأحاديث الواردة عن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه المرضيين نسب المهدي، فذكرت أنه من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله، من وُلْدِ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وزوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام. أخرج الكنجي الشافعي في (كتاب البيان)، بسنده عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**المهدي من عترتي، من وُلْدِ فاطمة**». قال الكنجي: هذا حديث صحيح. أخرجه الحافظ أبو داود في سننه (٢/ ٤٢٢)، وفي الصواعق المحرقة، لابن حجر (ص ٩٧)[١].

وأخرج الشيخ سلمان الحنفي في (ينابيع المودة)، عن قتادة، قال: قلت لسعيد بن المسيّب: أحقٌّ المهدي؟ قال: نعم، هو حق من أولاد فاطمة. فقلت: من أيّ أولاد فاطمة هو؟ قال: حسبك الآن. وأخرج أيضاً عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**المهدي من عترتي، من وُلد فاطمة**». قال الشيخ سلمان الحنفي: أخرجه مسلم وأبو داود والنَّسائي وابن ماجة والبيهقي وصاحب المصابيح وآخرون[٢].

وأخرج السيوطي في (العرف الوردي)، عن الطبراني في (الأوسط)، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد عليّ، فقال: «**سيخرج من صلب هذا فتًى**

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١١٢، نقلاً عن كتاب البيان للكنجي الشافعي: ص ٣١١

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١١٣ ،نقلاً عن (ينابيع المودة)، ص٤٣٢

يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[1]. وأخرج في (ينابيع المودة)، بسنده عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عليًا إمام أمتي من بعدي، ومن وُلْدِه القائم المنتظر الذي ـ إذا ظهر ـ يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلِئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غَيْبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر**». فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: يا رسول الله، لولدك القائم غَيْبة؟ قال: «**إي وربي، ليمحّص الذين آمنوا ويمحق الكافرين. يا جابر، إن هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، فإيّاك والشك فيه، فإن الشكّ في أمر الله عزَّ وجلَّ كفر**»[2].

إن الأحاديث السابقة قد عيّنت المهدي بأنه من ذرية رسول الله ﷺ، وأنه من وُلدِ ابنته فاطمة، وزوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

المهدي من وُلْدِ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

عيَّن رسول الله محمد ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام المهدي بأنه من وُلْدِ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. أخرج في عقد الدرر، بإسناده عن حذيفة (رضي الله عنه)، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فذكر لنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم قال: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من وُلْدي، اسمه اسمي**». فقام سلمان (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، من أيّ وُلدك؟ قال: «**هو من وَلَدي هذا**»، وضرب بيده على الحسين ابن علي. قال في عقد الدرر: أخرجه أبو نعيم في صفة المهدي[3].

وأخرج في (ينابيع المودة)، بإسناده عن أبي سليم الهلالي، عن سلمان

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٠٦، نقلاً عن (ينابيع المودة)، ص ٤٩٤.

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٠٦، نقلاً عن (ينابيع المودة)، ص ٤٩٤.

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٣٨، نقلاً عن عقد الدرر، الحديث (٢٩) من الباب الأول.

الفارسي، قال: دخلتُ علىٰ النبي ﷺ، فإذا بالحسين عليه السلام علىٰ فخذيه، وهو يقبّل عينيه، ويقبّل فاه، ويقول: أنت سيد ابن سيد، وأنت إمام ابن إمام، وأنت حجة ابن حجة، وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم[1].

وأخرج في عقد الدرر بإسناده عن أبي إسحاق، قال: إن عليًا نظر إلى ابنه الحسين، فقال: ابني هذا سيد كما سماه نبيكم، وسيخرج من صلبه رجل يُسمَّى باسم نبيكم، يُشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق. قال في عقد الدرر: رواه البيهقي في البعث والنشور[2]. أقول: الحديث في (كنز العمال: ٧/ ١٠٤)، وفي (ينابيع المودة: ص ٤٣٢، الباب ٧٣) قال: رواه أبو داود والترمذي في جامعه، والنسائي في سننه)، وأخرجه السيد ابن طاوس في (الملاحم والفتن: ص ١٢٠، الباب ٧٦) فيما رواه السليلي عن عليّ في المهدي، أخرجه مسنداً عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جده.

وأخرج في (ينابيع المودة)، من المناقب، بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، قال: دخلتُ علىٰ جدي رسول الله ﷺ فأجلسني علىٰ فخذه، وقال لي: **«إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة، تاسعهم قائمهم»**[3].

وأخرج في (إكمال الدين وإتمام النعمة)، بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال لولده الحسين: التاسع من وُلْدك يا حسين هو القائم بالحقّ، والمُظهر للدين، والباسط للعدل. قال الحسين عليه السلام: وإنّ ذلك لكائن؟ قال عليّ عليه السلام: إي، والذي بعث محمداً

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٤١، نقلاً عن ينابيع المودة: ص ٢٥٨ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٣٩، نقلاً عن عقد الدرر، الحديث (٤٠) من الباب الثاني.

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٤٤، نقلاً عن ينابيع المودة: ص ٤٩٢ .

بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية. ولكن بعد غَيْبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه[1].

إن هذه الأحاديث قد عيّنت المهدي بأنه من وُلْد الحسين بن علي عليه السلام، وأنه هو التاسع من وُلْده.

المهدي في وظيفة الأئمة من ذرية عليّ بن أبي طالب عليه السلام

نظراً لأهمية المهدي في وظيفة الأئمة من ذرية الإمام عليّ، فقد كان كل إمام منهم يؤدّي إلى الأمة الرسالة التي حملها عن سلفه في التعريف بالمهدي، لكي تعيش الأمة الأمل في الخلاص من الظالمين، وإقامة مجتمع العدل الإلٰهي جيلاً بعد جيل. الإمام الحسن بن علي عليه السلام أدّى بعد أبيه الرسالة في المهدي. فحين دخل عليه الناس بعد الصلح مع معاوية، وكان فيهم مَنْ لامه على الصلح، قال عليه السلام: ويحكم، ما تدرون ما عملتُ؟ والله، الذي عملتُ خيرٌ لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت. ألا تعلمون أني إمامكم؟ مفترض الطاعة عليكم؟ وأحد سيّدَي شباب أهل الجنة بنصٍّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عليَّ؟ قالوا: بلى. قال: أما علمتم أن الخضر لمّا خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام، إذْ خفي عليه وجه الحكمة منه، وكان ذلك عند الله حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه؟ إلا القائم الذي يصلّي روح الله عيسى ابن مريم خلفه، فإن الله عزّ وجلَّ يُخفي ولادته، ويُغَيّب شخصه، لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. ذلك التاسع من وُلْدِ أخي الحسين ابن سيدة النساء. يطيل الله عمره في غَيْبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة، ذلك ليُعلَم أن الله على

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٤٨، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ١ ـ ٤٢٢ .

كل شيء قدير[1].

ولما جاء الإمام الحسين بعد أخيه الحسن عليه السلام عرّف الناس بالمهدي، فقد أخرج في (إكمال الدين وإتمام النعمة)، بسنده عن الإمام الحسين أنه قال: سُئِل أمير المؤمنين عليّ عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إني مخلّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»** مَنْ العترةُ؟

فقال عليه السلام: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من وُلْد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله، ولا يفارقهم حتى يردا علىٰ رسول الله حوضه[2]. وقال الإمام الحسين في حديث للناس: منّا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من وُلدي، وهو الإمام القائم بالحق. يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويُظهر به دين الحق علىٰ الدين كله ولو كره المشركون. له غَيْبة يرتدُّ فيها أقوام ويثبت علىٰ الدين فيها آخرون، فيُؤْذَوْنَ، ويُقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما إن الصابر في غَيْبته علىٰ الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

وبلّغ الإمام علي بن الحسين عليه السلام الرسالة في أمر المهدي إلى ولده محمد الباقر، فقد حدّث محمد بن علي الباقر، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: في التاسع من وُلدي سُنَّة من يوسف، وسنّة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة[4]. وبلّغها الإمام علي بن الحسين إلى الأمة، فقد أخرج الشيخ المفيد في أماليه، بسنده عن أبي خالد الكابلي، قال: قال لي

---

(١) بحار الأنوار: ١٣ ـ ٣٣ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٤٩، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ١ ـ ٣٥١ .

(٣) أئمتنا: ٢ ـ ٣٤٢، نقلاً عن أعيان الشيعة: ٤ ق ٣ ـ ٢٩٦ .

(٤) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣١٦، وشبهات وردود، السيد سامي البدري: ص ٧٧ .

علي بن الحسين: يا أبا خالد لَتأتينَّ فتن كقطع الليل المظلم، لا ينجو منها إلا مَنْ أخذ الله ميثاقه، أولئك مصابيح الهدى، وينابيع العلم، ينجّيهم الله من كل فتنة مظلمة. كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان.. جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وإسرافيل أمامه. معه راية رسول الله ﷺ قد نشرها، لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم الله عزَّ وجلَّ[1].

وبلّغ الإمام محمد بن علي (الباقر) بعد أبيه ما تحمّله في أمر المهدي، فعن أبي مريم عبد الغفار بن القاسم، قال: دخلتُ علىٰ مولاي الباقر، وعنده أناس من أصحابه، فجرى ذكر الإسلام. قلتُ: يا سيدي فأي الإسلام أفضل؟ قال: مَنْ سلم المؤمنون من لسانه ويده.. قال: فقبّلتُ يده، وقلتُ: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، فما نجد العلم الصحيح إلا عندكم، وإني قد كبرت سني ودقّ عظمي، ولا أرى فيكم ما أُسَرُّ به. أراكم مقتّلين مشرّدين خائفين. وإني أقمتُ علىٰ قائمكم منذ حين، أقول: يخرج اليوم أو غداً! قال: يا عبد الغفار، إن قائمنا هو السابع من وُلدي، وليس هذا أوان ظهوره. ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه، قال رسول الله ﷺ: **«إن الأئمة بعدي اثنا عشر، عدد نقباء بني إسرائيل. تسعة من صلب الحسين، والتاسع قائمهم. يخرج في آخر الزمان فيملؤها قسطاً وعدلاً، بعدما مُلئت جوراً وظلماً»**. قلتُ: فإنْ كان هذا كائن يا بن رسول الله، فإلى مَنْ بعدك؟ قال: **«إلى جعفر، وهو سيد أولادي، وأبو الأئمة، صادق في قوله وفعله. ولقد سألتَ عظيماً يا عبد الغفار، وإنك لأهل الإجابة»**[2].

ولما جاء الإمام جعفر بن محمد (الصادق) بعد أبيه محمد (الباقر) توسّع في نشر الأحاديث عن المهدي. وقد عيّنه بأنه السادس من ولده. أخرج الشيخ الصدوق في (إكمال الدين وإتمام النعمة)، بسنده عن السيد

---

(١) أئمتنا: ٢ ـ ٣٤٢، نقلاً عن أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٨.

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨، نقلاً عن كفاية الأثر، بسنده عن أبي مريم.

إسماعيل بن محمد الحميري، أنه قال: كنتُ أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد ابن الحنفية، فمنَّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمد، وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط، فسألته بعدما صحّت عندي الدلائل التي شاهدتها من أنه حجة الله عليَّ، وعلى جميع أهل زمانه، وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته، وأوجب الاقتداء به. فقلتُ له: يا بن رسول الله، قد رُوِي لنا أخبار عن آبائك في الغَيْبة، وصحة كونها، فأخبرني بمَنْ تقع؟ فقال: إن الغَيْبة ستقع بالسادس من وُلدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله ﷺ. أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي القائم بالحقِّ، بقيّة الله في الأرض، وصاحب الزمان. والله لو بقي في غَيْبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً. قال السيد: فلما سمعتُ ذلك من مولاي الصادق جعفر ابن محمد تُبتُ إلى الله تعالىٰ ذكره علىٰ يديه، وقلتُ قصيدتي التي أولها:

فلما رأيتُ الناس في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا[1]

وقال عليه السلام في حديث له للناس: يظهر صاحبنا، وهو من صلب هذا ـ وأومأ بيده إلى الإمام موسى بن جعفر ـ فيملؤها عدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً، وتصفو له الدنيا[2].

وسار الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) في طريق آبائه في وجوب التبليغ بالمهدي. قال يونس بن عبد الرحمن: دخلتُ علىٰ موسى بن جعفر، فقلتُ له: يا بن رسول الله، أنت القائم بالحق؟ فقال عليه السلام: أنا القائم بالحق، ولكنّ القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله عزَّ وجلَّ، ويملؤها عدلاً، كما مُلِئت جوراً، هو الخامس من وُلْدي، له غَيْبةٌ يطول أمدها، خوفاً علىٰ نفسه، يرتدُّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون. ثم قال: طوبى لشيعتنا المتمسكين

---

(١) المصدر السابق: ١ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) المصدر السابق: ١ ـ ١٦٢.

بحبلنا في غَيْبة قائمنا، الثابتين علىٰ موالاتنا، والبراءة من أعدائنا. أولئك منا، ونحن منهم.[1]

وتحمّل مسؤولية التبليغ بهذا الأمر العظيم الإمام علي بن موسى (الرضا)، فحين أنشد الشاعر دعبل الخزاعي قصيدته التائية بحضرة الإمام الرضا عليه السلام، ولما وصل إلى قوله :

خروجُ إمام لا محالةَ قائمٌ ... يقوم علىٰ اسم الله والبركاتِ
يميّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ... ويجزي علىٰ النّعماء والنَّقِماتِ

بكى الإمام الرضا عليه السلام، ثم رفع رأسه، وقال: يا خزاعي، نطق روح القدس علىٰ لسانك بهذا البيت، أتدري مَنْ هذا الإمام الذي تقول فيه؟ قال دعبل: لا أدري، إلاّ أني سمعتُ يا مولاي بخروج إمام منكم، يملأ الأرض عدلاً. قال الإمام الرضا: يا دعبل، إنّ الإمام بعدي محمد ابني، وبعده عليّ ابنه، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه محمد الحجة القائم المنتظر في غَيْبته، المطاع في ظهوره. ولو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج قائمنا، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وأما متى يقوم؟ لقد حدّثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: مثله كمثل الساعة، لا تأتيكم إلا بغتة[2].

ولما جاء محمد (الجواد) ابن الإمام علي (الرضا)، قال للناس: إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنتَظر في غَيْبته، ويُطاع في ظهوره، وهو الثالث من وُلْدي..[3]. وقال في مناسبة أخرى: الإمام من بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي. ثم سكت، فقال له الصقر ابن أبي دلف: يا بن رسول الله، فمَنْ الإمام بعد علي؟ قال: ابنه الحسن.

---

(١) المصدر السابق: ١ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ،نقلاً عن كفاية الأثر، وإكمال الدين: ٢ ـ ٢٠ .
(٢) المصدر السابق: ١ ـ ١٦٥ نقلاً عن ينابيع المودة: ص ٤٥٤ وانظر: بحار الأنوار: ١٣ ـ ٤١ .
(٣) المصدر السابق: ١ ـ ١٦٨، نقلاً عن كفاية الأثر .

قال الصقر: فمَن الإمام بعد الحسن؟ قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقال الصقر: ولِمَ سُمِّي القائم؟ قال: لأنه يقوم(بالدين) بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقال الصقر: ولِمَ سُمِّيَ المنتظر؟ قال: إن له غَيْبة يكثر أيامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، يستهزئ به الجاحدون، ويكذب فيها الوقّاتون، ويهلك فيها المبطلون، وينجو فيها المسلمون[1].

وجاء عليّ (الهادي) بعد أبيه محمد (الجواد)، فأنشأ الجدُّ يبلّغ عن حفيده، قائلاً للناس :

الإمام بعدي الحسن ابني، وبعده ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملِئت جوراً وظلماً[2].

وجاء المولود الموعود، وراح أبوه الحسن (العسكري) ابن الإمام علي (الهادي) يبشّر بوعد الله، وأنشودة الأنبياء، وأمل المظلومين والمحرومين. وسمّاه أبوه محمداً. وبعد ثلاثة أيام من ولادته جاء أصحاب الإمام الحسن العسكري ليزوروه، فحمل الإمام المولود محمداً، وعرضه عليهم قائلاً: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدُّ إليه الأعناق بالانتظار. فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً[3].

وسأله الناس بعد ولادة ابنه محمد: مَنْ الحجة والإمام بعدك؟ قال عليه السلام: ابني محمد هو الإمام بعدي. مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أمَا أن له غَيْبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون. ثم يخرج، فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه

---

(١) المصدر السابق: ١ ـ ١٦٩، نقلاً عن كفاية الأثر .

(٢) المصدر السابق: ١ ـ ١٧٢، نقلاً عن كفاية الأثر، وأعلام الورى .

(٣) أئمتنا: ٢ ـ ٣٤٤، نقلاً عن ينابيع المودة: ص ٤٦٠ .

بنجف الكوفة[1].

لقد أدّى الأئمة من ذرية رسول الله ﷺ الرسالة التي تحملوها عن الله ورسوله في التعريف بالمهدي، وتعيينه للأمة. أدّوها خير أداء، وعرّفوه للأمة بلا لبس أو غموض، وعيّنوه بأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنه ابن الحسن (العسكري)، واسمه محمد. ولأجل الحفاظ عليه من سطوة الجبارين الذين يتتبعون أخباره ليقتلوه، لأجل ذلك أوصى الإمام علي الهادي وابنه الحسن العسكري أتباعهما أن لا يذكروه باسمه الصريح في مجالسهم وأحاديثهم، وأن يشيروا إليه باسم (الحجة من آل محمد) أو (الحجة ابن الحسن)[2].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٧٧، نقلاً عن كفاية الأثر.

(٢) المصدر السابق: ١ ـ ١٧٦، نقلاً عن كفاية الأثر، والكافي، وعلل الشرائع، وإكمال الدين وإتمام النعمة، وغَيْبة الطوسي، وبحار الأنوار، وغيبة النعماني، وإرشاد المفيد، وإثبات الوصية للمسعودي، وأعلام الورى.

الشهود علىٰ ولادته

شهد بولادة محمد بن الحسن (المهدي) عدد من الرجال والنساء، وكلهم عدول، نذكر منهم :

أولاً: ـ أبوه الإمام الحسن (العسكري) ابن الإمام علي (الهادي). كان الإمام الحسن العسكري يخفي ولادة ابنه محمد، ويأخذ الحيطة والحذر لذلك الأمر خوفاً عليه من الحكومة وأعوانها الذين كانوا يرصدون ولادته، ليقتلوه. وعلى الرغم من كل هذا الحذر وتلك الحيطة، فإن أباه الحسن بن علي قد شهد بولادته لأصحابه المخلصين، وعرضه عليهم، وعقَّ عنه بعقيقة، وتصدّق عنه بصدقات. وقد نقل خبر هذه الشهادة عنه بعض أصحابه :

١ ـ الخبر الصحيح عن علي بن محمد، عن محمد بن علي بن بلال، قال: خرج إليَّ من أبي محمد (الحسن العسكري) قبل مضيّه بسنتين، يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إليَّ قبل مضيّه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده[١].

وعلي بن محمد هو الثقة الأديب الفاضل المعروف بابن بندار. ومحمد ابن علي بن بلال معروف بالوثاقة والجلالة. وهو في ذلك أشهر من نار علىٰ علم، بحيث كان يراجعه مثل أبي القاسم الحسين بن روح، أحد وكلاء المهدي.

٢ ـ الخبر الصحيح عن محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري. قال: قلتُ لأبي محمد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل. قلتُ: يا سيدي، هل لك ولد؟ قال: نعم. فقلتُ: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة[٢].. المقصود بالمدينة هنا سامراء أو (العسكر). أي اسأل عنه

---

(١) أصول الكافي: ١ ـ ٣٢٨ ـ باب ٧٦ .

(٢) المصدر السابق: ١ ـ ٣٢٨ ـ باب ٧٦ .

أصحابنا بالمدينة.

٣ ـ عن إبراهيم صاحب أبي محمدعليه السلام، قال: وجّه إليَّ مولاي أبو محمد بأربعة أكبش، وكتب إليَّ (بسم الله الرحمن الرحيم، هذه عن ابني محمد (المهدي)، وكل هنيئاً، وأطعم مَنْ وجدت من شيعتنا)[١].

٤ ـ قال أبو جعفر العمري: لما وُلِدَ السيّدعليه السلام قال أبو محمدعليه السلام: ابعثوا إلى أبي عمرو، فبعث إليه، فصار إليه، فقال له: اشترِ عشرة آلاف رطل خبزاً، وعشرة آلاف رطل لحماً، وفرّقه حِسبة علىٰ بني هاشم، وعقَّ عنه بكذا وكذا شاة[٢].

٥ ـ قال محمد بن الحسن بن إسحاق القميِّ: لما وُلِد الخلف الصالحعليه السلام ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن عليعليه السلام إلى جدي أحمد ابن إسحاق كتاب، وإذا فيه مكتوب بخط يدهعليه السلام الذي كان يردُّ به التوقيعات: وُلِد المولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته، والمولى لولايته. أحببنا إعلامك ليسرَّك الله كما سرَّنا، والسلام[٣].

ثانياً: أصحاب الإمام الحسن (العسكري)، منهم :

١ ـ قال الحسن بن المنذر: جاءني حمزة بن أبي الفتح، فقال: لي البشارة. وُلِد البارحة في الدار مولود لأبي محمدعليه السلام، وأمر بكتمانه... قلتُ: وما اسمه؟ قال: محمد[٤].

٢ ـ قال الحسن بن الحسين العلوي: دخلتُ علىٰ أبي محمدعليه السلام

---

(١) بحار الأنوار: ١٣ ـ ١٠، والغَيْبة للطوسي: ١٥٩ .

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢ ـ ١٠٥ .

(٣) بحار الأنوار: ١٣ ـ ٦، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ٢ ـ ١٠٨ .

(٤) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢ ـ ١٣٦ .

بـ(سرَّ من رأى)، فهنَّأته بولادة ابنه القائم عليه السلام[1].

ثالثاً: القابلة التي قامت بتوليده. القابلة التي قامت بتوليد الإمام محمد ابن الحسن هي عمّة الإمام الحسن العسكري، وهي العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمام محمد (الجواد)، وأخت الإمام علي (الهادي). ومنزلتها في العلم والصدق والبركة والكرامات كمنزلة السيدة العلوية الطاهرة نفيسة، المدفونة بالقاهرة في مصر. هذه العلوية هي التي تولت أمر السيدة نرجس أم الإمام محمد المهدي في ساعة ولادته، بمساعدة الجارية التي أهداها أبو علي الخيزراني إلى الإمام الحسن. وهي التي شاهدت المولود وأخبرت عنه.

روى الشيخ الصدوق، عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم، قال: حدثتني حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، قالت: بعث إليَّ الإمام أبو محمد الحسن العسكري، وقال: يا عمة، اجعلي إفطارك الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان. فإن الله تبارك وتعالى يُظهر في هذه الليلة حجته في أرضه. قالت: فاستلقيتُ ونمتُ، ثم قمتُ وقت السحر، وقرأتُ (ألم السجدة) و(يَس). فاضطربت نرجس، فكُشِف الثوب عنها، فإذا به المولود ساجداً، فنادى أبو محمد: هلمّي إلى ابني يا عمة. فجئتُ به إليه، فوضع قدميه علىٰ صدره، وأدخل لسانه في فيه، وأمرَّ يده علىٰ عينيه وأذنيه ومفاصله. . . . الخ[2].

إن المتعارف عليه عند المسلمين أن المرأة التي يأتيها المخاض لا يقوم أحد بتوليدها إلا النساء القابلات، فشهادة القابلة تُعَدُّ من الشهادات التي يُؤخذ بها، ويُعَوَّلُ عليها في أمر المولود.

رابعاً: الخدم والجواري والإماء. شهد بولادة المهدي ورؤيته الذين

---

(١) بحار الأنوار: ١٣ ـ ٦ ،وإكمال الدين وتمام النعمة :٢ ـ ١٠٨ .

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢ ـ ١٠٦ .

كانوا يعملون في خدمة الإمام الحسن العسكري، منهم: عقيد الخادم[١]، وطريف الخادم أبي نصر[٢]، وأبي الأديان الخادم[٣]، وأبي غانم الذي نُقِل عنه قوله: وُلِدَ لأبي محمد ولدٌ، فسماه محمداً، فعرضه علىٰ أصحابه يوم الثالث، وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً[٤]. ومنهم العجوز الخادمة[٥]، وجارية أبي علي الخيزران التي أهداها إلى أبي محمد الحسن، وساعدت القابلة التي قامت بتوليد نرجس أم الإمام المهدي[٦]. ومن الجواري اللاتي شهدن بولادة محمد (المهدي) ورؤيته نسيم[٧] ومارية التي شاهدته مع نسيم[٨]. وشهد بذلك مسرور الطباخ مولى أبي الحسن عليه السلام[٩].

خامساً: رجالٌ عاصروا الإمام المهدي في حياة أبيه، وفي غيبته الصغرى. ابتدأت **غَيْبة** الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري الصغرى سنة (٢٦٠ هـ)، وامتدت إلى سنة (٣٢٩ هـ).

شهد برؤية الإمام المهدي في حياة أبيه الحسن عليه السلام بإذن منه عدد من الرجال، كما شهد برؤيته خلال غيبته الصغرى عدد آخر منهم، ولكثرة من

---

(١) بحار الأنوار: ١٣ ـ ١٠، والغَيْبة للطوسي: ١٥٩، وإكمال الدين: ٢ ـ ٤٧٤ ـ باب ٤٣.

(٢) الكافي: ١ ـ ٣٣٢ ـ باب ٧٧، وإكمال الدين: ٢ ـ ٤٤١ ـ باب ٤٣، والإرشاد: ٢ ـ ٣٥٤.

(٣) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٧٥ ـ باب ٤٣.

(٤) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٣١ ـ باب ٤٢.

(٥) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٣١ ـ باب ٤٢.

(٦) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٣١.

(٧) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٤١ ـ باب ٤٣.

(٨) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٣٠ ـ باب ٤٢.

(٩) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٤٢ ـ باب ٤٣.

شهد بذلك نقتصر علىٰ المشهورين منهم، وهم :

الشيخ العمريّ، كما نقل عنه الكليني (المُتَوَفَّى سنة ٣٢٩ هـ)، وقد أدرك الغَيْبة الصغرى بتمامها. ومما رواه في أصول الكافي، بسند صحيح، عن محمد بن عبد الله، ومحمد بن يحيى جميعاً، عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعتُ أنا والشيخ أبو عمرو (رحمه الله) عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلتُ له :

يا أبا عمرو، إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاكٍّ فيما أريد أن أسألك عنه ـ إلى أن قال بعد إطراء العمري وتوثيقه علىٰ لسان الأئمة ـ فخرَّ أبو عمرو ساجداً وبكى، ثم قال: سل حاجتك. فقلتُ: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمدعليه السلام؟ فقال: إي والله، ورقبته مثل ذا ـ وأومأ بيده ـ فقلتُ: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، فقلتُ: فالاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك. ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرّم، ولكن عنهعليه السلام، فإن الأمر عند السلطان أنّ أبا محمد مضى ولم يُخلّف ولداً، وقُسِّمَ ميراثه، وأخذه مَنْ لا حقَّ له فيه، وهو ذا عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم، أو ينيلهم شيئاً. وإذا وقع الاسم وقع الطلب. فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك[1].

أقول: إن التصريح باسم الإمام المهدي محمد بن الحسن كان محرماً علىٰ أصحاب الإمام الحسن وشيعته، بسبب الخوف من السلطة الحاكمة في ذلك الوقت علىٰ الإمام المهدي، بعد ولادته، وخلال مدة الغَيْبة الصغرى، ولهذا السبب أشاعوا أن الإمام الحسن العسكري مضى ولم يخلف ولداً. أما في الغَيْبة الكبرى إلى يومنا هذا فلا مانع من التصريح باسمه، وأنه ابن الحسن العسكري.

---

(١) أصول الكافي: ١ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، ورواه الصدوق بسند صحيح، إكمال الدين: ٢ ـ ٤٤١ ـ باب ٤٣ .

ومنهم أيضاً الصدوق (توفي سنة ٣٨١ هـ)، وقد أدرك من الغَيْبة الصغرى عشرين سنة. ومن الرجال الذين شاهدوا الإمام المهدي في غيبته الصغرى، وبحضرة أحد وكلائه (سفرائه) الأربعة، كلٌّ في زمان وكالته :

إبراهيم بن إدريس أبو أحمد[١]، وإبراهيم بن عبدة النيسابوري[٢]، وإبراهيم بن محمد التبريزي[٣]، وإبراهيم بن مهزيار أبو إسحاق الأهوازي[٤]، وأحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري[٥]، وأحمد بن الحسين بن عبد الملك أبو جعفر الأزدي، وقيل (الأودي)[٦] وأحمد بن عبد الله الهاشمي من ولد العباس، شاهده مع تمام تسعة وثلاثين رجلاً[٧]، وأحمد بن محمد بن المُطَهَّر أبو علي من أصحاب الهادي والعسكري[٨]، وأحمد بن هلال أبو جعفر العبرتائي الغالي الملعون، وكان معه جماعة منهم:

علي بن بلال، ومحمد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح، وعثمان بن سعيد العمري... إلى تمام أربعين رجلاً[٩] وإسماعيل بن علي النوبختي أبو سهل[١٠]، وأبو عبد الله بن صالح[١١]، وأبو محمد الحسن

---

(١) الكافي :١ ـ ٣٣١ ـ باب ٧٧ ،والإرشاد للشيخ المفيد :٢ ـ ٢٥٣، والغَيْبة للطوسي: ٢٦٨ .

(٢) الكافي: ١ ـ ٣٣١ ـ باب ٧٧، والإرشاد :٢ ـ ٢٥٣، والغَيْبة: ٢٦٨ .

(٣) الغَيْبة: ٢٥٩ .

(٤) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٤٥ ـ باب ٤٣ .

(٥) المصدر السابق: ٢ ـ ٣٨٤ ـ باب ٣٨ .

(٦) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٤٤ ـ باب ٤٣، والغَيْبة: ٢٥٣

(٧) الغَيْبة: ٢٥٨ .

(٨) الكافي: ١ ـ ٣٣١ ـ باب ٧٧، والإرشاد: ٢ ـ ٣٥٢، والغَيْبة: ٢٦٩ .

(٩) الغَيْبة: ٣٥٧ .

(١٠) المصدر السابق: ٢٧٢ .

(١١) الكافي: ١ ـ ٣٣١ ـ باب ٧٧ ،والإرشاد: ٢ ـ ٣٥٢ .

ابن وجناء النصيبي[1]، وأبو هارون من مشايخ محمد بن الحسن الكرخي[2]، وجعفر الكذاب عم الإمام المهدي، شاهد الإمام المهدي مرتين[3]، والزهري وقيل الزهراني، ومعه العمري (رضي الله عنه)[4]، ورشيق صاحب المادراي[5]، وعبد الله السوري[6]، وعمرو الأهوازي[7]، وعلي بن إبراهيم ابن مهزيار الأهوازي[8] وعلي بن محمد الشمشاطي رسول جعفر بن إبراهيم اليماني[9]، وغانم أبو سعيد الهندي[10]، وكامل بن إبراهيم المدني[11]، وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمري (رضي الله عنه)[12] وأبو القاسم الروحي (رضي الله عنه)[13]، ومحمد بن أحمد الأنصاري أبو نعيم الزيدي، وكان معه في مشاهدة الإمام المهدي: أبو علي المحمودي، وعلاّن الكليني، وأبو

---

(١) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٤٣ ـ باب ٤٣ .

(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٣٢ ـ باب ٤٣ ،و ٢ ـ ٤٣٤ .

(٣) الكافي: ١ ـ ٣٣١ ـ باب ٧٧ ،وإكمال الدين: ٢ ـ ٤٤٢ ـ باب ٤٣ ،والإرشاد :٢ ـ ٢٥٣ .

(٤) الغَيْبة: ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق: ٢٤٨ .

(٦) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٤١ ـ باب ٤٣ .

(٧) الكافي: ١ ـ ٣٢٨ ـ باب ٧٦، و١ ـ ٣٣٢ ـ باب ٧٧، والإرشاد: ٢ ـ ٢٥٣ ،والغَيْبة: ٢٣٤ .

(٨) الغَيْبة: ٢٦٣ .

(٩) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٩١ ـ باب ٤٥ .

(١٠) الكافي: ١ ـ ٥١٥ ـ باب ١٢٥ ،وإكمال الدين: ٢ ـ ٤٣٧ ـ باب ٤٣ .

(١١) الغَيْبة: ٢٤٧ .

(١٢) الكافي: ١ ـ ٣٢٩ ـ باب ٧٦،و١ ـ ٣٣١ ـ باب ٧٧ ،والإرشاد: ٢ ـ ٣٥١، والغَيْبة: ٣٥٥ .

(١٣) إكمال الدين: ٢ ـ ٥٠٢ ـ باب ٤٥، والغَيْبة: ٣٢٠ .

الهيثم الدِّيناري، وأبو جعفر الأحول الهمداني، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً فيهم السيد محمد بن القاسم العلوي العقيقي[١]، و السيد الموسوي محمد بن إسماعيل بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان أسنَّ شيخٍ في عصره من وُلدِ رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]، ومحمد بن جعفر أبو العباس الحميري، علىٰ رأس وفدٍ من شيعة مدينة قم[٣]، ومحمد بن الحسن بن عبيد الله التميمي الزيدي المعروف بأبي سورة[٤]، ومحمد بن صالح بن علي بن محمد بن قنبر الكبير مولى الإمام الرضا[٥]، ومحمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه)[٦]، ورآه مع أربعين رجلاً بإذن الإمام العسكري عليه السلام، وكان من جملتهم معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح[٧]، ويعقوب بن منقوش[٨]، ويعقوب بن يوسف الضرّاب الغسّاني[٩]، ويوسف بن أحمد الجعفري[١٠].

---

(١) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٧٠ ـ باب ٧٣، والغَيْبة: ٢٥٩ .

(٢) الكافي: ١ ـ ٣٣٠ ـ باب ٧٧، والإرشاد: ٢ ـ ٣٥١ ،والغَيْبة: ٢٥٩ .

(٣) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٧٧ ـ باب ٤٣ .

(٤) الغَيْبة: ٢٦٩، ٢٧٠ .

(٥) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٤٢ ـ باب ٤٣ .

(٦) إكمال الدين: ٢ ـ ٤٣٣ ـ باب ٤٢ .

(٧) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٣٥ ـ باب ٤٣ .

(٨) المصدر نفسه: ٢ ـ ٤٣٧ ـ باب ٤٣ .

(٩) الغَيْبة: ٢٧٣ .

(١٠) الغَيْبة: ٢٥٧ .

اعترافات علماء الأنساب
بأن المهدي من وُلْد الحسن العسكري

المشهور عند العرب أنهم إذا أرادوا أن يتحققوا من شخصية أحد، ويعرفوا مَنْ هو أبوه، ومَنْ هي أمه، وقبيلته التي ينتمي إليها، فإنهم يرجعون في معرفة كل ذلك إلى علماء الأنساب. وقد اعترف علماء الأنساب المشهورون بوجود شخصية محمد بن الحسن العسكري، وأطلقوا عليه لقب الحجة والقائم وصاحب الزمان والمهدي. ومن هؤلاء :

١ ـ النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري، من أعلام القرن الرابع، كان حيًّا سنة ٣٤١ هـ، وهو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغَيْبة الإمام المهدي الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩هـ.

قال في سر السلسلة العلوية: وولد علي بن محمد التقي عليه السلام الحسن ابن علي العسكري عليه السلام من أُم ولد نوبيّة، تدعى ريحانة. ووُلِد سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقُبِض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة.. وولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفراً، وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب. وإنما تسميه الإمامية بذلك، لادّعائه ميراث أخيه الحسن دون ابنه القائم الحجة. لا طعن في نسبه[1].

٢ ـ السيد العمري النَّسابة المشهور، من أعلام القرن الخامس الهجري.

---

(١) المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ١٢٠، نقلاً عن سر السلسلة، لأبي نصر البخاري: ٣٩ .

قال: ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله. وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتُحِنَ المؤمنون، بل كافة الناس بغَيْبته. وشَرِهَ جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة علىٰ قبض جواري أخيه[1].

٣ ـ الفخر الرازي الشافعي (توفي سنة ٦٠٦ هـ). قال في كتابه الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تحت عنوان: (أولاد الإمام العسكري): أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبنتان. أما الابنان فأحدهما صاحب الزمان، عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف، والثاني موسى درجَ في حياة أبيه.. وأمّا البنتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى أيضاً[2].

٤ ـ المروزي الأزورقاني (توفي بعد سنة ٦١٤ هـ). تحدّث عن محاولة جعفر بن علي إنكار ولد أخيه محمد بن الحسن، ووصفه بالكذاب[3].

٥ ـ السيد النَّسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عِنَبة (توفي سنة ٨٢٨ هـ). قال في عمد الطالب في أنساب آل أبي طالب: أما علي الهادي فيلقّب العسكري لمقامه بسُرَّ مَنْ رأى، وكانت تسمّى العسكر، وأمه أم ولد. وكان في غاية الفضل ونهاية النبل أشخصه المتوكل إلى سُرّ مَنْ رأى، فأقام بها إلى أن تُوفي. وأعقب رجلين: هما الإمام أبو محمد الحسن العسكري، وكان من الزهد والعلم علىٰ أمر عظيم. وهو والد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه، ثاني عشر الأئمة عند الإمامية، وهو القائم المنتظر عندهم، من أم ولد اسمها نرجس. واسم أخيه أبو عبد الله جعفر الملقب بالكذاب، لادّعائه الإمامة بعد أخيه الحسن[4].

---

(١) المصدر السابق: ١٢٠، نقلاً عن المجدي في أنساب الطالبيين: ١٣٠.

(٢) المصدر السابق: ١٢١، نقلاً عن الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، للفخر الرازي: ٧٨.

(٣) المصدر السابق: ١٢١، نقلاً عن الفخري في أنساب آل أبي طالب: ٧.

(٤) المصدر السابق: ١٢١، نقلاً عن عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٩٩.

٦ ـ النِّسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني، من أعيان القرن الحادي عشر. ذكر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وتحت اسم (الإمام علي التقي المعروف بالهادي) كتب خمسة أولاد هم: الإمام العسكري و... وكتب تحت اسم (الحسن العسكري) مباشرة (محمد منتظر الإمامية)[١].

٧ ـ محمد أمين السويدي (توفي سنة ١٢٤٦ هـ). قال في (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب): محمد المهدي، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشعر، أقني الأنف، صبيح الجبهة[٢].

٨ ـ النِّسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري. قال في (الدرر البهية في الأنساب الحيدرية والأوَيسية) في بيان أولاد الإمام الهادي: أعقب خمسة أولاد: محمد وجعفر والحسين والإمام الحسن العسكري وعائشة. فالحسن العسكري أعقب محمد المهدي صاحب السرداب.. الإمام الحسن العسكري وُلِد بالمدينة سنة ٢٣١ هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٦٠ هـ. الإمام محمد المهدي لم يُذكر له ذرية، ولا أولاد له أبداً [٣]. وعلّق علىٰ العبارة الأخيرة في الهامش: وُلِدَ في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، وأمه نرجس. ووُصِفَ فقالوا عنه: ناصع اللون، واضح الجبين، أبلج الحاجب، مسنون الخد، أقني الأنف، أشمّ أروع، كأنه غصن بان، وكأن غرّته كوكب دري، في خدّه الأيمن خال كأنه فتات مسك علىٰ بياض الفضة، وله وفرة سمحاء

---

(١) روضة الألباب لمعرفة الأنساب،للنسابة الزيدي أبي الحسن محمد الحسيني الصنعاني: ١٠٥ .

(٢) سبائك الذهب، السويدي: ٣٤٦ .

(٣) الدرر البهية في الأنساب الحيدرية والأُوَيسية، طبع حلب ـ سوريا ،١٤٠٥ هـ: ٧٣ .

تطالع شحمة أذنه، ما رأت العيون أقصد منه ولا أكثر حسناً وسكينة وحياءً[1].

اعترافات علماء المسلمين السنَّة بأن المهدي من وُلْدِ الحسن العسكري

لم يقتصر الاعتراف بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري علىٰ علماء الشيعة الإمامية فحسب، أو علىٰ علماء الأنساب فحسب، بل شاركهم في هذا الاعتراف عدد كبير من علماء السنة، في كل عصر وزمان، ابتداء من عصر الغَيْبة الصغرى للإمام المهدي التي امتدت ٦٩ عاماً، ومن الغَيْبة الكبرى إلى عصرنا الحاضر، ومن هؤلاء العلماء :

١ ـ العلامة الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الفقيه الشافعي (توفي سنة ٤٥٨ هـ). قال في كتابه (شعب الإيمان): اختلف الناس في أمر المهدي، فتوقف جماعة وأحالوا العلم إلى عالمه، واعتقدوا أنه أحد أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يخلقه الله متى شاء، يبعثه نصرة لدينه. وطائفة يقولون: إن المهدي الموعود وُلِدَ يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين. وهو الإمام الملقّب بالحجة، القائم المنتظر، محمد ابن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب بسرِّ مَنْ رأى، وهو مختفٍ عن أعين الناس، منتظر خروجه، يظهر ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً... ثم قال: ولا امتناع في طول عمره وامتداد أيامه كعيسى ابن مريم والخضر عليهما السلام. وهؤلاء (القائلين بطول عمره) هم الشيعة، وخصوصاً الإمامية منهم. ووافقهم عليه جماعة من أهل الكشف[2]

إن ظاهر كلام البيهقي أنه موافق للشيعة الإمامية في كون المهدي هو الإمام محمد بن الحسن العسكري، ولولا اتفاقه معهم لأنكر عليهم ما ادّعوه،

---

(١) هامش الدرر البهية: ٧٣ ـ ٧٤

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٨٢، نقلاً عن شعب الإيمان

ولم يقل: ولا امتناع في طول عمره. . . . هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أهل الكشف الذين ذكرهم لابدّ أن يكونوا من أهل زمانه، أو من المتقدمين عليه، لأن أهل الكشف المعروفين أمثال محيي الدين المتوفى سنة ٦٣٨ هـ، والشعراني المتوفى سنة ٩٥٥ هـ جاؤوا بعد البيهقي.

٢ ـ ابن الأثير الجزري، عزّ الدين (توفي سنة ٦٣٠ هـ). قال في كتابه الكامل في التاريخ، في حوادث سنة ٢٦٠ هـ: وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري، وهو أحد الأئمة الاثني عشر علىٰ مذهب الإمامية. وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر[١].

٣ ـ الشيخ كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الحلبي الشافعي القرشي (توفي سنة ٦٥٢، وقيل سنة ٦٥٤ هـ). قال في مطالب السؤول: الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن علي المتوكل ابن محمد القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين (الشهيد) بن علي المرتضى أمير المؤمنين ابن أبي طالب، المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر. . .[٢]

٤ ـ المؤرخ المشهور شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (توفي سنة ٦٢٦ هـ). قال في كتابه (معجم البلدان) في حديثه عن (سامراء): عسكر سامراء ينسب إلى المعتصم. وقد نُسِب إليه (أي إلى عسكر سامراء) قوم من الأجلاء، منهم: علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. . وُلِد بالمدينة، ونُقِل إلى سامراء، وابنه الحسن بن علي. . . وأما الحسن فمات بسامراء أيضاً سنة ٢٦٠ هـ، ودُفنا في سامراء، وقبورهما مشهورة هناك، ولولدهما المنتظر مشاهد معروفة.[٣]

---

(١) الكامل في التاريخ: ٧ ـ ٢٧٤ (حوادث سنة ٢٦٠) .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٨٤ ،نقلاً عن مطالب السؤول .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٨٥ ،نقلاً عن معجم البلدان .

٥ ـ الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الحاتمي الطائي الأندلسي الشافعي، المشهور بابن العربي، المدفون بصالحية الشام (توفي سنة ٦٣٨ هـ)، وقبره مزار. قال في الباب (٣٦٦) من كتاب (الفتوحات المكية): اعلموا أنه لا بدّ من خروج المهدي، لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً. ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله تعالىٰ ذلك اليوم حتى يلي الخليفة. وهو من عترة رسول الله ﷺ من وُلْدِ فاطمة. جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري، ابن الإمام علي النقي (بالنون) ابن محمد التقي (بالتاء) ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم). يواطيء اسمه اسم رسول الله ﷺ. يبايعه المسلمون بين الركن والمقام.... ثم ذكر أوصافه[١].

٦ ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي (توفي سنة ٦٥٨هـ) قال في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان): إن المهدي وَلَدُ الحسن العسكري فهو حيٌّ موجود باقٍ منذ غَيْبته إلى الآن. ونقل ذلك عنه صاحب (ينابيع المودة)[٢].

٧ ـ ابن خلكان (توفي سنة ٦٨١ هـ). قال في وفيات الأعيان: أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر علىٰ اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[٣]

---

(١) اليواقيت والجواهر، للشعراني: ٢ ـ ١٤٣ .

(٢) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٢١ ـ باب ٢٥ .

(٣) وفيات الأعيان: ٤ ـ ١٧٦ .

٨ ـ الذهبي (توفي سنة ٧٤٨ هـ). قال في كتاب (العِبَر): وفيها (أي في سنة ٢٥٥ هـ) وُلِد محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحُسيني، أبو القاسم الذي تلقّبه الرافضة الخلف الحجة، وتلقّبه بالمهدي، والمنتظر، وتلقّبه بصاحب الزمان. وهو خاتمة الاثني عشر[١].

وقال في كتاب (تاريخ دول الإسلام) في ترجمة الحسن العسكري: الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق، أبو محمد الهاشميّ الحُسيني، أحد أئمة الشيعة الذين تدّعي الشيعة عصمتهم. ويقال له: الحسن العسكري، لكونه سكن سامراء، فإنها يقال لها العسكر. وهو والد منتظر الرافضة. وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعونه الرافضة القائم، الخلف، الحجة، فوُلِدَ سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين.[٢]

وقال في كتاب (سير أعلام النبلاء): المنتظر الشريف أبو القاسم محمد ابن الحسن العسكري ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب، العلوي، الحُسيني، خاتمة الاثني عشر سيداً[٣].

٩ ـ الشيخ أبو عبد الله أسعد بن علي بن سليمان بن عفيف الدين اليافعي اليمني المكي الشافعي (توفي سنة ٧٦٨ هـ) قال في (مرآة الجنان): وفي سنة ٢٦٠ هـ توفي الشريف العسكري أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، أحد الأئمة الاثني عشر على

---

(١) العبر في خبر من غبر: ٣ ـ ٣١ .

(٢) تاريخ دول الإسلام: حوادث ووفيات ٢٥١ هـ ـ ٢٦٠ هـ .

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٣ ـ ١١٩ (الترجمة رقم ٦٠) .

اعتقاد الإمامية. وهو والد المنتظر صاحب السرداب. . . [1]

١٠ ـ الشيخ شهاب الدين الدولة أبادي (توفي سنة ٨٤٩ هـ). له مؤلفات في التفسير والمناقب وله كتاب سماه (هداية السعداء) ذكر فيه أسماء الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. وذكر أحاديث في أحوال الإمام الحجة المنتظر ابن الحسن العسكري. وذكر أنه غائب عن الأبصار، وله عمر طويل، كما عمّر مثله من المؤمنين عيسى وإلياس والخضر[2].

١١ ـ الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ (توفي سنة ٨٥٥هـ) أخرج في كتابه (الفصول المهمة) في الباب (١٢) أحاديث في أحوال المهدي، وذكر ولادته وتاريخها. قال: وُلِد أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بسرَّ مَنْ رأى ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥ هـ). . . . وأما كنيته فأبو القاسم، وأما لقبه فالحجة، والمهدي، والخلف الصالح، والقائم المنتظر، وصاحب الزمان. وأشهرها المهدي. . . [3]

١٢ ـ سبط ابن الجوزي الحنبلي (توفي سنة ٦٥٤ هـ). قال في كتابه (تذكرة الخواص) :

فصل: محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبد الله، وأبو القاسم. وهو الخلف الحجة، صاحب الزمان، القائم، المنتظر، التالي. وهو آخر الأئمة ثم قال: أنبأ عبد العزيز بن محمود بن البزاز، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر الزمان رجل من وُلدي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً**». فذلك

---

(١) مرآة الجنان: ٢ ـ ١٠٧، ١٧٢، طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٨ هـ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٩٧، نقلاً عن هداية السعداء .

(٣) الفصول المهمة ،لابن الصباغ المالكي: ١٨٧ ـ ٢٠٠ .

المهدي.. وهذا الحديث مشهور[1].

١٣ ـ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي (توفي سنة ٩٧٤ هـ). قال في كتابه (الصواعق المحرقة) في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر: أبو محمد الحسن الخالص، وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري، وُلد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... ومات بسرَّ مَنْ رأى، ودفن عند أبيه وعمه، وعمره ثماني وعشرون سنة. ويقال إنه سُمَّ أيضاً. ولم يُخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة. ويُسمّى القائم المنتظر. قيل: لأنه سُتِرَ بالمدينة وغاب فلم يُعرف أين ذهب[2].

١٤ ـ الشيخ أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (توفي سنة ٩٧٣ هـ). قال في كتابه (اليواقيت والجواهر): البحث الخامس والستون في بيان أن جميع أشراط الساعة التي أخبر بها الشارع حق، لابدّ أن تقع كلها قبل قيام الساعة. وذلك كخروج المهدي... وهو من أولاد الحسن العسكري، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين. وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم، فيكون عمره إلى وقتنا هذا وهو سنة ٩٥٨ هـ سبعمائة وست وستين سنة... هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش المطلّ علىٰ بركة الرطل بمصر المحروسة، عن الإمام المهدي، حين اجتمعتُ به. ووافقه علىٰ ذلك شيخنا سيد علي الخوّاص[3].

١٥ ـ الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش الذي ذكره الشعراني. قال الشعراني في (لواقح الأنوار في طبقات الأخبار) متحدثاً عن

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٦٣ .

(٢) الصواعق المحرقة: ص٢٠٧ ط ١ ،وص ١٢٤ ط ٢ ،وص ٣١٣ ـ ٣١٤ ط ٣ .

(٣) اليواقيت والجواهر: ١٤٥، طبع مصر سنة ١٣٠٧ .

حسن العراقي: إن الشيخ حسن العراقي في ضمن سياحته اجتمع مع الإمام المهدي، الحجة، وسأله عن عمره، فقال له: يا ولدي عمري الآن (٦٢٠) سنة... ثم قال الشعراني: فقلت ذلك لسيدي علي الخوّاص فوافق على عمر المهدي (رضي الله عنهما)[١].

١٦ ـ الشيخ مير خواند المؤرخ المشهور (محمد بن خواند شاه بن محمود) (توفي سنة ٩٠٣ هـ). ذكر في كتابه (روضة الصفا) في الجزء الثالث أحوال الإمام الثاني عشر مفصلاً[٢].

١٧ ـ شمس الدين محمد بن طولون الحنفي مؤرخ دمشق (توفي سنة ٩٥٣ هـ). قال في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) في حديثه عن الإمام المهدي: كانت ولادته يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين. ولما توفي أبوه المتقدم ذكره (رضي الله عنهما) كان عمره خمس سنين...[٣].

١٨ ـ الشيخ الحافظ محمد بن محمد بن محمود النجار المعروف بخواجا يارسا، وهو من أعيان علماء الحنفية، وكبار مشايخ النقشبندية (توفي سنة ٨٢٢ هـ). ذكر في كتابه (فصل الخطاب) الإمام أبا محمد الحسن العسكري، وولده محمد المهدي، ثم ذكر حديث السيدة حكيمة التي ولّدت الإمام المهدي، ثم ذكر قصة إرسال المعتضد جلاوزته إلى سامراء، وأمْره بأخذه أين ما وجدوه. وذكر دخولهم دار الإمام الحسن... ثم ذكر بعض علامات الظهور...[٤].

١٩ ـ الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري المالكي (توفي

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٣ ،نقلاً عن لواقح الأنوار في طبقات الأخبار، مصر ١٣٠٥ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٦ ،نقلاً عن روضة الصفا، الجزء الثالث .

(٣) الأئمة الاثنا عشر: ١١٧ .

(٤) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٨ ،نقلاً عن فصل الخطاب .

سنة ٩٦٦ هـ). قال في كتابه (تاريخ الخميس) في الجزء الثاني: الثاني عشر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا، يكنّى أبا القاسم، ولقّبه الإمامية بالحجة، والقائم، والمهدي، والمنتظر، وصاحب الزمان...[١].

٢٠ ـ الشيخ نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بن قوام الدين المعروف بجامي الشافعي الشاعر المعروف. ذكر في كتابه (شواهد النبوة) الإمام المهدي، وأنه ابن الحسن الإمام الثاني عشر وقال: هو الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً..... وذكر ولادته نقلاً عن حكيمة، وصاحب الإمام الحسن الذي سأله عن الخلف من بعده. قال: فدخل الإمام الدار ثم خرج وقد حمل طفلاً، كأنه البدر في ليلة تمامه، في سن ثلاث سنين، فقال الإمام للسائل: لولا كرامتك علىٰ الله لما أريتك هذا الولد الذي اسمه اسم رسول الله ﷺ، وكنيته كنيته. وهو الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً...[٢].

٢١ ـ الشيخ الفاضل البارع عبد الله بن محمد المطيري شهرةً، المدني مسكناً، الشافعي مذهباً. ذكر في كتابه (الرياض الزاهرة في فضل آل بيت النبي وعترته الطاهرة) الأئمة الاثني عشر، فعدّهم واحداً بعد واحد... إلى أن وصل إلى الإمام الحادي عشر، فقال :... وإن ابنه الإمام الثاني عشر محمد القائم المهدي... وقد ورد النصّ عليه في الأحاديث من جده رسول الله ﷺ، ومن جده علي بن أبي طالب، ومن بقية آبائه الكرام أهل الشرف والمقام. وهو صاحب السيف، القائم المنتظر... وله غَيْبتان...[٣].

٢٢ ـ الشيخ أبو المعالي محمد سراج الدين الرفاعي، المخزومي،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢١٧، نقلاً عن تاريخ الخميس: ٢ ـ ٣٢١ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٣، نقلاً عن شواهد النبوة .

(٣) المهدي الموعود المنتظر :١ ـ ٢٠٥، نقلاً عن الرياض الزاهرة ...

الشريف الكبير. قال في كتابه (صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار) في ترجمة الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد : . . . وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر وعائشة. أما الإمام الحسن العسكري فأعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر، ولي الله الإمام المهدي[1].

٢٣ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي. قال في كتابه (معراج الوصول إلى فضيلة آل الرسول): الإمام الثاني عشر: هو صاحب الكرامات المشهورة، الذي عظُم قدره بالعلم واتباع الحق، القائم بالحق، والداعي إلى منهج الحق، الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن. . . ثم ذكر تاريخ ولادته وبعض أحواله[2].

٢٤ ـ العلامة الشيخ سليمان القندوزي الحنفي (توفي سنة ١٢٩١ هـ). أخرج في كتابه (ينابيع المودة) أحاديث في أحوال الإمام محمد بن الحسن المهدي مفصلاً من كتب عديدة.

٢٥ ـ الشيخ المحدث الفاضل الفقيه محمد بن إبراهيم الجويني الحموييني الشافعي. ذكر في كتابه (فرائد السمطين) عن دعبل الخزاعي، عن علي الرضا بن موسى الكاظم، أنه قال: إن (١١٠) المهدي الموعود المنتظر: ١/ ٢٠٧، نقلاً عن معراج الوصول إلى فضيلة آل الرسول:

الإمام من بعدي ابني الجواد التقي، ثم الإمام من بعده ابنه الهادي النقي، ثم الإمام من بعده ابنه الحسن العسكري، ثم الإمام من بعده ابنه محمد الحجة المهدي، المنتظر في غَيْبته، المطاع في ظهوره[3].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر :١ ـ ٢٠٦ ،نقلاً عن صحاح الأخبار . . .

(٢) المهدي الموعود المنتظر :١ ـ ٢٠٧ ،نقلاً عن معراج الوصول إلى فضيلة آل الرسول.

(٣) ينابيع المودة، للقندوزي: ٤٧١ ـ ٤٧٢، نقلاً عن فرائد السمطين .

٢٦ ـ الشيخ عبد بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي (توفي سنة ١١٧١ هـ). صرّح في كتابه (الإتحاف بحب الأشراف) بولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة.[١]

٢٧ ـ أحمد بن يوسف أبو العباس القرماني الحنفي (توفي سنة ١٠١٩ هـ). قال في كتابه (أخبار الدول وآثار الأُوَل) في الفصل الحادي عشر، في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين. آتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى صبياً. وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشعر، أقني الأنف، أجلي الجبهة... واتّفق العلماء علىٰ أن المهدي هو القائم في آخر الوقت. وتعاضدت الأخبار علىٰ ظهوره، وتظاهرت الروايات علىٰ إشراق نوره. وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره، وينجلي برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره، ويسير عدله في الآفاق، فيكون أضوء من البدر المنير في مسيره[٢].

٢٨ ـ الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي الشافعي (توفي سنة ١٣٠٨ هـ) صرّح في كتابه (نور الأبصار) باسم الإمام محمد بن الحسن العسكري، وعقد له فصلاً في كتابه المذكور.[٣]

٢٩ ـ المولوي علي أكبر أسد الله المؤوذي الذي هو من علماء أهل السنة الهندوستان. قال في كتابه (المكاشفات) الذي هو من الحواشي علىٰ (نفحات الأنس) للمولى عبد الرحمن جامي: إنه صرّح في الباب الحادي والثلاثين بإمامة الحجة ابن الحسن العسكري وآبائه إلى الإمام علي بن أبي

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٦٨ .

(٢) أخبار الدول وآثار الأُوَل: ٣٥٣ ـ ٣٥٤ (الفصل :١١) .

(٣) نور الأبصار: ١٨٦ .

طالب... ثم قال: إنه (أي الإمام محمد بن الحسن المهدي) غائب عن أعين العوام والخواص[1]

٣٠ ـ الشيخ عبد الرحمن مؤلف كتاب (مرآة الأسرار). وهو أحد مشايخ الصوفية. صرّح في كتابه (مرآة الأسرار) وقد كتبه بالفارسية، باسم المهدي وأنه الإمام محمد بن الحسن العسكري وأنه وُلِد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، وأن ألقابه: المهدي، والحجة، والقائم، و المنتظر، وصاحب الزمان.[2]

٣١ ـ العلامة أبو المجد عبد الحق الدهلوي البخاري (توفي سنة ١٠٥٣ هـ). صرّح باسم الإمام محمد بن الحسن العسكري المهدي في كتابه (المناقب)[3].

٣٢ ـ الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي (توفي سنة ٩١١ هـ) ذكر الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري في كثير من كتبه، منها (العرف الوردي في أخبار المهدي) و(إحياء الميت).

٣٣ ـ العلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي (توفي سنة ١٣٠٥ هـ). صرّح باسم الإمام المهدي محمد بن الحسن في كتابه (مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار)[4].

٣٤ ـ العلامة الشيخ علي الهروي القاري (توفي سنة ١٠١٤ هـ) ذكر ذلك في كتابه (الموفاة في شرح المشكاة)[5].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٤ ،نقلاً عن المكاشفات (الباب ٣١) .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٥، نقلاً عن مرآة الأسرار (بالفارسية) .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٢٤، نقلاً عن المناقب .

(٤) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٢٤، نقلاً عن مشارق الأنوار . . .

(٥) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٢٥، نقلاً عن الموفاة في شرح المشكاة .

٣٥ ـ العلامة الشيخ جواد الساباطي ذكر في كتابه (البراهين الساباطية) اختلاف الناس في الإمام المهدي، ثم رجح أنه الإمام محمد بن الحسن العسكري، كما تقول بذلك الإمامية[١].

٣٦ ـ العلامة أبو الوليد محمد بن شحنة الحنفي. ذكر الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري في كتابه المعروف بـ(تاريخ ابن شحنة).[٢]

٣٧ ـ العلامة الشيخ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس. ذكر ذلك في أربعينه، في الباب الثامن من الفصل الأول[٣].

٣٨ ـ الفضل بن روزبهان، شارح الشمائل للترمذي. ذكر ذلك في كتابه (إبطال الباطل)، ونظم قصيدة في أهل البيت عليهم السلام، ومما قال فيها :

سلام على السيد العسكري إمام يُجهّزُ جيش الصفا
سلام على القائم المنتظر أبي القاسم العرم نور الهدى[٤]

٣٩ ـ الشيخ المحقق بهلول بهجت أفندي مؤلف كتاب (المحاكمة في تاريخ آل محمد) الذي ترجم إلى التركية والفارسية. ذكر في الكتاب المذكور الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري، وذكر ولادته، وأن له غَيْبتين: الأولى الصغرى والثانية الكبرى. وصرّح بطول عمره وبقائه، وأنه يظهر عندما يأذن الله له بالخروج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً.[٥]

٤٠ ـ خير الدين الزركلي. ذكره في كتابه (الأعلام). قال: محمد بن الحسن العسكري الخالص ابن علي الهادي، أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.. وُلِد في سامراء، ومات أبوه وله من العمر خمس

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٢٥، نقلاً عن البراهين الساباطية .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٢٦ ،نقلاً عن تاريخ ابن شحنة (روضة المناظر ..) .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٢٦ .

(٤) نقل الشيخ محمد حسن المظفر كتاب (إبطال الباطل) في (دلائل الصدق)، انظر: ٢ ـ ٥٧٤ .

(٥) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٠٦، نقلاً عن المحاكمة في تاريخ آل محمد .

سنين . . .[1]

إن الأربعين عالماً الذين ذكرتهم ينتمون إلى مذاهب أهل السنة المعروفة، وهؤلاء يشكلون نسبة قليلة من علماء السنة القائلين بأن المهدي الموعود هو محمد بن الحسن العسكري. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب (دفاع عن الكافي) للسيد ثامر العميدي. وقد ذكر فيه مائة وثمانية وعشرين شخصاً من علماء السنة، من الذين اعترفوا بولادة الإمام المهدي، وأنه محمد بن الحسن العسكري. وقد رتّبهم بحسب القرون، فذكر أولهم أبو بكر محمد بن هارون الروياني (توفي سنة ٣٠٧ هـ)، وذكر ذلك في كتابه (المسند)، وهو مخطوط وذكر آخرهم الأستاذ المعاصر يونس أحمد السامرائي، ذكر ذلك في كتابه (سامراء في أدب القرن الثالث الهجري)، وقد ساعدت جامعة بغداد على طبعه سنة ١٩٦٨ م[2].

إن كثرة القائلين بولادة المهدي، وأنه الإمام محمد بن الحسن العسكري، وتنوع مذاهبهم بين أهل السنة والشيعة، واختلاف أماكن تواجدهم، وابتعاد تلك الأماكن عن بعضها، وتوزعها على مناطق جغرافية مختلفة، كل ذلك يدل على أمر واحد هو أن الإمام محمد بن الحسن العسكري حقيقة قائمة لا يمكن إنكارها، وأنه موجود حي، ينتظر الإذن من الله تعالى للخروج، ليطهّر الأرض من الظالمين والمتجبرين، ويملأها عدلاً وقسطاً، كما مُلئت جوراً وظلماً. ونحن ندعو الله تعالى أن يعجل ظهوره، وأن يجعلنا من أنصاره، والمجاهدين بين يديه.

---

(١) الأعلام: ٦ ـ ٨٠ .

(٢) دفاع عن الكافي: ١ ـ ٥٦٨ ـ ٥٩٢ .

تصرُّف السلطة العباسية دليل علىٰ ولادته ووجوده

بنو العباس هاشميون، وهم أقرب الناس إلى أهل بيت النبيﷺ علي وبنيه، وهم يعلمون أن عليًّا وبنيه أحق منهم بتولي الخلافة، وسياسة أمور الناس بعد رسول الله. ولكن الذين وصلوا إلى السلطة منهم، وجلسوا علىٰ كرسيّ الخلافة تنكّروا لآل عليّ، وساروا علىٰ نهج السلطة السفيانية في محاربتهم والتصدّي لهم. ويرى بعض الكتّاب والمؤرخين أن الخلفاء العباسيين كانوا أشدّ علىٰ العلويين من سلاطين بني أمية، حفاظاً علىٰ سلطانهم من أن يزاحمهم عليه بنو علي. وقد سجّل التاريخ ما فعله سلاطين بني العباس بحق العلويين، من قتل وسجن وتشريد واضطهاد وصل إلى حدّ عدّ الأنفاس ولحظات العيون.

وعلى الرغم من كل ذلك فإنهم كانوا يقرون بعلوّ مكانة الأئمة من بني عليّ وفضلهم علىٰ الناس جميعاً باصطفاء الله لهم، وجعلهم حججاً علىٰ الناس. قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس الذي ولاّه أبو جعفر المنصور علىٰ بلاد فارس: دخلتُ علىٰ أبي جعفر المنصور يوماً، وقد اخضلّت لحيته بالدموع، فقال لي: ما علمتَ ما نزل بأهلك؟ فقلتُ: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟ قال: فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي. فقلتُ: ومَنْ هو يا أمير المؤمنين؟ قال: جعفر بن محمد (أي الصادق). فقلتُ: أعظمَ الله أجر أمير المؤمنين، وأطال لنا بقاءه! فقال لي: إن جعفراً كان ممن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]، وكان ممن اصطفى الله، وكان من السابقين بالخيرات[2]

وكما يؤمن سلاطين بني العباس بأن الله اصطفى آل بيت النبيﷺ علىٰ الناس، وجعلهم حججاً عليهم، فإنهم يؤمنون أيضاً أن المهدي من ذريتهم،

---

(١) سورة فاطر: الآية: ٣٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة الهدي. أخرج المقدسي الشافعي في (عقد الدرر)، والشيخ المفيد في (الإرشاد)، عن سيف بن عميرة. قال: كنتُ عند أبي جعفر المنصور، فقال لي ابتداءً: يا سيف بن عميرة، لابدّ من منادٍ ينادي من السماء باسم رجل من وُلْدِ أبي طالب! (قال سيف): فقلتُ: يا أمير المؤمنين، جُعِلْتُ فداك تروي هذا؟! قال (المنصور): إي، والذي نفسي بيده لِسماع أُذنيَّ له. (قال سيف): فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن هذا الحديث ما سمعته قبل وقتي هذا. قال (المنصور): يا سيف، إنه الحقّ، فإذا كان ذلك فنحن أول مَنْ يجيبه، أمَا إنه نداء إلى رجل من بني عمّنا. (قال سيف): فقلتُ: رجل من بني فاطمة؟! قال (المنصور): نعم يا سيف، لولا أني سمعته من أبي جعفر محمد بن علي (الباقر)، ولو حدّثني به أهل الأرض كلهم ما قبلتُه منهم، ولكنه محمد بن علي[1]. قال الشيخ نجم الدين العسكري: أخرجه الشيخ الطوسي في كتاب (الغَيْبة)، والكليني في (روضة الكافي).[2]

إن سلاطين بني العباس كانوا يرصدون الأئمة الاثني عشر، إماماً بعد آخر، ليعرفوا مَنْ سيكون الخلف بعد كلّ إمام. ولمّا جاء الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري عليه السلام كثّفوا الرصد، خاصة في خلافة المعتمد على الله أحمد بن جعفر بن المتوكل، الذي بويع بالخلافة سنة ٢٥٦ هـ، أي بعد سنة واحدة من ولادة الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام.

وكان المعتمد يعرف الحقيقة التي يؤمن بها أسلافه، وهي أن المهدي هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولهذا كان الإمام الحسن العسكري حريصاً أشد الحرص على إخفاء ولادة ابنه الإمام محمد، وأن لا ينتشر خبر ولادته إلا بين الخلّص من أصحابه وشيعته، ولكنه في الوقت نفسه

---

(١) الإرشاد، للمفيد: ٤٠٤، والمهدي الموعود المنتظر: ٢/ ٤٦، نقلاً عن عقد الدرر.

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٤٦ .

أخذ التدابير اللازمة في صيانة شيعته من الاختلاف في مَنْ يخلفه بعد وفاته، بأن أوقف العلماء والقادة المخلصين منهم، الذين يرجع الشيعة إليهم بعد وفاته، أوقفهم بنفسه علىٰ ابنه محمد المهدي الموعود مرات عديدة، وأمرهم بكتمان ولادته، وكتمان اسمه، لئلا تعرف السلطة العباسية أنه الإمام الثاني عشر فتقتله، ما دام الإمام المهدي لم يغب الغَيْبة الكبرى.

إن تصرّف السلطة العباسية التي كان علىٰ رأسها المعتمد، حين مرض الإمام الحسن بن علي العسكري وحين تُوفِّي، يدلّ علىٰ معرفتهم بوجود الإمام الثاني عشر علىٰ الرغم من إجراءات الكتمان التي قام بها الإمام الحسن العسكري. وقد حدثنا مَن أرّخ لتلك الفترة، وخاصة ما حدث في سنة ٢٦٠ هـ، نقلاً عن شاهد عيان من السلطة، وهو ابن وزير الخليفة المعتمد أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، حدّثنا الحديث التالي :

قال أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان: لمّا اعتلّ الحسن العسكري بُعِثَ إلى أبي أن ابن الرضا قد اعتلّ، فركب من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً، وأمر خمسة نفر من خدم أمير المؤمنين، كلهم من ثقاته وخاصّته، منهم نحرير. وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي، وتعرّف خبره وحاله. وبعث إلى نفر من المتطببين، فأمرهم بالاختلاف إليه، وتعاهده صباحاً ومساءً. فلمّا كان بعد ذلك بيومين جاءه مَنْ أخبره أنه قد ضَعُفَ فركب حتى بكَرَ إليه، فأمر المتطببين بلزومه، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممّن يوثق به في دينه وأمانته وورعه. فأحضرهم، فبعث بهم إلى دار الحسن، وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً. فلم يزالوا هناك حتى توفي (عليه السلام) لأيام مضت من شهر ربيع الأول من سنة ستين ومائتين. فصارت سُرَّ مَنْ رأى ضجّةً واحدة: مات ابن الرضا. وبعث السلطان إلى داره مَنْ يُفتِّشها، ويفتِّش حجرها. وختم علىٰ جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده. وجاؤوا بنساء يعرفن بالحبل، فدخلنَ علىٰ

جواريه، فنظرنَ إليهنَّ، فذكر بعضهنَّ أن هناك جارية بها حمل، فأمر بها، فجُعِلت في حجرة، ووُكِّلَ بها نحرير الخادم وأصحابه، ونسوة معهم. ثمّ أخذوا بعد ذلك في تهيئته، وعُطِّلت الأسواق. وركب أبي وبنو هاشم، والقوّاد والكتَّاب وسائر الناس إلى جنازته. فكانت سُرَّ مِنْ رأى يومئذٍ شبيهاً بالقيامة. فلمّا فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل، فأمره بالصلاة عليه. فلمّا وُضِعَتْ الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منها، فكشف عن وجهه، فعرضه علىٰ بني هاشم من العلوية والعباسية والقوّاد والكتَّاب والقضاة والفقهاء والمعدلين. وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه علىٰ فراشه. حضره من خدام أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن المتطببين فلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان، ثم غطّى وجهه، وقام فصلّى عليه، وكبّر عليه، وأمره بحمله من وسط داره، ودُفِن في البيت الذي دُفِن فيه أبوه. فلمّا دُفِنَ وتفرَّق الناس اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولَدِهِ، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقفوا علىٰ قسمة ميراثه. ولم يزل الذين وُكِّلوا بحفظ الجارية التي توهّموا عليها الحبل. ثم قُسِّم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر. وادَّعت أمه وصيَّته، وثبت ذلك عند القاضي. والسلطان علىٰ ذلك يطلب أثر ولده. فجاء جعفر بعد قسمة الميراث إلى أبي وقال له: اجعلْ لي مرتبة أخي، وأوصلُ إليك في كل سنة عشرين ألف دينار مُسلَّمة، فزبره أبي وأسمعه، وقال له: يا أحمق، إن السلطان أعزه الله جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة، ليردّهم عن ذلك، فلم يقدر عليه، ولم يتهيّأ له صرفهم عن هذا القول فيهم، وجَهِدَ أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيّأ له ذلك. فإن كنتَ عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك إلى السلطان يُرتِّبك مراتبهما، ولا غير السلطان. وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا. واستقلّه عند ذلك، واستضعفه، وأمر أن يحجب عنه. فلم يأذن له بالدخول عليه حتى مات أبي.

وخرجنا والأمر علىٰ تلك الحال. والسلطان يطلب أثر ولَد الحسن بن علي حتى اليوم.[1]

لماذا أمر المعتمد خمسة من خدمه المخلصين بلزوم دار أبي محمد الحسن بن علي؟

ولماذا بعث إلى قاضي القضاة وأمره أن يختار عشرة ممن يوثق بهم، وأمرهم بلزوم أبي محمد الحسن ليلاً ونهاراً، حين علِم أن الإمام قد ضعُف؟ أليس ذلك لأجل أن يعرف هؤلاء لمَنْ سيوصي الإمام الحسن؟ ولماذا أمر المعتمد بتفتيش دار الإمام الحسن؟ ولماذا جيء بنساء يعرفن بالحبل فنظرنَ إلى جواري الإمام؟ أليس ذلك لمعرفة أن الإمام الثاني عشر لابدَّ أن يكون ابن الإمام الحسن العسكري، وأنه هو المهدي الذي يملك الأرض كلها؟ ولماذا اضطرب السلطان وأصحابه بعد دفن الإمام الحسن، حين لم يظهر ولد الإمام لحظة موته، وحين وفاته، وحين دفنه؟ ولماذا لم يصدق السلطان بشهادة جعفر أخي الإمام بأن الإمام الحسن لم يخلّف ولداً، بل أمر بالإكثار من التفتيش في المنازل والدور، واستمرّ بعد ذلك في طلب أثر ولد الحسن؟ أليس ذلك يدلّ علىٰ أن المعتمد عنده علم بوجود ولد للإمام الحسن العسكري، وأنه هو الإمام الثاني عشر الذي تواترت الأحاديث فيه وفي دوره العظيم في إزالة الطواغيت والجبابرة من عروشهم، وتطهير الأرض منهم.

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ١ ـ ١٢٥، وأصول الكافي: ١ ـ ٥٠٦.

الفصل الثاني
هل هناك مهدي آخر غير ابن الحسن العسكري؟

المهدي من وُلْد العباس

وردت بعض الروايات في المصادر الإسلامية تذكر أن المهدي من وُلْد العباس. ومن تلك الروايات :

١ ـ أورد السيوطي حديثاً في (الجامع الصغير) عن رسول الله أنه قال: المهدي من وُلْدِ عمي العباس ، ثم قال السيوطي: حديث ضعيف[١]. وقال المناوي الشافعي في (فيض القدير): رواه الدارقطني في الأفراد. قال ابن الجوزي: فيه محمد بن الوليد المقري. قال ابن عدي: يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون. وقال ابن أبي معشر: هو كذاب. وقال السمهودي: ما بعده وما قبله أصلح منه، وأما هذا ففيه محمد بن الوليد، وضّاع[٢] وضعّفه السيوطي في الحاوي، وابن حجر في صواعقه، والصبّان في إسعافه، وأبو الفيض في إبراز الوهم المكنون، صرّحوا جميعاً بوضعه[٣].

٢ ـ روى الخطيب البغدادي في تاريخه حديثاً عن النبيﷺ أنه قال لعمه العباس: إن الله ابتدأ بي الإسلام، وسيختمه بغلام من وُلدك، وهو

---

(١) الجامع الصغير: ٢ ـ ٦٧٢ ـ الحديث (٩٢٤٢) .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٦ ـ ٢٧٨ ـ ٩٢٤٢ .

(٣) الحاوي للفتاوي :٢ ـ ٨٥ ،والصواعق المحرقة :١٦٦ ،وإسعاف الراغبين :١٥١ وإبراز الوهم المكنون: ٥٦٣ .

الذي يتقدّم عيسى ابن مريم. وذكر في إسناده محمد بن مخلّد[1]. وقد ضعّف الذهبي محمد بن مخلّد، وتعجّب من عدم تضعيف الخطيب البغدادي له. قال الذهبي: رواه عن محمد بن مخلّد العطار، فهو آفته. والعجب أن الخطيب ذكره في تاريخه ولم يضعّفه، وكأنه سكت عنه، لانتهاك حاله[2].

٣ ـ أخرج الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد، وابن عساكر في تاريخ دمشق، عن أم الفضل، عن النبيﷺ أنه قال: يا عباس، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة، فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي[3]. قال الذهبي: وفي السند أحمد بن راشد الهلالي، عن سعيد بن خيثم، بخبر باطل في ذكر بني العباس من رواية خيثم، عن حنظلة ـ إلى أن قال عن أحمد بن راشد ـ فهو الذي اختلقه بجهل[4] ونسب الذهبي أحمد بن راشد إلى الجهل، لأن خلافة بني العباس بدأت سنة ١٣٢ هـ ولم تبدأ سنة ١٣٥ هـ.

وأخرج مثل هذا الحديث السيوطي في (اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، عن ابن عباس، ثم قال فيه: موضوع، المتهم به: الغلابي[5].

وأورده ابن كثير في (البداية والنهاية) من رواية الضحّاك، عن ابن عباس، ثم قال فيه: وهذا إسناد ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح، فهو منقطع[6].

وأخرجه الحاكم في (المستدرك)، عن طريق آخر وقع فيه إسماعيل بن

---

(١) تاريخ بغداد: ٣ ـ ٣٢٣، و٤ ـ ١١٧ .

(٢) ميزان الاعتدال: ١ ـ ٨٩ .

(٣) تاريخ بغداد: ١ ـ ٦٣، وتاريخ دمشق: ٤ ـ ١٧٨ .

(٤) ميزان الاعتدال: ١ ـ ٩٧ .

(٥) اللآلي المصنوعة: ١ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٦) البداية والنهاية: ٦ ـ ٢٤٦ .

إبراهيم المهاجر[1]. وقد حكى أبو الفيض الغماري الشافعي، عن الذهبي أن إسماعيل مجمع علىٰ ضعفه، وأباه ليس بذلك[2].

٤ ـ أحاديث الرايات السود. منها ما أخرجه أحمد في مسنده، عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان، فأتوها ولو حبواً علىٰ الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي**»[3].

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تخرج من خراسان رايات سود، فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء**»[4].

إن هذه الروايات قد تكون فيها إشارة إلى كون المهدي من ولد العباس، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الرايات السود التي قدمت من خراسان كانت بقيادة أبي مسلم الخراساني، وبها تمَّ القضاء علىٰ الدولة الأموية، وتأسيس دولة بني العباس.

إن الروايات الثلاثة الأولى لا تحتاج إلى تعليق، لأن كبار العلماء قالوا بضعفها أو وضعها. أما الرواية الرابعة فمن يحمل حديث الرايات السود علىٰ رايات بني العباس فهو لم يقرأ شيئاً عن المهدي ولا عن علاماته، وقوله مرفوض للأسباب التالية :

١ ـ إن الأحاديث الصحيحة قد ذكرت أن المهدي الموعود يكون في آخر الزمان، وتلك الرايات كانت سنة ١٣٢ هـ. كما أن المهدي العباسي مات سنة ١٦٩ هـ.

٢ ـ إن الأحاديث الصحيحة ذكرت أن من علامات ظهور المهدي الحتميّة خروج السُّفياني والخسف بالبيداء، والنداء من السماء. ولم يحصل

---

(١) المستدرك، للحاكم: ٤ ـ ٥١٤ .

(٢) إبراز الوهم المكنون: ٥٤٣ .

(٣) مسند أحمد: ٥ ـ ٢٧٧ .

(٤) سنن الترمذي: ٤ ـ ٥٣١ الحديث ٢٢٦٩ .

شيء من ذلك في زمن أحد من ولد العباس طول مدة دولتهم.

٣ ـ ذكرت الأحاديث الصحيحة أن عيسى ابن مريم ينزل، ليصلي خلف المهدي. ولم يحدث ذلك في زمن أحد من ولد العباس.

٤ ـ إن الأحاديث الصحيحة قد ذكرت أن المهدي من ذرية النبيﷺ، من وُلد فاطمة. وأولاد العباس ليسوا من ذلك.

ولا يُستبعد وضع أحاديث الرايات السود من قبل بني العباس لأسباب سياسية. وإذا صحت تلك الروايات فتُحمَل علىٰ خروج الرايات السود من خراسان في آخر الزمان، وفي زمنها يكون خروج المهدي، فيكون معنى (فإن فيها خليفة الله المهدي): فإن في زمنها خليفة الله المهدي. ويعضد هذا المعنى ما جاء في الرواية الثانية (فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء). و(إيلياء) هي فلسطين. أي أن هذه الرايات ستسهم في تحرير فلسطين وهذا لم يحدث بعد، وإنما يحدث في زمن خروج المهدي إن شاء الله تعالى.

المهدي من وُلْدِ الحسن بن علي بن أبي طالب

القائلون بهذا استندوا في قولهم علىٰ حديث واحد ذكره أبو داود السجستاني في سننه، وتناقلته المصادر الإسلامية عنه، وهذا نص الحديث :

قال أبو داود: حُدِّثتُ عن هارون بن المغيرة، قال: حدثنا عمر بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال علي (رضي الله عنه) ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ فقال :

(إن ابني هذا سيد كما سماه النبيﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يُسمَّى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلْق)، ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلاً[1]

---

(١) سنن أبي داود: ٤ ـ ١٠٨ (الحديث٤٢٩٠)، وأخرجه عنه في جامع الأصول: ١١ ـ ٤٩ (الحديث٧٨١٤)، وكنز العمال: ١٣ ـ ٦٤٧ (الحديث٣٧٦٣٦)، ونعيم بن حماد في الفتن: ١ ـ ٣٧٤ .

وإذا درسنا الحديث سنداً ومتناً تظهر لنا الملاحظات التالية :

١ ـ إن سند هذا الحديث منقطع، لأن مَنْ رواه عن عليعليه السلام هو أبو إسحاق، والمراد به: السبيعي. وهو لم تثبت له رواية واحدة سماعاً عن عليّ، كما صرّح بهذا المنذري في شرح الحديث[١]. وقد كان عمر أبي إسحاق يوم شهادة أمير المؤمنين علي سبع سنين، لأنه وُلِد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، في قول ابن حجر[٢].

٢ ـ إن سنده مجهول، لأن أبا داود قال: حُدِّثتُ عن هارون بن المغيرة. ولا يُعْلَم مَن الذي حدَّثه. ولا يُؤخذ بالحديث المجهول اتفاقاً.

٣ ـ وإذا افترضنا سلامة السند وصحته فإن احتمال التصحيف وارد، فيمكن أن يحدث التصحيف في اسم (الحسين) إلى (الحسن) في النقل عن أبي داود. ويؤيّد ذلك أن الجزري الشافعي (توفي سنة ٨٣٣ هـ) أورد الحديث نفسه بسنده عن أبي داود نفسه، وفيه اسم (الحسين) مكان (الحسن). قال: والأصح أنه من ذرية الحسين بن علي، لنصّ أمير المؤمنين عليّ على ذلك فيما أخبرنا به شيخنا المسند، رحلة زمانه، عمر بن الحسن الرقّي، قراءة عليه. قال: أنبأنا أبو الحسن بن البخاري، أنبأنا عمر بن محمد الدارقزي، أنبأنا أبو البدر الكرخي، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو عمر الهاشمي، أنبأنا أبو علي اللؤلؤي، أنبأنا أبو داود الحافظ. قال: حُدِّثتُ عن هارون بن المغيرة، قال: حدثنا عمر بن أبي قيس، شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال: قال عليّ ـ ونظر إلى ابنه الحسين ـ فقال: (إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي صلى الله عليه وآله. وسيخرج من صلبه رجل يُسمّى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلْق). ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً. هكذا رواه أبو داود

---

(١) مختصر سنن أبي داود ،للمنذري: ٦ ـ ١٦٢، الحديث ٤١٢١ .

(٢) تهذيب التهذيب: ٨ ـ ٥٦ .

في سننه، وسكت عنه[1].

٤ ـ إن احتمال وضع الحسن مكان الحسين متعمّد من قبل بعض الرواة، خدمة لأغراض سياسية. ويؤيد هذا الاحتمال أن الحسنيين وأتباعهم زعموا أن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب هو المهدي، أيام ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى علىٰ السلطة العباسية في خلافة أبي جعفر المنصور.

٥ ـ ويؤيد حصول التصحيف في اسم الحسين، أو التحريف المتعمّد أن الحديث نفسه أخرجه أبو صالح السليلي ـ وهو من أعلام أهل السنة ـ بسنده عن الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد الصادق، عن جده علي بن الحسين، عن جده علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، وفيه اسم (الحسين) لا (الحسن)[2]. كما أن الأحاديث الصحيحة الواردة عن طريق أهل السنة في المهدي تنصُّ علىٰ أن المهدي من ذرية الحسين لا الحسن، ومنها حديث حذيفة بن اليمان، عن رسول الله. قال حذيفة: خطبنا رسول الله ﷺ فذكرنا بما هو كائن، ثم قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله عزَّ وجلَّ ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلاً من وُلدي، اسمه اسمي. فقام سلمان الفارسي فقال: يا رسول الله، من أيِّ ولدك؟ قال: من وَلَدي هذا، وضرب بيده علىٰ الحسين[3].

---

(١) أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب، للجزري: ١٦٥ ـ ١٦٨ .

(٢) التشريف بالمنن ،للسيد ابن طاوس: ٢٨٥ ـ باب ٧٦، أخرجه عن فتن السليلي .

(٣) المنار المنيف،لابن القيم :١٤٨ (فصل ٥٠)، عن الطبراني في الأوسط، وعقد الدرر: ٤٥ من الباب الأول، وفيه: (أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي) ،وذخائر العقبى،للمحب الطبري: ٢٣٦ ،وفيه: (فيحمل ما ورد مطلقاً فيما تقدم على هذا المقيّد)، وفرائد السمطين: ٢ ـ ٣٢٥ ـ الباب ٦١ ،والقول المختصر ،لابن حجر: ٧ ـ ٣٧ ـ الباب ١ ،والسيرة الحلبية :١ ـ ١٩٣ ،وينابيع المودة: ٣ ـ ٦٣ ـ الباب ٩٤ .

وقد وقع في الخطأ نفسه الأستاذ محمد عيسى داود في كتابه (المهدي المنتظر علىٰ الأبواب). قال: ثابت بالأحاديث الصحيحة أن المهدي من آل البيت الشريف... شجرة عائلته تعود بأصله إلى سيدنا الحسن (رضي الله عنه). وقيل: إنه من نسل الحسين. لكن الأقوى والأوكد أنه من نسل الحسن (رضي الله عنه) من جهة الأب، وسيدنا الحسين (رضي الله عنه) من جهة الأم، فهو ذو النورين الحسنين..[1].

ولا أدري من أين جاء بـ(الأقوى) و(الأوكد). فإن كان قد اعتمد في ذلك علىٰ الحديث الذي أورده أبو داود السجستاني في سننه، فإن الملاحظات التي أوردناها عليه كافية بتضعيفه إن لم نقل ببطلانه. ولا أدري من أين جاء بأن المهدي من نسل الحسن من جهة الأب، ومن الحسين من جهة الأم. فإن كانت حجته في ذلك الحديث الذي أورده عن أبي هريرة بسنده عن الرسولﷺ، وهو قوله: المهدي من وُلد الحسن بن علي والحسين يملك أمر المسلمين، وشأنه كله خير..[2]. فهذا الحديث ليس فيه ما يثبت دعواه من وجوه :

١ ـ لا يوجد أي أثر يثبت أن المهدي ابن الحسن من جهة الأب، والحسين من جهة الأم. وعلى العكس من ذلك، فإنه يوجد أثر يدل علىٰ أن المهدي ابن الحسين من جهة الأب، والحسن من جهة الأم، وذلك لأن زوجة الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، التي هي أم الإمام الباقر ابن علي بن الحسين هي فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب. وعلى هذا يكون الإمام الباقر حسيني الأب، حسني الأم. والإمام الباقر هو جدّ الإمام المهدي محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد الباقر. وعلى هذا يكون المهدي حسيني الأب حسني الأم.

---

(١) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٢٥ .

(٢) المهدي المنتظر على الأبواب :٢٢٦ .

٢ ـ قد يكون المراد من قوله في الحديث: (من ولد الحسن بن علي والحسين): أن المهدي من ولد الحسن (العسكري) بن علي (الهادي) ومن ذرية الحسين. ويؤيد ذلك ما أخرجه في (كفاية الأثر)، بسنده عن مسلم بن مسعدة، قال: كنتُ عند الصادق عليه السلام، إذْ أتاه شيخ كبير قد انحنى، متكئاً علىٰ عصاه، فسلّم، فردّ أبو عبد الله الجواب، ثم قال: يا بن رسول الله، ناولني يدك أقبلها، ثم بكى. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما يبكيك يا شيخ؟ قال: جُعِلتُ فداك يا بن رسول الله، أقمتُ علىٰ قائمكم منذ مائة سنة، أقول هذا الشهر، وهذه السنة، وقد كبرت سني، ودقَّ عظمي، واقترب أجلي، وأرى فيكم ما لا أحب، أراكم مقتَّلين مشرَّدين، وأرى عدوكم يطيرون بالأجنحة، فكيف لا أبكي؟! فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام، ثم قال: يا شيخ إنْ أبقاك الله حتى ترى قائمنا كنت معنا في السنام الأعلى. وإن حلّت بك المنيّة جئتَ يوم القيامة مع ثَقَلِ محمد صلى الله عليه وآله، ونحن ثقَله، قد قال: إني مخلّفٌ فيكن الثَّقَلينِ ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي. فقال الشيخ: لا أبالي بعدما سمعتُ هذا الخبر. ثم قال (الصادق): يا شيخ، إن قائمنا يخرج من صلب الحسن، والحسن يخرج من صلب عليّ، وعلي يخرج من صلب محمد، ومحمد يخرج من صلب علي، وعلي يخرج من صلب ابني هذا ـ وأشار إلى موسى عليه السلام ـ وهذا خرج من صلبي. يا شيخ، والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج قائمنا أهل البيت، إلاّ أن شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غَيْبته. هناك يثبِّتُ الله علىٰ هداه المخلصين. اللّهم أعنهم علىٰ ذلك[1]

ومما استدل به الأستاذ محمد عيسى داود علىٰ أن المهدي هو ابن الحسن ما نقله من مخطوط قال عنه: إن ملك السويد (كارل جوستاف السادس عشر) اشتراه من مكتبة بإنجلترا، خاصة بأحد المفكرين الإنجليز، بعد وفاته، ومؤلفه

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٧٣، نقلاً عن كفاية الأثر.

اسمه: جاد المولى خير الدين الأمين، من علماء القرن الرابع الهجري، ومن أبناء المدينة المنورة. والنسخة الأصلية من المخطوط يحتفظ بها الملك في مكتبة قصره بإستوكهولم. وما نقله من هذا المخطوط قوله: صرخة في مكة ـ كرمها الله ـ تهزُّ الدنيا. والكرب العظيم يعَّم المدينة التي أُسْرِيَ بالنبي إليها.. وكلٌّ حاشدٌ جيوشاً، أخزى سرهم ابن الحسن المهدي الأمين[1].

إن هذا النص يُعَدُّ دليلاً قوياً علىٰ أن المراد بابن الحسن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري، المشهور بين العامة والخاصة بـ(ابن الحسن)، لعدم التصريح باسمه، وذلك لكثرة الروايات الصحيحة في كونه من ذرية الحسين عليه السلام، وضعف الرواية الواردة في كونه من ذرية الحسن عليه السلام. وقد ورد فيه الدعاء المشهور الذي يدعو به أتباع أهل البيت عقب كل صلاة، وهو: اللهمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابن الحسن، في هذه الساعةِ وفي كُلِّ ساعةٍ، وَلِيًّا وحافظاً، وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً، حتّى تُسْكِنَهُ أرضَكَ طَوْعاً، وتُمَتِّعَهُ طَويلاً.

المهدي اسمه محمد بن عبد الله

القائلون بهذا استندوا إلى أحاديث رُفِعَت إلى النبي صلى الله عليه وآله، وفيها عبارة (اسم أبيه اسم أبي)، وهي :

١ ـ الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني، والحاكم، كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[2].

---

(١) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٢٦ .

(٢) المصنّف، لابن أبي شيبة: ١٥ ـ ١٩٨ ،الحديث١٩٤٩٣ ،والمعجم الكبير،للطبراني: ١٠ ـ ١٦٣،١٦٦ الحديث١٠٢١٣ ،و١٠٢٢٢ ،ومستدرك الحاكم :٤ ـ ٤٤٢ . وأورده المجلسي في البحار: ٥١ ـ ٨٢، نقلاً عن كشف الغمة للأربلي: ٣ ـ ٢٦١ .

٢ ـ الحديث الذي أخرجه أبو عمرو الداني، والخطيب البغدادي، كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيﷺ أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يملك الناسَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[١].

٣ ـ الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد، والخطيب، وابن حجر، كلهم من طريق عاصم أيضاً عن زرّ بن حبيش، عن ابن مسعود، عن النبيﷺ أنه قال: المهدي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[٢].

٤ ـ الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد، بسنده عن أبي الطفيل، قال: رسول اللهﷺ قال: «**المهدي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**»[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه قبل مناقشة هذه الأحاديث أن بعض المصادر الشيعية قد نقلت تلك الأحاديث، علىٰ الرغم من مخالفتها أصول مذهبهم، وذلك حفاظاً علىٰ أمانة النقل من كتب أهل السنة.

وإذا درسنا تلك الأحاديث دراسة موضوعية تتبيّن لنا الحقائق التالية :

١ ـ إن سند الحديث الرابع ضعيف باتفاق علماء الدراية والحديث، إذْ وقع فيه (رِشْدِينُ المهري)، وهو رِشْدينُ بن أبي رِشْدِين. وقد اتفق علماء الرجال علىٰ ضعفه. فعن أحمد بن حنبل: إنه ليس يبالي عمّن روى. وقال حرب بن إسماعيل: سألتُ أحمد بن حنبل عنه فضعَّفه. وعن يحيى بن معين: لا يُكْتَب حديثه. وعن أبي زرعة: ضعيف الحديث وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال الجَوْزجاني: عنده معاضيل ومناكير كثيرة. وقال

---

(١) سنن أبي عمرو الداني: ٩٤ ـ ٩٥ ،وتاريخ بغداد: ١ ـ ٣٧٠ .

(٢) تاريخ بغداد: ٥ ـ ٣٩١ ،وكتاب الفتن ،لنعيم بن حماد: ١ ـ ٣٦٧، الحديث. ١٠٧٦ قال: وسمعته غير مرة لا يذكر [اسم أبيه]، ونقله السيد ابن طاوس في التشريف بالمنن: ١٥٦، ١٩٧، عن فتن ابن حماد.

(٣) الفتن، لنعيم بن حماد: ١ ـ ٣٦٨ ،ونقله عنه السيد ابن طاوس في التشريف بالمنن: ٢٥٧

النسائي: متروك الحديث لا يُكْتَبُ حديثه[1].

وبناءً علىٰ اتّضاح ضعف السند في حقيقة رِشْدِين بن أبي رِشْدين، فإن الحديث الرابع يُعَدُّ ساقطاً، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يؤخذ عنه مثل هذا الأمر العظيم الذي يتعلّق بالمهدي.

٢ ـ إن الأحاديث الثلاثة الأولى كلها ينتهي إسنادها إلى ابن مسعود، عن النبي ﷺ. والملاحظة المهمة التي يجب تسجيلها هنا أن كبار الحفاظ والمحدثين الذين أسندوا أحاديث المهدي إلى ابن مسعود لم يذكروا عبارة (واسم أبيه اسم أبي) في جميع الأحاديث التي رووها عن ابن مسعود، وأثبتوا عبارة (اسمه اسمي) فقط. فالإمام أحمد بن حنبل ـ وهو مشهور بضبطه وإتقانه ـ روى الحديث عن ابن مسعود في عدة مواضع من مسنده، وفيها (اسمه اسمي)، وليس فيها الزيادة (واسم أبيه اسم أبي)[2]. وروى الترمذي الحديث من دون ذكر الزيادة (واسم أبيه اسم أبي).

وأشار إلى أن المروي عن عليّ، وأبي سعيد الخدري وأم سلمة، وأبي هريرة هو بلفظ (اسمه اسمي) فقط. وقال بعد رواية الحديث عن ابن مسعود بهذا اللفظ: وفي الباب: عن عليّ، وأبي سعيد، وأم سلمة، وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح[3].

وأخرج الحاكم في مستدركه الحديث عن ابن مسعود بلفظ (يواطئ اسمه اسمي) فقط. ثم قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه[4].

---

(١) راجع تهذيب الكمال: ٩ ـ ١٩١ ،وتهذيب التهذيب: ٣ ـ ٢٤٠ ،تجد فيهما جميع ما ذُكِر بحق رِشْدِين بن أبي رِشْدين.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١ ـ ٣٧٦ ،و٣٧٧ ،و٤٣٠ ،و٤٤٨ .

(٣) سنن الترمذي: ٤ ـ ٥٠٥، الحديث ٢٢٣٠ .

(٤) مستدرك الحاكم: ٤ ـ ٤٤٢

وروى البغوي الحديث في مصباح السنة عن ابن مسعود، وليس فيه (واسم أبيه اسم أبي). وصرّح بأنه حديث حسن[1].

وأخرج الحديث الطبراني عن ابن مسعود نفسه، من طرق أخرى بلفظ (اسمه اسمي)، وليس فيه (واسم أبيه اسم أبي)[2].

وأورد المقدسي الشافعي الحديث في عقد الدرر، عن ابن مسعود نفسه، وليس فيه الزيادة (واسم أبيه اسم أبي). وقال بعد أن أورد الحديث: أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم، منهم أبو عيسى الترمذي في جامعه، والإمام أبو داود في سننه، والحافظ أبو بكر البيهقي، والشيخ أبو عمرو الداني، كلهم هكذا أي ليس فيه (واسم أبيه اسم أبي). وأورد المقدسي بعد ذلك عدداً من الأحاديث التي أخرجها جماعة من الحفاظ، كالطبراني، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وأبي داود، والبيهقي، عن عبد الله ابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وحذيفة[3].

ويضاف إلى ذلك كله أن الحافظ أبا نعيم الأصبهاني (توفي سنة ٤٣٠هـ) قد تابع طرق رواية الحديث عن عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود في كتابه (مناقب المهدي)، حتى أوصلها إلى واحد وثلاثين طريقاً، ولم يُرْوَ في واحد منها عبارة (واسم أبيه اسم أبي)، بل اتفقت كلها علىٰ رواية (اسمه اسمي) فقط. وقد نقل نصَّ كلام أبي نعيم الكنجي الشافعي (توفي سنة ٦٣٨ هـ) في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان)، ثم عقّب عليه قائلاً: ورواه غير عاصم، عن زرّ، وهو عمرو بن حرة، عن زر كل هؤلاء رووا (اسمه اسمي) إلا ما كان من عبيد الله بن

---

(١) مصباح السنة: ٤٩٢، الحديث ٤٢١٠ .

(٢) المعجم الكبير: الأحاديث: ١٠٢١٤ و١٠٢١٥ و١٠٢١٧ و١٠٢١٨ و١٠٢١٩ و١٠٢٢٠ و١٠٢٢١ و١٠٢٢٣ و١٠٢٢٥ و١٠٢٢٦ و١٠٢٢٧ و١٠٢٢٩ و١٠٢٣٠ .

(٣) عقد الدرر: ٥١ ـ ٥٦ ـ الباب ٢ .

موسى، عن زائدة، عن عاصم، فإن فيه (واسم أبيه اسم أبي).

ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة علىٰ خلافها... والقول الفصل في ذلك أن الإمام أحمد ـ مع ضبطه وإتقانه ـ روى هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع: (اسمه اسمي)[1].

وبعد هذا البيان يمكن القول: إنه لا يُعقل أن هؤلاء الأئمة الحفاظ الذين رووا الحديث من طريق ابن مسعود قد أسقطوا العبارة (واسم أبيه اسم أبي) إلا إذا كانت ليست موجودة في أصل الحديث.

ويتبين من ذلك كله أن العبارة (واسم أبيه اسم أبي) قد زيدت في أصل الحديث المروي عن ابن مسعود، من طريق عاصم، لأسباب سياسية. فإما أن تكون هذه الزيادة قد حصلت بفعل الحسنيين الذين يدّعون أن المهدي هو (محمد ابن عبد الله بن الحسن المثنّى)، أو تكون هذه الزيادة قد حصلت بفعل العباسيين الذين يدّعون أن الخليفة العباسي (محمد بن عبد الله) الملقّب بالمهدي هو المهدي المنتظر. وعبد الله هو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي.

وقد ذهب هذا المذهب الأستاذ محمد عيسى داود، فقد قال في كتابه (المهدي المنتظر علىٰ الأبواب): أن المهدي هو رجل اسمه محمد بن عبد الله، أبوه من آل البيت الشريف الكريم، ولكنه (أي المهدي) غالباً لا يدري أنه من آل البيت الشريف، وربما شكَّ، لكنه لم يحقق، لأن مهدي آخر الزمان معرّض لشرّ كبير، فأراد الله أن يُكتم الأمر[2]. وذكر الأستاذ داود قصة حدثت في مصر في شهر مارس ٢٠٠٣م. وهي رؤيا رأتها امرأة، وقصّتها علىٰ أحد شيوخ الأزهر الشريف في برنامج تلفازي متخصص في (تأويل الرؤى والأحلام)... وذكر أن هذه الرؤيا استنفرت أجهزة إعلام وصحافة وكتّاب

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ،الكنجي الشافعي: ٤٨٢ .

(٢) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٣٢ .

مرتزقة للتصدي لهذه الرؤيا، إلى الدرجة التي صُنِّفت فيها هذه الرؤيا بأنها (الأخطر علىٰ الأمن القومي). ثم أورد قصة الرؤيا، فقال: اتصلت فتاة هاتفياً بشيخ عالم في تأويل الرؤيا والأحلام علىٰ الهواء تلفازياً، وأجرت معه الحديث التالي: قالت: رأيتُ في المنام أنني أرى طفلاً يرضع من القمر. فطلب الشيخ منها أن تُقسم بأنها رأت ذلك حقاً، وأنها لا تكذب. فأقسمت له بذلك فبكى الشيخ بكاءً طويلاً، ثم قال لها: إن هذا علامة علىٰ ولادة مولانا الإمام المهدي المنتظر الذي بشّر به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

إن فريقاً من المسلمين يعتقدون أن المهدي اسمه (محمد بن عبد الله)، وأنه لم يولد بعد، وأنه سيولد في آخر الزمان. أو أنه قد وُلِدَ في شهر مارس سنة ٢٠٠٣ م علىٰ أساس تلك الرؤيا !

إن الأساس الذي بنى عليه هؤلاء عقيدتهم في المهدي قد تمّ نسفه بالأدلة في مناقشة الأحاديث التي ذكرت عبارة (واسم أبيه اسم أبي). وإذا أضفنا إلى ذلك ما ذكرناه سابقاً أن أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ وهم الثقات بإجماع علماء المسلمين ـ قد عيَّن كلٌّ منهم المهدي بأنه محمد بن الحسن (العسكري) بن علي (الهادي) بن محمد (الجواد) بن علي (الرضا) بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين (الشهيد) بن علي بن أبي طالب، وأضفنا أيضاً ما ذكرناه من شهادة الإمام الحسن العسكري بولادة ابنه محمد، وأنه هو المهدي الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، وشهادة الشهود الذين رأوه، واعترافات علماء المسلمين من الفريقين، يتبيَّن لنا أنَّ مَنْ ينتظر مهدياً باسم (محمد بن عبد الله) كمَنْ ينتظر وهمًّا أو سراباً.

---

(١) المهدي المنتظر على الأبواب: ٣٨ .

الفصل الثالث
أدلّة مساعدة على كون المهدي هو محمد بن الحسن العسكري

إن الذي تقدم ذكره في بيان حقيقة المهدي كافٍ في إثبات كون المهدي هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، ولكن هناك أدلّة مساعدة تضيف قوّة إلى اعتقاد مَنْ يعتقد أن ابن الحسن العسكري هو الحقيقة التي ينتظر إشراقَها على المعمورة كلها أهلُ الحق، الذين قال الله فيهم: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾، ليكونوا أوّل الملبّين لندائه، المجيبين له، المجاهدين بين يديه. أمّا الذين ينتظرون مهدياً غير ابن الحسن العسكري، فإنهم سيقولون ـ حين ينادي المنادي باسمه ـ: إنّ المهدي الذي ننتظره غير هذا الذي نودي باسمه. فتفوتُ عليهم فرصة اللقاء التي كان الأنبياء والصالحون والصدّيقون والشهداء يتمنّون أن يكونوا أحياء فيها، لتكتحل عيونهم برؤية شمس آل محمد تبزغ على الأرض، وهي ترسل إليها خيوط الأمل والأمن والأمان والسلام والعدل بين الناس، وليفوزوا بشرف صحبة خير أهل الأرض في آخر الزمان، وبنصرته والجهاد بين يديه.

الدليل الأول
حديث الثَّقَلَيْنِ

عن زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ، قال: «**كأنني قد دُعِيتُ فأجبتُ، إني تارك فيكم الثَّقَلَيْنِ، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. إن الله مولاي، وأنا وليُّ كل مؤمن. مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه. اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»[1]

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[2].

إن الرسول الأعظم ﷺ حين رحل إلى الرفيق الأعلى قد ترك في الأمة مرجعين أساسيين، هما: القرآن الكريم، والعترة الطاهرة من أهل بيته، وهم: عليٌّ وبنوه الطاهرون. إن الرسول ﷺ قد فعل ذلك بأمر من الله تعالى، لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً ولا ينطق بشيء إلا بوحي من الله. وباعتبارنا باحثين فإننا نردُّ هذا الأمر إلى الأسباب التالية:

١ ـ إن الرسول ﷺ يعلم أن سنته لم تُدَوَّن، ويعلم أنه قد كُذِبَ عليه

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣ ـ ١٠٩.

(٢) سنن الترمذي: ٥ ـ ٦٦٢، الحديث (٣٧٨٦).

في حياته، فقال: مَنْ كَذبَ عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار ، فلا بدَّ أن يعيّن للأمة مرجعاً مع القرآن ترجع إليه في أمر السنة، ولابدَّ من أن يكون هذا المرجع عارفاً بكل قولٍ أو فعلٍ أو إقرار لفعلٍ أو سكوتٍ عليه صدر عن الرسولﷺ.

٢ ـ إن الرسولﷺ يعلم أن القرآن الكريم فيه محكم ومتشابه، ومجمل ومفصّل، وناسخ ومنسوخ... كما تشتمل آياته علىٰ وجوه ومحامل يمكن استخدامها من قبل كل فئة للاستدلال علىٰ صحة رأيها، ويعلم أن الذي يعلم تفسير آيات القرآن بالمعنى الذي أراده الله تعالىٰ هو النبيّ نفسه، والشخص الذي يعلّمه القرآن كما يتعلّمه من الوحي. وهذا الشخص هو عليٌّ وذريته الذين يرثون علم رسول الله بالقرآن من عليّ، وهم عترة النبي ﷺ. فلا بدَّ أن تكون عترة النبي مرجعاً للأمة مع القرآن الكريم.

٣ ـ إن الرسولﷺ رحيم بأمته، شفيق عليهم، رؤوف بهم، كما أنه حريص علىٰ أن لا يختلفوا من بعده إلى فرق ومذاهب وجماعات بسبب الاجتهادات والآراء المختلفة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولأجل ذلك كله لا بدَّ من أن يعيِّن للأمة مرجعاً إلى جانب القرآن الكريم والسنة الشريفة، ترجع إليه الأمة في أخذ أحكام الإسلام في كافة شؤون حياتها، فتتحقق بهذا المرجع وحدة الأمة التي هي سبب قوتها وعزتها.

إن الرسولﷺ قد فعل ذلك، وعيَّن للأمة مرجعاً إلى جانب القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، فقالﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي... كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي....**» ومن الجدير بذكره هنا أن الأمة هي التي تتحمل مسؤولية الأخذ بقول الرسولﷺ، والالتزام به، والالتفاف حول المرجع الذي عيَّنه لها، أو عدم الأخذ به، وتتحمّل كافة النتائج المترتبة علىٰ موقفها، ولذلك قالﷺ: «**فانظروا كيف تخلفوني فيهما**».

إن الصحابة كانوا يفهمون ماذا يريد الرسولﷺ بقوله: (**وعترتي أهل بيتي**)، ويعلمون أن أول أهل بيته في الفترة التي تلي رحيلهﷺ إلى الرفيق الأعلى هو عليٌّعليه السلام، وهذا يعني أن الأمر لا يحتاج إلى نصّ من الرسولﷺ في عليّ، لأنه يمثل أول العترة التي يجب علىٰ الأمة الرجوع إليه بعد رحيل الرسولﷺ.

وإذا كان عليٌّعليه السلام هو أول العترة، ولا يحتاج إلى نصّ من الرسولﷺ في تعيينه مرجعاً للأمة إلى جانب القرآن الكريم، فليس من الضروري إذاً أن يتولّى الرسول بنفسه تعيين مَنْ يكون مرجعاً للأمة مع القرآن بعد عليّ في كلّ عصر إلى آخر الزمان، وحتى قيام الساعة (فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض). والمقياس الطبيعي في مثل هذا الأمر أن يتولّى السابق بالنصّ علىٰ إمامة مَن يكون بعده مرجعاً للأمة إلى جانب القرآن الكريم. وهكذا حتى يرد مع القرآن علىٰ النبيّ حوضه آخرُ عاصم للأمة من الضلالة والفرقة والضعف والتفكك. وقد فعل عليٌّعليه السلام ذلك بالنص علىٰ مَنْ يليه في مهمة المرجعية للأمة، فنصّ علىٰ ابنَيْه الحسن والحسين، فإذا مضى الحسن فالحسين بعده. وهكذا فعل كلُّ واحد من العترة ممَّن يقوم بمهمة المرجعية للأمة بالنص علىٰ مَنْ يليه في هذه المهمة، حتى وصل الدور إلى الإمام الحادي عشر من العترة، وهو الحسن العسكري، فنصّ علىٰ ابنه محمد المهدي المنتظرعليه السلام. هذا كله قد حصل ولا يحتاج إلى دليل، ومع ذلك فهناك جملة من الأحاديث المروية عن النبيﷺ ينصُّ فيها النبيﷺ علىٰ الأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد بأسمائهم[1].

وإذا رجعنا إلى قول الرسولﷺ: (لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)، وتأملناه بالدراسة، فإننا نعرف أن معناه يوجب وجود إمام من العترة الطاهرة

---

(١) ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي: ٣ ـ ١٦١، الباب ٩٣ .

في كل عصر مع وجود

القرآن الكريم. ولهذا قال ابن حجر: وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به (أي الكتاب) إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، ويشهد لذلك الخبر: في كلّ خَلَف من أمتي عدول من أهل بيتي.. [1]

وإذا توقف إمام من العترة الطاهرة عن تعيين مَنْ يليه للقيام بالأمر من بعده، وتوقّف النص عنده للقيام بهذا الأمر، فهذا يعني أن هذا الإمام باقٍ مع بقاء القرآن الكريم. وإذا حصل هذا الأمر في الإمام الثاني عشر من العترة، وهو محمد بن الحسن العسكري الذي لم يعيّن مَنْ يخلفه في هذا الأمر، فإن مصداق حديث الثقلين يقضي ببقاء ابن الحسن العسكري مع بقاء القرآن الكريم، إلى أن يأذن الله له بالخروج، ليؤسس ملكوت الله في الأرض، فيملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً. وممن رواه بالرواية المذكورة البخاري، ومسلم، من أهل السنَّة[2] والكُليني والصدوق، ووالده، والحميري، والصفّار، من الشيعة[3]. وأخرجه كثيرون باختلاف في الألفاظ لا يؤثر في معناه.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٩ .

(٢) صحيح البخاري: ٥ ـ ١٣، باب الفتن، وصحيح مسلم: ٦ ـ ٢١ ـ ٢٢، الحديث ١٨٤٩

(٣) أصول الكافي: ١ ـ ٣٠٣، ٣٠٨، ٣٧٨، وروضة الكافي: ٨ ـ ١٢٩، وإكمال الدين وتمام النعمة: ٢ ـ ٤١٢ ـ ٤١٣، والإمامة والتبصرة: ٢١٩ .

الدليل الثاني
حديث (مَنْ ماتَ ولم يعرفْ إمام زمانه)

حفلت أمهات كتب الحديث من الفريقين بحديث مشهور، وهو (مَنْ ماتَ ولم يعرفْ إمام زمانه ماتَ مِيتةً جاهليَّةً)[1]. وعلى الرغم من روايته بألفاظ مختلفة، فإن المعنى واحد.

وإذا توقفنا مع هذا الحديث، ودرسناه بموضوعيّة، فإننا نعلم أن كل مسلم ومسلمة يجب أن يعرف إمام زمانه الحقّ، وإلاّ فإن عاقبته سيِّئة، ومصيره مخيف، لأنه إذا مات علىٰ هذه الحالة فإنه يموت ميتة جاهلية. وهذا يعني وجوب أن يكون إمام حقّ من العترة الطاهرة التي لن تفترق عن القرآن الكريم، موجودٌ في كل عصر وجيل، ويعني أيضاً وجوب أن يعرف كل مسلم ومسلمة هذا الإمام الحق من العترة الطاهرة.

وإذا كان الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري هو آخر إمام بعد أبيه الحسن العسكري من العترة الطاهرة التي لن تفترق عن القرآن الكريم، فهو إذاً إمام الزمان الحق الذي يجب علىٰ الأمة أن تعرفه. وهذا يعني أنه موجود حتى يتحقق وعد الله تعالىٰ في قوله: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ، ويجب علىٰ الأمة أن تعرفه، وتنتظر خروجه.

---

(١) مسند أحمد: ٢ ـ ٨٣، ٣ ـ ٤٤٦، ومسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٩، والمعجم الكبير للطبراني: ١٠ ـ ٣٥٠، ومستدرك الحاكم: ١ ـ ٧٧، وسنن البيهقي: ٨ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧، ومجمع الزوائد: ٥ ـ ٢١٨، ٢١٩ .

وإذا قيل: إن المراد بالإمام الذي مَنْ لا يعرفه يموت ميتة جاهلية هو السلطان، أو الحاكم، أو الملك، أو الرئيس، فهل ينطبق الحديث علىٰ هذا السلطان أو الحاكم أو الملك أو الرئيس إذا كان ظالماً فاسقاً؟، وهل ينطبق مفهومه علىٰ حكام المسلمين في عصرنا الحاضر؟ وعلى مَنْ يدَّعي انطباق الحديث علىٰ هؤلاء الحكام أن يثبت بالدليل أن معرفة الحاكم الظالم الفاسق هي من الدين، وأن يبرهن علىٰ أن حكام المسلمين في هذا العصر هم أئمة المسلمين الذين يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة معرفتهم، وإن لم يعرفوهم يموتوا ميتة جاهلية !

ولو كان المقصود في الحديث حكام المسلمين في هذا الزمان، فلماذا جاء الحديث بلفظ (إمام زمانه) بالمفرد، وحكام المسلمين كثيرون، متفرقون، لا يجتمعون علىٰ أمرٍ واحدٍ من أمور الأمة الإسلامية؟!. كل هذا يدلُّ علىٰ وجوب وجود إمام واحد يجمع المسلمين جميعاً علىٰ قولٍ واحدٍ، وتوجّهٍ واحدٍ، وموقفٍ واحدٍ.

الدليل الثالث
حديث (إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة)

أورد هذا الحديث أهل السنة والشيعة في كتبهم من طرق كثيرة[1].

ورواه كميل بن زياد النخعي، صاحب الإمام عليّ، عن عليّ عليه السلام، كما في نهج البلاغة من خطبة له، قال فيها بعد كلام طويل: اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة.

وإذا أخذنا بظاهر الحديث فإن معناه لا يصحّ مع عدم وجود الإمام المهدي، لأن الإمام المهدي هو آخر الأئمة الاثني عشر من العترة الطاهرة، التي لن تفترق عن القرآن الكريم، فيكون هو القائم لله بحجة، وعدم وجوده يعني خلو الأرض من قائم لله بحجة. وقد تنبّه لهذا المعنى ابن أبي الحديد. قال في شرح هذه العبارة من خطبة الإمام علي: كي لا يخلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالىٰ علىٰ عباده، ومسيطر عليهم. وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلاّ أن أصحابنا يحملونه علىٰ أن المراد به الأبدال[2].

كما فهم ابن حجر العسقلاني منه إشارة إلى مهدي أهل البيت، فقال:

---

(١) المعيار والموازنة، للإسكافي المعتزلي: ٨١، وعيون الأخبار، لابن قتيبة: ٧، المحاسن والمساوئ، للبيهقي: ٤٠، وتاريخ البغدادي: ٦ ـ ٤٧٩، والمناقي، للخوارزمي الحنفي: ١٣، ومفاتيح الغيب، للرازي: ٢ ـ ١٩٢، والمختصر، لابن عبد البر: ١٢، وشرح المقاصد للتفتازاني: ٥ ـ ٢٤١، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: ٦ ـ ٢٧٠، ٢٧٤، وأصول الكافي، للكليني: ١ ـ ١٣٦، ٢٧٠، ٢٧٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٨ ـ ٣٥١ .

وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال: إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة[1].

هذا وقد جاء من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لكميل بن زياد ما فيه دلالة واضحة على أن معنى الحديث المذكور لا يصح مع عدم وجود مهدي آل البيت. قال أمير المؤمنين عليّ: يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق ـ إلى أن قال ـ اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته[2].

وجاء في الحديث الصحيح عن الحسن بن أبي العلاء الخفاف، قال: قلتُ لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا.... ثم ذكر حديث: إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦ ـ ٣٨٥ .

(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٤ ـ ٦٩١ .

(٣) أصول الكافي: ١ ـ ١٣٦، باب (إن الأرض لا تخلو من حجة).

الدليل الرابع
أحاديث (الخلفاء اثنا عشر)

هناك جملة من الأحاديث الصحيحة تنصّ على أن الخلفاء من بعد رسول الله اثنا عشر منها :

١ ـ أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش[١].

٢ ـ أخرج مسلم، أن النبيﷺ قال: «**ولا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش**»[٢].

٣ ـ أخرج أحمد في مسنده، بسنده عن مسروق، قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود، وهو يقرأ القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول اللهﷺ: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟

فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمتُ العراق قبلك، ثم قال: نعم، سألنا رسول اللهﷺ فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل[٣].

وإذا درسنا هذه الأحاديث في ضوء النتائج التي حصلنا عليها من دراسة أحاديث (إني تارك فيكم الثَّقَلين...)، و(مَنْ مات ولم يعرف إمام

---

(١) صحيح البخاري: ٤ ـ ١٦٤، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف.

(٢) صحيح مسلم: ٢ ـ ١١٩، كتاب الإمارة، باب (الناس تبع لقريش).

(٣) مسند أحمد: ٥ ـ ٩٠، ٩٣، ٩٧، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧ .

زمانه...)، و(إن الأرض لا تخلو من قائم...) فإننا نحصل علىٰ الحقائق التالية :

١ ـ قوله ﷺ: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة يدلُّ علىٰ عدم خلوّ أي عصر أو جيل علىٰ طول الزمان، من واحد من هؤلاء الاثني عشر، بدليل الحديث:

إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة ، والأحاديث الأخرى التي سبق ذكرها، وما رواه مسلم في الباب نفسه: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان.

فمَنْ هو الثاني عشر من هؤلاء الذي لا يخلو منه عصر علىٰ طول الزمان؟ أليس هو الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر أئمة أهل البيت؟

٢ ـ لا بدَّ من أن يكون هؤلاء الاثنا عشر الذين وصفهم الحديث بأنهم من قريش، من العترة الطاهرة، لأننا لو حملناهم علىٰ غير العترة الطاهرة من أئمة أهل البيت، لحصل تعارض بين هذه الأحاديث وحديث الثَّقَلَيْن الذي ينص علىٰ وجوب وجود إمام من العترة إلى جانب القرآن الكريم في كل عصر وجيل. فمَنْ هو الخليفة الثاني عشر من قريش، الذي يجب أن يكون موجوداً مع القرآن في كل عصر وجيل؟ أليس هو المهدي محمد بن الحسن؟

٣ ـ المراد بلفظ (خليفة) الوارد في الحديث: هو الذي يستخلفه من قبله، فقولهم: خلف فلان فلاناً، معناه: جاء بعده. وخلَّفتُ فلاناً، واستخلفته: جعلته خليفتي. واستخلفه: جعله خليفة. وهذا المعنى يلزم وجود متقدّم يجعل شخصاً خليفة بعده. وقد يسمّون الذي يأخذ مكان شخص قبله خليفة أيضاً، وإن لم يستخلفه الذي قبله، فقالوا: خَلَفَه يخلُفُه خلَفاً: صار مكانه. وخلَفَ فلان أباه إذا صار في مكانه. واستُعمل الخليفة بمعنى إمام الرعية، قال في اللسان: والخليفة إمام الرعية. ونُقِل عن الزجاج

قوله: جاز أن يُقال للأئمة خلفاء الله في أرضه، لقوله عزَّ وجلَّ: ي﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾...[1] [2].

ويظهر من ذلك أن الخليفة هو إمام الأمة، وهو الدليل والهادي والمتَّبَع والقيِّم علىٰ الناس. وهذا المعنى يلزم أن يكون الخليفة علىٰ درجة كبيرة من الصلاح والعلم بشريعة الله، علىٰ الوجه الذي يريده الله تعالىٰ ورسوله الكريم، ويلزم أن تكون وظيفة الخليفة هي الحفاظ علىٰ الإسلام الأصيل، وهداية الأمة إلى طاعة الله، وإبعادها عن معصيته، وتدبير شؤونها الحياتية، بما يحقق لها النجاة في الدنيا والآخرة. وهذا الدور يمكن أن يمارسه الخليفة وهو رئيس الدولة الإسلامية وقائدها السياسي، ويمكن أن يمارسه الخليفة أيضاً إذا أُقْصِيَ عن رئاسة الدولة وقيادتها السياسية، باعتباره المرجع العارف بالدين.

ولو بحثنا عن مصاديق يتجسد فيها مفهوم الخلفاء الاثني عشر لما وجدنا غير الأئمة الاثني عشر من العترة الطاهرة، الذين أولهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم المهدي المنتظر محمد بن الحسن، الذين هم ثقل رسول الله، لن يفترقوا عن القرآن إلى يوم القيامة. وهؤلاء الأئمة قد خلَفَ كل واحد منهم الذي قبله في إمامة الأمة، وهدايتها إلى طاعة الله، والحفاظ علىٰ الإسلام الأصيل الذي جاء به رسول الله، وكلّهم من قريش. ولا يصحُّ أن ينطبق الحديث علىٰ غيرهم من الخلفاء أو الأمراء. ولو افترضنا أنه ينطبق علىٰ الخلفاء الذين جاؤوا بعد رسول الله ﷺ، فإن هذا يعني أن نبدأ بأول الخلفاء الراشدين، وهو أبو بكر (رضي الله عنه)، وننتهي بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، لكي يكتمل العدد اثني عشر خليفة[3]. ولكنّ هذا

---

(١) سورة صَ: الآية ٢٦ .

(٢) لسان العرب: (خلف ٩ ـ ٨٤).

(٣) وانظر أقوال الذين قالوا بذلك في: كتاب السلوك لمعرفة الملوك، للمقريزي: ١ ـ ١٣ ـ ١٥ من القسم الأول، وتفسير ابن كثير: ٢ ـ ٣٤، وشرح العقيدة الطحاوية: ٢ ـ ٧٣٦ .

الافتراض يَبْطُلُ بالحقائق التالية :

١ ـ إن في هؤلاء الخلفاء مَنْ عُرِفَ بالنفاق وظلم الناس وسفك دمائهم، أمثال مروان بن الحكم، ويزيد بن معاوية، وغيرهما من خلفاء بني أميَّة. وهذا الأمر يتعارض مع وجوب أن يكون الخلفاء الاثني عشر علىٰ درجة كبيرة من الصلاح والعلم بشريعة الله، ليكونوا حفظة الإسلام وهداة الأمة، والأدلاّء إلى الله تعالى. ولهذا جاء في (عون المعبود في شرح سنن أبي داود): قال التوربشتي: السبيل في هذا الحديث وما يتعقّبه في هذا المعنى أن يُحمل علىٰ المقسطين منهم، فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة علىٰ الحقيقة..[1].. هذا فضلاً عن كون هذا الافتراض فيه إساءة إلى رسول الله ﷺ، لأن الأخذ به يلزم أن يكون الرسول قد جعل أمثال يزيد ومروان بن الحكم ممن يقوم بهم الدين، لقوله ﷺ: (لا يزال الدين قائماً...). وقد علّق القندوزي الحنفي علىٰ ذلك بقوله: قال بعض المحققين: إن الأحاديث الدالة علىٰ كون الخلفاء بعده ﷺ اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان عُلِمَ أن مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا: الأئمة اثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذْ لا يمكن أن يُحْمَلَ هذا الحديث علىٰ الخلفاء بعده من أصحابه، لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن نحمله علىٰ الملوك الأموية، لزيادتهم علىٰ اثني عشر، ولظلمهم الفاحش، إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم من غير بني هاشم، لأن النبي ﷺ قال: «**كلُّهم من بني هاشم**» في رواية عبد الملك، عن جابر، وإخفاء صوته في هذا القول يرجح هذه الرواية.. ولا يمكن أن يُحمل علىٰ الملوك العباسية، لزيادتهم علىٰ العدد المذكور، ولقلة رعايتهم... ويؤيد هذا المعنى ـ أي أن مراد النبي ﷺ الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته ـ ويُرجِّحه حديث الثَّقَلَيْن[2].

---

(١) عون المعبود: ١١ ـ ٢٦٢، شرح الحديث ٤٢٥٩ .

(٢) ينابيع المودة: ٣ ـ ١٠٥، الباب ٧٧ .

٢ ـ لو أخذنا بأن آخر الخلفاء الاثني عشر هو عمر بن عبد العزيز، فهذا يعني أن جميع العصور والأزمنة بعد عمر بن عبد العزيز تخلو من خليفة يقوم لله بحجة. وهو أمر ينفيه مفهوم الحديث الذي يدلّ علىٰ أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة، وينفيه أيضاً مفهوم الحديث (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثني عشر خليفة..)

٣ ـ إذا عرضنا الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، بسنده عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فأجاب الرسول: اثني عشر، كعدّة نقباء بني إسرائيل ، والذي تقدّم ذكره، علىٰ القرآن الكريم، فإن القرآن يقول في نقباء بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[1]. إن الله تعالىٰ قد عيَّن نقباء بني إسرائيل الاثني عشر بالنصّ عليهم بأسمائهم. وفي تشبيه الرسول ﷺ خلفاءه من بعده بنقباء بني إسرائيل ليس في العدد فحسب، إنما بالتعيين والنصّ عليهم. وهذا لا ينطبق إلا علىٰ الأئمة الاثني عشر من أهل بيت النبيّ ﷺ.

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن الحكومات التي تعاقبت علىٰ رئاسة الدولة الإسلامية بعد الخلفاء الراشدين قد نصبت العداء لعترة الرسول ﷺ، واتفقت جميعاً علىٰ إقصاء العترة الطاهرة من الحياة السياسية، فضلاً عن اضطهادهم والتنكيل بهم بالسجن أو القتل. ورافق ذلك تعتيم إعلامي كبير علىٰ الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، فرضته السلطات الحاكمة. ومن الطبيعي في هذا الجو أن يتحاشى المحدّثون والمؤرخون ذكر نص عن رسول الله ﷺ علىٰ تعيين الأئمة الاثني عشر بعده، لأن ذلك يثير عليهم حفيظة السلطات الحاكمة. ومن المستبعد أن يسمح الحاكم الذي جعل من نفسه خليفة علىٰ المسلمين برواية حديث ينصُّ علىٰ أن المقصود بالخلفاء الاثني

---

(١) سورة المائدة: الآية: ١٢ .

عشر هم أئمة أهل البيت الاثنا عشر، الذين صُنِّفوا بكونهم أئمة للشيعة فقط، والحال أنهم أئمة للمسلمين، أو أن يسمح برواية أو حديث ينصُّ علىٰ أن المهدي هو الإمام الثاني عشر منهم، اللهم إلا ما خرج من تلك الأحاديث والروايات عن رقابة الحكومات. وعلى الرغم من هذا الحصار الإعلامي علىٰ الأئمة من أهل البيت، فإن ما خرج عن رقابة السلطان في حقهم انتشر في الدنيا كضوء النهار. ومما خرج من ذلك أحاديث تنصُّ علىٰ الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله ﷺ، ومنها :

أخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، نقلاً عن كتاب المناقب للخوارزمي الحنفي، بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعتُ جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا جابر، إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم عليّ، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر، [و] ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي ابن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، محمد بن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غَيْبة لا يثبت علىٰ القول بإمامته إلا مَنْ امتحن الله قلبه للإيمان. . . .**»[1]

وأخرج القندوزي الحديث من طريق آخر، بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ، ثم قال بعد روايته: وأخرجه الحموييني[2] أي صاحب فرائد السمطين.

وأخرج القندوزي نقلاً عن (فرائد السمطين) بسنده عن ابن عباس

---

(١) ينابيع المودة: ٣ ـ ١٧٠، الباب ٩٤ .

(٢) ينابيع المودة: ٣ ـ ١٦١، الباب ٩٣ .

حديثين عن النبيﷺ في ذكر الأئمة من بعده بأسمائهم، وأولهم عليّ وآخرهم المهدي[1].

ومن الجدير بالذكر هنا أن أحاديث (الخلفاء اثنا عشر) قد سبقت التسلسل التاريخي لأئمة أهل البيت الاثني عشر، وضُبِطت في كتب الصحاح قبل تكامل واقع أئمة أهل البيت. وهذا الأمر يُعَدُّ حقيقة ربانية نطق بها مَنْ لا ينطق عن الهوى، وهو من دلائل النبوة في صدقها عن الإخبار بما هو كائن.

---

(١) ينابيع المودة: ٣ ـ ٩٩ .

الدليل الخامس
أحاديث الغَيبة

هناك جملة من الأحاديث جاءت علىٰ لسان رسول الله ﷺ، وأهل بيته الطاهرين، أخبرت عن خصوصية من خصوصيات المهدي، لم تتوفر إلا في الإمام محمد بن الحسن العسكري، وهي أن المهدي الموعود يغيب عن الأنظار بإذن الله تعالى، لحمايته من بطش الجبارين والطواغيت الذين يترصّدونه في كل عصر وزمان، ليقتلوه قبل أن يخرج ويقيم دولة الإسلام العالمية التي تُذهب بممالكهم، وتقضي علىٰ سلطانهم. ومن تلك الأحاديث:

١ ـ الحديث الذي أخرجه القندوزي في (ينابيع المودة)، نقلاً عن الخطيب الخوارزمي الحنفي في (المناقب)، بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**يا جابر، إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم عليّ**». . . . . إلى أن قال: «**ثم الحسن بن عليّ، ثم القائم، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، محمد بن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غَيبة لا يثبت علىٰ القول بإمامته إلا مَن امتحن الله قلبه للإيمان**»[1].

٢ ـ أخرج في فرائد السمطين، بسنده عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٥٧، نقلاً عن ينابيع المودة: ٤٩٤، ط إسلامبول ١٣٠١هـ.

«المهدي من وُلدي، يكون له غَيْبة وحيرة تضل فيها الأمم»[1]. . وأخرجه القندوزي في ينابيع المودة أيضاً[2].

٣ ـ أخرج القندوزي في ينابيع المودة، بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المهدي من وُلدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي. . . يكون له غَيْبة وحيرة تضلّ فيها الأمم، ثم يُقبل كالشهاب الثاقب. .**»[3].

٤ ـ أخرج في فرائد السمطين بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: . . . . «**والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين علىٰ القول بإمامته في زمان غَيْبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر**». فقام إليه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله، وللقائم من وُلدك غَيْبة؟ قال: «**إي وربي، ليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**». ثم قال: «**يا جابر، إن هذا أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، فإياك والشكَّ فيه، فإن الشك في أمر الله عزَّ وجلَّ كفر**»[4].

٥ ـ أخرج في إكمال الدين وإتمام النعمة، بسنده عن الإمام عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أنه قال: التاسع من وُلدك يا حسين هو القائم بالحق، والمظهر للدين، والباسط للعدل. قال الحسين عليه السلام: وإن ذلك لكائن؟ قال عليه السلام: إي، والذي بعث محمداً بالنبوة، واصطفاه علىٰ جميع البرية، ولكن بعد غَيْبة وحيرة، لا يثبت فيها علىٰ دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٩، نقلاً عن فرائد السمطين، آخر الجزء الثاني.

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٩، نقلاً عن ينابيع المودة: ٤٩٣ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٩ .

(٤) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ٢٥٧ .

وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيّدهم بروح منه[1].

الحيرة: الضلال عن الحق، وعدم التمكن من الاهتداء إليه، والارتداد إلى الباطل. يقال: حار بصرُه حيْراً وحيْرة وحَيَراناً: نظر إلى الشيء فلم يقوَ علىٰ النظر إليه، وارتدّ عنه.

وحار فلان حيرة: ضلَّ سبيله. وما يحصل في وقتنا الحاضر من الحيرة لدى جميع المسلمين، وخاصة المسلمين في العراق، وأخصّ منهم شيعة أهل البيت، هو دليل علىٰ صدق الحديث. فإن كثيراً منهم في أيامنا هذه لم يتمكنوا من الاهتداء إلى الحق، فاشتبه عليهم الحق والباطل، فاتبعوا أهواءهم بغير هدًى، فضلّوا عن طريق الحق، وسلكوا سبيل المغضوب عليهم والضالّين. اللَّهُمَّ سددنا، وعرّفنا الحقَّ، واهدنا إلى اتِّباعه. وعرِّفنا الباطل، واهدنا إلى اجتنابه، اللَّهُمَّ لا تجعل الحقَّ والباطل علينا متشابهاً، فنتبّع الهوى بغير هدًى منك، وثبّتنا علىٰ الحقِّ حتى ظهور وليّك وحجتك محمد بن الحسن المهدي، برحمتك يا أرحم الراحمين.

٦ ـ وأخرج في إكمال الدين أيضاً مرفوعاً إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: إياكم والتنويه، أما والله لَيَغيبَنَّ إمامكم سنينا من دهركم، ولَتُمَحَّصُنَّ حتى يقال: مات أو هلك، بأيِّ وادٍ سلك. ولَتَدْمَعَنّ عليه عيون المؤمنين، ولَتَكْفَأُنَّ كما تكفأُ السفن في أمواج البحر، ولا ينجو إلا مَنْ أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيَّده بروح منه[2].

قوله: حتى يقال مات أو هلك بأيِّ وادٍ سلك إشارة إلى القائلين: أنَّى له أن يبقى حيًّا طول هذه السنين، لا بدَّ أن يكون قد ماتَ أو هلك. وقوله: لَتَكْفَأُنَّ... أي: أُؤَكِّدُ أنكم بسبب طول غيبته ترتدون، وتنقلبون عن الدين

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ١ ـ ٤٢٢ .

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢ ـ ٣٤٧، الباب ٣٣ .

وتنصرفون عن هذا الأمر، أي: انتظار الإمام. يقال: كفأ الإناء وأكْفَأَهُ: كبَّهُ وقلبه. وكفَأَ القوم عن الشيء: انصرفوا عنه.

٧ ـ في أصول الكافي بسند صحيح عن عليّ بن إبراهيم، عن الحسن ابن موسى الخشاب، عن عبد الله بن موسى، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، قال: سمعتُ أبا عبد الله (الصادق) يقول: إن للغلام غَيْبة قبل أن يقوم. قال: قلتُ: ولِمَ؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ ثم قال: يا زرارة، وهو المنتظر الذي يُشَكُّ في ولادته. منهم مَنْ يقول: ماتَ أبوه بلا خلَف، ومنهم مَنْ يقول: حَمْلٌ (أي ماتَ أبوه وهو حَمْلٌ في بطن أمه)، ومنهم مَنْ يقول إنه وُلِدَ قبلَ موت أبيه بسنتين...[١]

وهذا الذي أخبر عنه الإمام الصادق من أمر المهدي بعد غَيْبته حاصلٌ بين المسلمين. فمنهم مَنْ يقول: لم يُولَدْ بعدُ، ومنهم مَنْ يَشُكُّ في ولادته.... الخ

٨ ـ أخرج في كفاية الأثر بسنده عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: القائم بالحق الذي يطهّر الأرض من أعداء الله، ويملؤها عدلاً، كما ملِئت جوراً هو الخامس من وُلْدي. له غَيْبة يطول أمدها خوفاً علىٰ نفسه، يرتدُّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون[٢].

٩ ـ أخرج محمد بن إبراهيم النعماني في كتاب الغَيْبة، بسنده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (الباقر)، أنه قال: يا أبا الجارود، إذا دار الفلك، وقالوا مات أو هلك، وبأيِّ وادٍ سلك، وقال الطالب له: أنَّى يكون ذلك وقد بُلِيَتْ عظامه، فعند ذلك فارتجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً علىٰ الثلج[٣]

---

(١) أصول الكافي: ١ ـ ٣٣٧، الباب ٨٠، وانظر: إكمال الدين: ٢ ـ ٣٤٢، الباب ٣٣ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ١ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٣) الغَيْبة: ١٥٤ .

والمقصود بـ(دار الفلك) اختلاف الشيعة بينهم، بسبب فتنة عمياء تُظلّهم قبل ظهور المهدي، كما يفسِّر ذلك الحديث التالي. وقد أظلّت الشيعة الآن فتنة بالعراق بسبب احتلال أمريكا وحلفاؤها لبلاد العراق، وانقسام الشيعة إلى ثلاث فرق: فرقة تؤيّد المحتل، وتسير في ركابه، وفرقة تقاوم المحتل وتقاتله، وفرقة اعتزلت هذا وذلك، لأنها ترى أن الفريقين علىٰ باطل. وفي ألفاظ الحديث أيضاً ما ينطبق علىٰ عصرنا الحاضر، فإن كثيراً من المسلمين يشكون بوجود المهدي حيًّا إلى هذا اليوم.

١٠ ـ وأخرج في كتاب الغَيْبة أيضاً بسنده عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن زائدة بن قدامة، عن عبد الكريم، قال: ذُكِرَ عند أبي عبد الله (الصادق) القائم، فقال: أنَّى يكون ذلك ولم يستدر الفلك، حتى يقال: مات أو هلك في أيِّ وادٍ سلك؟ فقلتُ: وما استدارة الفلك؟ فقال: اختلاف الشيعة بينهم. [١]

١١ ـ وأخرج في كتاب الغَيْبة بسنده عن العباس بن عامر القصباني، عن موسى بن هلال، عن عبد الله بن عطاء المكي، قال: خرجتُ حاجًّا من واسط، فدخلتُ علىٰ أبي جعفر محمد بن عليّ (الجواد)، فسألني عن الناس والأسعار، فقلتُ: تركتُ الناس مادِّينَ أعناقهم إليك، لو خرجتَ لاتَّبعك الخلق. فقال: يا بن عطاء، قد أخذت تفرش أذنيك للنَّوْكى، لا والله ما أنا بصاحبكم، ولا يُشار إلى رجل منا بالأصابع، ولا يحطّ إليه بالحواجب إلاّ ماتَ قتيلاً أو حتفَ أنفه. قلتُ: وما حتفَ أنفه؟ قال: يموت بغيظه علىٰ فراشه، حتى يبعث الله مَنْ لا يُؤْبَهُ لولادته. قلتُ: ومَنْ لا يُؤْبَهُ لولادته؟ فقال: انظر مَنْ لا يدري الناس أنه وُلِدَ أم لا، فذاك صاحبكم[٢]

---

(١) الغَيْبة: ١٥٧ .

(٢) الغَيْبة: ١٦٨ .

والنَّوْكى: جمع أنْوَك. وهو الأحمق[1]. و لا يُؤْبَهُ: لا يُحْتَفَل به، ولا يُلْتَفَتُ إليه، لخموله، أو حقارته[2].

١٢ ـ أخرج في إكمال الدين وإتمام النعمة، بسند صحيح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا الحسن بن موسى الخشاب، عن العباس بن عامر القصباني، عن الإمام موسى بن جعفر (الكاظم)عليه السلام، قال: سمعتُ أبا الحسن موسى بن جعفر يقول: صاحب هذا الأمر مَنْ يقول الناس: لم يولد بعدُ.[3].

إن ما أخبر به الإمام موسى بن جعفر الكاظم والإمام محمد بن علي بن موسى عن حال الناس في أمر المهدي واقع في عصرنا الحاضر. فبعض الناس يقولون: إنه وُلِدَ، وبعضهم يقولون: لم يولَد، وسيولد. إنَّ حصول هذا الأمر وتحققه يدل علىٰ أن علم الأئمة بأمر المهدي قد ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، إنما علمه عن الله بواسطة الوحي.

١٣ ـ في أصول الكافي عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (الصادق)عليه السلام: للقائم غَيْبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة. والغَيْبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة مواليه[4].

١٤ ـ أخرج في كتاب الغَيْبة بسنده عن عبد الله بن جبلة، عن إبراهيم ابن المستنير، عن المفضَّل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله (الصادق)عليه السلام، أنه قال: إن لصاحب هذا الأمر غَيْبَتَيْن: إحداهما تطول،

---

(١) المعجم الوسيط: نوك .

(٢) المعجم الوسط: أبه .

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣٦٠ .

(٤) أصول الكافي: ١ ـ ٣٤٠، الباب ٨٠ .

حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتِل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى علىٰ أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يُطْلِعُ علىٰ موضعه أحد من ولي ولا غيره، إلا المولى الذي يلي أمره[1].

وإذا درسنا أحاديث الغَيْبة التي سبقت تتبيَّن لنا الحقائق التالية :

الأولى: إن مصدر هذه الأحاديث هو الرسول الأعظمﷺ والأئمة من عترته الطاهرينعليهم السلام.

الثانية: إنهم اهتموا بذكر الغَيْبة لأنها علامة فارقة من العلامات التي تعيّن المهدي.

الثالثة: إنهم أشاروا إلى ما يحدث بالمسلمين، وخاصة أتباع أهل البيت وشيعتهم أثناء الغَيْبة من الحيرة والشكّ في وجود الإمام المهدي، والاختلاف الذي يحصل في أمر ولادته بين المسلمين: هل وُلِدَ؟ أم لم يولد؟ أم سيولد؟ واختلاف الشيعة فيما بينهم بسبب شدة الأحداث التي تجري عليهم، مع عدم وجود أثر للمهدي، وقلّة الثابتين علىٰ الحق في هذه الأحداث. وقد حصل جميع ذلك.

الرابعة: إن الفترة الزمنية التي صدرت فيها هذه أحاديث الغَيْبة تبدأ من عصر الرسولﷺ، أي قبل أكثر من قرنين ونصف قبل غَيْبة الإمام المهدي، ثم استمرَّ صدورها عن الأئمة إلى ما قبل الغَيْبة بمدة قصيرة.

الخامسة: إن كثيراً من العلماء والمؤلفين والرواة قد دوَّنوا أحاديث الغَيْبة في كتبهم، متوخّين الدقة في نقلها سنداً ومتناً، وهم علىٰ كثرتهم متفرّقون في بلدان مختلفة، وأصولهم مختلفة.

السادسة: إن هذه الأحاديث قد ذكرت غَيْبتين: الأولى مدتها قصيرة، يتصل فيها الإمام المهدي بخاصة أصحابه وشيعته، أي بوكلائه المعتمدين

---

(١) الغَيْبة: ١٧١ .

لديه، والثانية طويلة لا يتصل فيها بأحد، ولا يعلم أحد بمكانه من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره.

وفي ضوء الحقائق السابقة نستطيع الحصول على النتائج التالية :

إن الغَيْبة قد حصلت فعلاً في الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري. وإنه قد غاب غَيْبَتَيْن، **الأولى**: غَيْبة صغرى، **والثانية**: غَيْبة كبرى. فقد وُلِد الإمام المهدي محمد ابن الحسن العسكري يوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٢٥٥ هـ، الموافق سنة ٨٦٨ م. وتوفي أبوه الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ. وبدأت غَيْبته الصغرى بعد وفاة أبيه سنة ٢٦٠ هـ، واستمرّت إلى سنة ٣٢٩ هـ. وكان خلال هذه الغَيْبة يتصل سرًا بوكلائه الذين اختارهم لمقابلته. وكان أتباع أهل البيت والسائرون على نهجهم يرفعون أسئلتهم واستفساراتهم في جميع أمورهم الدينية والدنيوية إلى الإمام المهدي عن طريق وكيله، بعيداً عن عيون السلطات الحاكمة. وكانت توقيعات الإمام المهدي وأجوبته عن أسئلة السائلين تخرج إلى النائب أو الوكيل، وهو يبلّغها بدوره إلى أصحابها.

وقد تعاقب على وكالة الإمام المهدي خلال فترة غَيْبته الصغرى التي استمرت ٦٩ سنة أربعة وكلاء أو نوّاب، وكان الإمام المهدي إذا مات النائب اختار له خلفاً إلى وفاة النائب الرابع. والأشخاص الذين تعاقبوا على وكالة الإمام المهدي خلال فترة الغَيْبة الصغرى هم :

- أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العُمري الأسدي. كان وكيلاً للإمام علي الهادي، وبعد وفاته صار وكيلاً عن ابنه الحسن العسكري، وبعد وفاة العسكري أبقاه الإمام محمد بن الحسن المهدي وكيلاً عنه في غَيْبته التي بدأت بعد وفاة أبيه سنة ٢٦٠ هـ .

- ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العُمري (توفي سنة ٣٠٤هـ). اختاره الإمام المهدي وكيلاً عنه بعد وفاة أبيه أبي عمرو عثمان بن سعيد.

■ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي (توفي سنة ٣٢٦هـ). اختاره الإمام المهدي وكيلاً عنه بعد وفاة أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

■ أبو الحسن علي بن محمد السمري (توفي سنة ٣٢٩ هـ). اختاره الإمام المهدي وكيلاً عنه بعد وفاة أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي.

وكانت إقامة هؤلاء الوكلاء في بغداد، وقبورهم معروفة، وعليها أضرحة مشيَّدة ومساجد عامرة. وبعد وفاة علي بن محمد السمري لم يعيّن الإمام المهدي وكيلاً عنه. وقد صرّح السمري نفسه بأنه ليس مأموراً بهذا الأمر، أي باختيار خليفة للإمام المهدي. روى الشيخ الطوسي في كتاب الغَيْبة، قال: وأخبرني محمد بن محمد بن النعمان، والحسين بن عبيد الله، عن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد الصفواني، قال: أوصى الشيخ أبو القاسم (رضي الله عنه) إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري (رضي الله عنه)، فقام بما كان إلى أبي القاسم. فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده، وسألته عن الموكل بعده، ولمَنْ يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يُؤْمَر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن[1].

إن الغَيْبة بجميع تفاصيلها التي ذُكِرت في أحاديث الرسولﷺ وعترته الطاهرين قد تحققت في شخص واحد، ليس غير، وهو محمد بن الحسن العسكري، المهدي الموعود. وإذا أضفنا الأدلّة الأربعة التي تقدمت إلى دليل الغَيْبة الذي يُعَدُّ من أقوى الأدلة لا يسع المنصف الباحث عن الحق إلاّ أن يجزم بأن المهدي الموعود هو محمد بن الحسن العسكري.

إن لغيبة الإمام المهدي حكمة إلٰهية، ولهذا جاء في الحديث: هي سرٌّ من سرّ الله. وباعتبارنا باحثين يمكن أن نقول: إن وراء غَيْبة الإمام المهدي أسباباً أهمها :

---

(١) الغَيْبة: ٣٩٤ .

١ ـ إنقاذه من القتل، فقد كان قتل الإمام قراراً متّخذاً، وأمراً محسوماً من قبل السلطات الحاكمة التي توالت علىٰ حكم المسلمين إلى يومنا هذا. ولو قُتِل الإمام المهدي لانقطع الارتباط بين الله والبشرية، لأن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة، ولانتهى كل أمل في تحقيق وعد الله في جعل الإسلام ظاهراً علىٰ الأديان كلها، وفي تطهير الأرض من أعداء الله الظالمين، وإقامة العدل والقسط فيها.

٢ ـ جعله غير ملتزم لأحد من السلاطين ببيعة. إن البيعة قد أُخِذت من الأئمة الذين كانوا قبله لسلاطين زمانهم إلاّ الإمام الحسين، فإنه رفض البيعة لسلطان عصره يزيد بن معاوية، وأعلن الثورة عليه، لأسباب تتعلّق بتصحيح الانحراف الذي ظهر في خط الإسلام في عصر يزيد، والحفاظ علىٰ الإسلام الأصيل الذي جاء به رسول الله ﷺ، وإيقاد جذوة إنكار الظلم في نفوس المسلمين. وأراد بثورته أنْ يكون مثلاً للمسلمين في الوقوف بوجه الظالمين حين يتجاوزون الخطوط الحمراء، ونجدة المظلومين وإغاثة الملهوفين، ورفض الذل والخنوع، والانتفاض من أجل العزة والكرامة، فقُتِل بسبب ذلك. ولكن الإمام علي بن الحسين (زين العابدين)، وهو الإمام الرابع الذي يقوم بالإمامة بعده لم يُقْتل، لأنّ البَيْعةَ لسلطان عصره قد أُخِذَتْ منه، فرضِيَ بها. وكذلك فعل الأئمة بعد مقتل الإمام الحسين، حفاظاً علىٰ إيصال الإمامة إلى الإمام الثاني عشر، المهدي الموعود. وكان ذلك تكليفهم الشرعي. وحين تُؤْخذ البيعة من إمام فلا بدَّ من أن يفي ببيعته. أما في عصرنا الحاضر فلو كان الإمام المهدي ظاهراً وموجوداً بين الناس، وهو آخر شخص في سلسلة الأئمة الاثني عشر، لكان عليه أنْ يختار واحداً من ثلاثة أمور، **الأول**: الرضا بالبيعة لسلطان عصره، والوفاء ببيعته بعدم الخروج علىٰ ذلك السلطان، وهذا الأمر لا يصحُّ من الإمام المهدي، لأنه الإمام الآخر، ولا يوجد إمامٌ بعده، ليكون تكليفه الشرعي الحفاظ علىٰ نفسه من القتل، لإيصال

الإمامة إلى مَنْ يأتي بعده. **والثاني**: السكوتُ علىٰ ما يفعله سلطان عصره بالإسلام والمسلمين، وهذا لا يصحُّ منه أيضاً، وهو ظاهرٌ موجودٌ بين الناس، لأنَّ الناس تعلم أنَّ الله قد أخذ علىٰ أئمة المسلمين وعلمائهم أن يقوموا بواجبهم الذي أخذه الله عليهم تجاه الظلم والطغيان، والانحراف عن خط الإسلام الأصيل، وإهانة المسلمين، والمساس بكرامتهم وعزتهم. وإما أن يثور عليه قبل أن تتهيَّأ مستلزمات إقامة دولة الإسلام العالمية في الأرض كلها، فيكون مصيره القتل. ولذلك كانت غَيْبَتُهُ تكليفاً مفروضاً عليهِ حتى يأذن الله له بالظهور لإقامة دولة الإسلام العالمية في الأرض كلها. وهذا ما كان يعنيه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج.

٣ ـ تهيُّؤ الظروف العامة، ومستلزمات النصر حين خروجه عليه السلام. ومن أهم هذه الظروف والمستلزمات حاجة البشرية عموماً والمسلمين خصوصاً إلى منقذ ومخلّص مما يعانونه من الظلم والتسلط والإرهاب والقتل وسفك الدماء وضياع الحقوق وتدمير المعنويات والماديات في الحياة الإنسانية. ومنها أيضاً انتشار الوعي الديني بين المسلمين، وتفهم غير المسلمين للدين الإسلامي، والإقبال علىٰ اعتناقه حتى يكون أحد الأديان المعترف بها في بلادهم. ومنها أيضاً انكسار شوكة القوى الطاغية والمتجبرة في العالم التي تحكم الناس بالقهر والتسلط والإرهاب، وضعفها، وانفلات الأمور من يديها، بحدوث أسباب تؤدي إلى ذلك كالحروب العالمية، وثورات الشعوب العارمة، وغيرها. ومنها أيضاً تهيُّؤ الأنصار الذين يسندون الإمام المهدي حين ظهوره، ويؤازرونه، ويكونون جيشاً عقائديًا له.

الفصل الرابع
المهدي في التوراة والإنجيل

مهما يقال عن التوراة والإنجيل من حصول التحريف والتغيير في نصوصهما النازلة من السماء، فإنهما يبقيان كتابين مقدّسين، يشتملان على الأسس الثابتة في رسالات الأنبياء التي كانت آخرها رسالة رسول الله محمدﷺ. ووفاءً بالعهد الذي أخذه الله على النبيين جميعاً بأن يؤمنوا بخاتم الرسل والأنبياء محمدﷺ، ويبشروا به قبل بعثته، وأن ينصروه ويتبعوه إذا أدركوا بعثته، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] فإن كل نبيّ جاء بعد محمدﷺ قد أدّى الأمانة وأوفى بالعهد. فبشَّر بالرسول الخاتم، وبشّر بملكوت الله الذي يحكم الأرض كلها على أسس الدين الخاتم.

إن الإيمان بالنبيّ محمدﷺ وبالدين الخاتم، والتبشير بهما، وبحكومة الله (ملكوت الله) التي تعمّ الأرض على أسس الدين الخاتم، هو ملّة إبراهيم التي وصّى بها بنيه، ووصّى بها يعقوب بنيه الاثني عشر أيضاً، كما قال الله تعالى ـ وهو يحكي قول نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل ـ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

(١) سورة آل عمران: الآية: ٨١ .

وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [1]. فكلُّ نبي من أنبياء الله قد أخذ العهد من أمته بذلك. وأنبياء بني إسرائيل أدّوا الأمانة وأخذوا العهد من أمتهم بوجوب الإيمان بخاتم الأنبياء ونصرته، ولذلك خاطب الله بني إسرائيل حين بعث خاتم الأنبياء محمداً ﷺ قائلاً: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [2]

ولقد أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم، وأن يسمعوا وحي الله على لسان هذا النبي، ولا يعصوه، كما قال موسى: فقال لي الرب: لهذا أُقيمُ لهم نبيًّا من بني إخوتهم مثلك، وأضعُ كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمرُهُ به، فيكون أنّ كلَّ مَنْ يعصي كلامي الذي يتكلمُ به باسمي فأنا أحاسبه. . . [3]

وبشَّر النبي إشعيا بالنبي الخاتم الذي يرسله الله في جزيرة العرب، وأخبر عن بعض صفاته وأحواله. فمن أحواله أن قريشاً (وهم بنو قيدار، أي بنو إسماعيل) يتصدون للنبي الخاتم ويقفون بوجهه، ويشنون عليه الحرب، ولكن النبي الخاتم يهاجر من أرض قريش (مكة) هو وأتباعه. ويأمر النبي إشعيا أن يستقبلوا ذلك النبي والمهاجرين معه بالماء والخبز. ويخبر النبي إشعيا أن النبي الخاتم بعد سنة من هجرته تشنُّ عليه قريش حرباً في بدر، ولكن قريشاً (أحفاد قيدار) ينهزمون في هذه المعركة، ثمّ ينتهي مجدهم لصالح النبي الخاتم. قال إشعيا: وحي من جهة بلاد العرب. ستبيتينَ في

---

(١) سورة البقرة: الآيات: ١٢٨ ـ ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة: الآيتان: ٤٠ ـ ٤١ .

(٣) العهد القديم، سفر التثنية: ١٨: ١٨، ١٩ .

صحارى بلاد العرب يا قوافل الدانيين. فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، لأنهم قد فرّوا من السيف المسلول، والقوس المتوتّر، ومن وطيس المعركة، لأنه هذا ما قاله لي الرب. في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كلُّ مجد قيدار، وتكون بقيّة الرماة الأبطال من أبناء قيدار قلّة[١].

ولمّا جمع يعقوب بنيه، ووصّاهم باتباع ملّة إبراهيم في الإيمان بالنبي الخاتم، والدين الخاتم. وأخبرهم أنّ صفات السلطان والنبوّة لن تنقطع من يهوذا وسلالته، إلى أن يجيء الشخص الذي يمتلك السلطة وحق التشريع، وتخضع له الأمم. قال يعقوب: لا يزول الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتي شايلوه، ويكون له خضوع الأمم[٢].

إن كلمة (شايلوه) لم ترد في العهد القديم إلا في هذا المكان، ولم تترجم هذه الكلمة في جميع تراجم العهد القديم إلا في الترجمة السريانية المسماة (البشيتا Peshitta)، فقد تُرجمت (شايلوه) إلى: الشخص الذي يخصّه الصولجان والتشريع. فمَنْ هو الشخص الذي يخصّه الصولجان والتشريع؟ أي: يمتلك السلطة وحق التشريع، وتخضع له الأمم؟ قطعاً ليس موسى، لأنه لم يكن قبله إيُّ ملك أو نبي من سبط يهوذا أصلاً، وحتماً ليس داود، لأنه أول نبي من نسل يهوذا نفسه، كما أنه ليس عيسى المسيح، لأنه أعلن بنفسه أن المسيح الذي تنتظره إسرائيل لن يكون من نسل داود[٣]. أضف إلى ذلك أن عيسى لم يترك تشريعاً مكتوباً، ولم يفكّر بسلطان دنيوي قطّ، كما أنه لم يبطل شريعة موسى، بل أعلن صراحة أنه قدم لتحقيقها[٤].

---

(١) العهد القديم، سفر إشعيا: ٢١: ١٣ ـ ١٧ .

(٢) العهد القديم، سفر التكوين: ٤٩: ١٠ .

(٣) العهد الجديد، إنجيل متّى: ٢٢: ٤٤ـ٤٥، ومرقص: ١٢: ٣٥ـ٣٧، ولوقا: ٢٠: ٤ـ٤٤.

(٤) محمدﷺ، كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبد الأحد داود: ٤٤ .

إن نبوءة يعقوب تقول بوضوح: إنه عندما يأتي شايلوه فإن السلطة والتشريع يزولان من سلالة يهوذا، وهذا يقتضي أن يكون (شايلوه) غريباً عن سلالة يهوذا. إذْ لو كان شايلوه من سلالة يهوذا فكيف تزول السلطة والتشريع عن سلالة يهوذا حين يأتي. أما عيسى المسيح فليس غريباً من سلالة يهوذا، لأنه ينحدر منها من ناحية مريم.

إن صاحب الصولجان (أي السلطة) والتشريع (أي الإسلام) الذي تخضع له سائر الأمم هو رسول الله محمدﷺ، لأنّ الله سيمكنه بواسطة حفيده المهدي من إقامة حكومة الله في الأرض على أسس التشريع الإسلامي، وستخضع له سائر أمم الأرض.

وجاءت البشارة على لسان النبي حجّي (٥٢٠ ق م)، كما أوحى إليه الرب: وسوف أزلزل كلَّ الأمم، وسوف يأتي (حِمْدَه) لكلّ الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد. كذلك قال رب الجموع. وإنَّ مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. هكذا قال رب الجموع. وفي هذا المكان أُعطي الـ(شالوم). هكذا قال رب الجموع[1]

هذه الفقرة جاءت في سفر حجّي، وقد ترجمها إلى العربية البروفيسور عبد الأحد داود من النسخة الوحيدة من الكتاب المقدس التي كُتِبت باللغة الآشورية. وقال البروفيسور عبد الأحد: إن الترجمة الإنجليزية قد ترجمت الكلمة العبرية (حِمْدَه) إلى (الأمنية)، والكلمة العبرية (شالوم) إلى (السلام)، وهي ترجمة غير موفقة. إن لفظ (حِمْدَه) في العبرية يقابله في العربية (محمد). فمَنْ هو الشخص الذي اسمه في العبرية (حِمْدَه) وفي العربية (محمد)؟ لاشكَّ أنه ليس نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل، وليس هو عيسى المسيح. إنه رسول الله محمد ﷺ. ومَنْ هو الشخص الذي يملأ الله به بيت

---

(١) العهد القديم، سفر حجي: ٩: ٧ ـ ٩ .

المقدس بالمجد؟ (وسوف أملأ هذا البيت بالمجد). إنه محمد رسول الله في المرة الأولى، وحفيده محمد بن الحسن في المرة الثانية، كما قال الله تعالىٰ ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1]. ومَنْ هو الشخص الذي يجعل الله به البيت الحرام في مكة أعظم مجداً من البيت الأول (بيت المقدس)، ويُعطى الإسلام (الشالوم) في هذا البيت؟ لاشكَّ أن هذا الوصف لا ينطبق إلا علىٰ رسول الله محمدﷺ.

وفي الإنجيل الذي دوّنه متّى كلام منقول عن نبي الله يحيى، وقد اعتاد أن يُلقي كلامه للناس في البرية. وفي هذا الكلام يوبّخ النبي يحيى الفريسيين (القسس) والصدوقيين (المتعلمين والفلاسفة) من اليهود، لأنهم قالوا: نحن أبناء إبراهيم الذين اختارنا الله من بين الناس، ولا أحد غيرنا ينتسب إلى إبراهيم، فيقول لهم يحيى: إن إبراهيم لا يختصّ بكم، وأن الله لم يختركم، لأن الله تعالىٰ قادر أن يخرج من الحجارة أبناء لإبراهيم، ويصطفي منهم نبياً عظيماً (يعني من أولاد إسماعيل من إبراهيم)، وأنَّ هذا النبي هو أولى بإبراهيم منكم، لأنكم تركتم ملّة إبراهيم يا أولاد الأفاعي. فبسبب نقضكم ميثاقكم مع الله سيطردكم الله من رحمته، ويستأصل شجرة النبوة التي ورثتموها، لأنكم لا تستحقون أن تكونوا أولاداً لإبراهيم، بل الذي يستحق ذلك هو النبي العظيم القادم بعدي، فهو وأتباعه يكونون أولى بإبراهيم. ويخبرهم أنّ النبي القادم بعده أعظم منه وأشرف وأقوى إلى درجة أنه لا يستحق أن ينحني لحلّ رباط حذائه. ويقول لهم: إنني أُعمّدكم بالماء لتتوبوا، أما النبي القادم فلا يعمدكم بالماء، بل يعمدكم بالروح القدس (يعني القرآن الموحى إليه من الله بواسطة جبريل)، وبالنار (يعني بالحرب والقتل). ثم ينذرهم بالغضب الآتي علىٰ يد ذلك النبي القادم بعده. والنصّ المفصح عن هذه المعاني كما دوّنه متى هو :

---

(١) سورة الإسراء: الآية: ٧ .

ولما رأى يوحنا كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إليه، ليتعمّدوا، قال لهم: يا أولاد الأفاعي، مَنْ أنذركم لتهربوا من الغضب الآتي؟ فأثمروا ثمراً يليق بالتوبة، ولا تُعلّلوا أنفسكم قائلين: لنا إبراهيم أباً! فإني أقول لكم: إن الله قادر أن يُطْلِعَ من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. وها إنّ الفأس قد أُلقيت علىٰ أصل الشجر، فكلُّ شجرة لا تثمر ثمراً جيداً تُقْطَعُ وتُطْرَحُ في النار. أنا أعمّدكم بالماء لأجل التوبة وغفران الخطايا، ولكن القادم بعدي هو أقدر مني، وحذاءه لا أستحق أن أحمل. هو سيعمّدكم بالروح القدس، وبالنار.. (١)

قوله: (لنا إبراهيم أباً) يعني قول اليهود: نحن أبناء إبراهيم الذين اختارنا الله من بين الناس، ولا أحدَ ينتسب إلى إبراهيم غيرنا. وقوله: (إن الله قادر أن يُطلع من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم) يعني: إن الله قادر أن يخرج من صلب إبراهيم أولاداً غيركم، يعني من إسماعيل وقوله: (وها إن الفأس قد أُلقيت علىٰ أصل الشجر، فكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً تقطع وتطرح في النار) يعني: إن سيستأصل شجرة النبوة التي ورثتموها، لأن الله أخذ ميثاقكم أن تتبعوا ملّة إبراهيم، ولكنكم نقضتم ميثاقكم مع الله، فبسبب ذلك سيستأصل شجرة النبوة منكم، ويجعلها في أولاد إسماعيل الذين سيصطفي منهم نبياً.

إن هذه المعاني التي تضمنها كلام يحيى قد جاء بها نفسها القرآن الكريم.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ

---

(١) العهد الجديد: متّى: ٣: ٧ ـ ١٢ .

﴿إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال تعالىٰ عن بني إسرائيل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[2]

إن النبي الذي أخبر عنه يحيى وقال: إنه قادم بعده ليس هو عيسى ابن مريم، كما ذكر شراح الإنجيل، لأن الأسلوب الذي كان يتحدث به يحيى عن ذلك النبي يدلّ علىٰ أنه نبي معروف لدى كافّة الأنبياء، ومعروف بأنه سيدهم وكبيرهم وسلطانهم، ويدلّ علىٰ أن الفريسيين والصدوقيين يعرفون ذلك أيضاً، ويعرفون أنه ليس عيسى ابن مريم، بدليل أنهم سألوا يحيى قائلين: هل أنت ذلك النبي؟ كما في النص التالي: وهذه شهادة يوحنّا حين أرسل اليهود من أورشليم بعض الكهنة واللاويين يسألونه: مَنْ أنتَ؟ فاعترف ولم يُنكر، بل أكّد قائلاً: لستُ أنا المسيح. فسألوه: ماذا إذن؟ هل أنت إيليّا؟ قال: لستُ إيّاه أو أنت ذلك النبي؟ فأجاب: لا... فعادوا يسألونه: إن لم تكن أنت المسيح، ولا إيليّا، ولا ذلك النبيّ، فماذا تُعَمِّدُ إذن؟ أجاب: أنا أُعمِّدُ بالماء! ولكنّ بينكم مَنْ لا تعرفونه، وهو الآتي بعدي، وأنا لا أستحقّ أن أحُلَّ رباط حذائه[3].

ولو طرحنا السؤال التالي: مَنْ هو ذلك النبي العظيم الذي يأتي بعد يحيى، الذي وصفه يحيى بأنه عظيم إلى الدرجة التي لا يستحق يحيى أن يحمل حذاءه، أو يحلّ رباط حذائه؟ فإن قيل: لا نعرفه. قلنا: فما الفائدة من الإخبار عنه في الإنجيل؟! فإن قيل: هو عيسى ابن مريم. قلنا: فلماذا قال عنه يحيى: (مَنْ لاتعرفونه.. هو الآتي بعدي؟) والمعروف أنّ بني

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: ٦٥ ـ ٦٨ .

(٢) سورة المائدة: الآيتان: ١٢ ـ ١٣ .

(٣) العهد الجديد، يوحنّا: ١: ١٩ ـ ٢٦

إسرائيل كانوا يعرفون عيسى ابن مريم، والمعروف أيضاً أن يحيى وعيسى وُلِدا في سنة واحدة، وكلاهما نبيٌّ، فليس أحدهما جاء بعد الآخر. ومما تجدر الإشارة إليه في هذه القضية أن كلمة (بعدي) جاءت أيضاً في القرآن الكريم حكاية عن قول عيسى ابن مريم حين بشَّر بالنبي الآتي بعده، قال: . . . ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[1]، فدلّت كلمة (بعدي) علىٰ فترة زمنية زادت علىٰ خمسة قرون.

ولو كان المقصود بـ(ذلك النبي) هو عيسى ابن مريم لوجب أن يكون يحيى تابعاً وخاضعاً لكلماته، لأنه وصفه بأنه عظيم، وأنه لا يستحق أن يحمل حذاءه، أو يحلّ رباط حذائه. ولكن يحيى لم يفعل ذلك مع عيسى ابن مريم، بل كان يتصرّف في حياة عيسى كأيّ نبيٍّ مستقلٍّ غير تابع، ولذلك كان يُعمِّد، ويعظ، ويُحذِّر، ويُوبِّخ، كما فعل مع الملك هيرودوس في الوقت الذي كان ابن خالته عيسى ابن مريم يقوم بدور النبي في يهودا أو الجليل

ولو كان المقصود بذلك النبي عيسى ابن مريم، فكيف يقول يحيى عنه أنه سابق عليه في الوجود، وأنه خُلِقَ بعده، كما قال: إنّ مَنْ يجيء بعدي قد خُلِقَ قبلي، لأنه كان قبلي وفي ترجمة أخرى: هذا هو الذي قلتُ عنه: إن الآتي بعدي متقدّم عليّ، لأنه كان قبل أن أوجد[2]. فلا بدَّ من أن يكون ذلك النبي الذي أخبر عنه يحيى بأنه الآتي بعده هو أعظم الرسل وأفضلهم، ولابدّ من أن يكون خاتمهم، لأنه قد كان في الوجود قبلهم. ولا ينطبق هذا الوصف إلاّ علىٰ رسول الله محمدﷺ.

وهذا عيسى نفسه يبشّر بمحمد، فقد قال لتلاميذه: إذا كنتم تحبوني فاعملوا بوصاياي. سوف أطلب من الأب أن يعطيكم معيناً آخر يبقى معكم

---

(١) سورة الصف: الآية: ٦

(٢) العهد الجديد: يوحنا: ١: ١٥

إلى الأبد، وهو روح الحق الذي لا يقدر العالم أن يتقبّله، لأنه لا يراه ولا يعرفه وفي ترجمة أخرى: إذا كنتم تعملون بوصاياي، أنا سوف أذهب إلى الأب، وهو سيرسل لكم رسولاً، هو آخر الرسل، واسمه البرقليطوس، لكي يبقى معكم إلى الأبد. . . . [1]. وقال عن ذلك المعين أو (البرقليطوس): وعندما يأتي المعين (وفي ترجمة أخرى: البرقليطوس) الذي سأرسله لكم من عند الأب، روح الحق الذي ينبثق من الأب، فهو يؤدي الشهادة لي. . [2]. وقال عنه أيضاً: ولكني أقول لكم الحق: من الأفضل لكم أن أذهب، لأني إن كنتُ لا أذهب، لا يأتيكم المعين (البرقليطوس)، ولكني إذا ذهبتُ أُرسله إليكم. . . [3]

إن (البرقليطوس) في النسخة اليونانية قد تُرجمت إلى (المعين). وقال البروفيسور عبد الأحد داود: إن (البرقليطوس) في اليونانية كلمة مركبة من مقطعين، **الأول**: (peri)، **والثاني**: (kleitos)، وهو مشتق من التمجيد أو الثناء، ويُكتب (Periqlytos). وهي تعني من الناحية اللغوية البحتة (الأمجد والأشهر والمستحق للمديح)، كما جاء في قاموس (Alexqndre,Dictionaire Grec Fancais). ويتساءل بقوله: ولكن ما هو الاسم السامي الأصلي الذي استخدمه عيسى المسيح بلغته العبرية أو الآرامية؟ ثم يجيب قائلاً: تحتوي نسخة البشيتا السريانية علىٰ كلمة (براقليطا) دون تفسير لمعناها. . وإذا لم أكن مخطئاً فإن الصيغة الآرامية كانت (مُحَمْدَه) أو (حِمْدَه)، التي تقابل كلمة (محمد) أو (أحمد) بالعربية، وكلمة (البرقليطوس) باليونانية[4]. .

إن قول عيسى: لكي يبقى معكم إلى الأبد يعني أن ذلك النبي سيكون

---

(١) العهد الجديد: يوحنا: ١٤: ١٦ .

(٢) العهد الجديد: يوحنا: ١٥: ٢٦ .

(٣) العهد الجديد: يوحنا: ١٦: ٧ .

(٤) محمدﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبد الأحد داود: ١٤٣ ـ ١٤٤ .

خاتم الأنبياء، ورسالته تكون خاتم الرسالات، وأنه سيبقى إلى الأبد عن طريق امتداده المتجسد بعترته الأئمة الاثني عشر، الذين يبقى آخرهم المسمّى باسم ذلك النبي، حتى يقيم ملكوت الله في الأرض الذي يبقى إلى أن تقوم الساعة. وذلك النبي اسمه محمد، وامتداده الذي يبقى اسمه محمد أيضاً، وهو الذي يقيم دولة العدل والسلام في الأرض علىٰ أسس الدين الذي جاء به جده النبي ﷺ.

وكما أخذ الله علىٰ النبيين جميعاً العهد بالإيمان بالنبي الخاتم محمد ﷺ، فإنه قد أخذ عليهم العهد بالإيمان بالمهدي، الذي هو امتداد محمد ﷺ، والتبشير به. قال الله تعالىٰ مخاطباً رسوله الخاتم ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾[1]

إن هذه الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أن الله تعالىٰ قد خصّ خمسة أنبياء وهم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، بأنه قد أخذ منهم ميثاقاً خاصاً. وقد قدّم محمداً ﷺ عليهم جميعاً مع أنه آخرهم وخاتمهم، لفضله عليهم جميعاً. وكما أخذ الله هذا الميثاق من هؤلاء الرسل، فقد أخذه من الأنبياء جميعاً أيضاً. وإضافة الميثاق إلى ضمير النبيين (ميثاقهم) يدلّ علىٰ أنه ميثاق خاصٌّ بهم، فما هو هذا الميثاق الخاص؟

إنه الإيمان بالمهدي، والبشارة به وبحكومة الله التي يقيمها علىٰ يديه في آخر الزمان، وتبليغ الناس بوجوب نصرته واتباعه. فإنْ بشّروا وبلّغوا الناس بذلك فقد أدّوا عهدهم وميثاقهم مع الله تعالى. وإنما أخذ الله عليهم أن يفعلوا ذلك، ليسأل الصادقين الذين وصلهم الميثاق فآمنوا به وصدّقوه عن صدقهم، أي عن تحويل الأيمان والتصديق إلى تطبيق عملي في اتباع المهدي

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان: ٧، ٨ .

ونصرته، حين يأذن الله له بإقامة حكومة الله في الأرض. فأما الذين كفروا بحجة الله المهدي، ووقفوا في صفّ المحاربين له، فإن الله قد أعدَّ لهم عذاباً أليماً في الدنيا علىٰ يد المهدي، وفي الآخرة في نار جهنم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وذكر القرآن الكريم أن هذا العهد والميثاق موجود في الكتب التي أنزلها الله علىٰ الأنبياء، وسمّاها (الزَّبور). قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[2]. الزبور في الآية بمعنى (الكتاب)، والجمع (الزُّبُر)، والألف واللام فيه للجنس، فيشمل كلَّ الكتب التي أُنزلت علىٰ الأنبياء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[3]، وقال تعالىٰ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾[4].

وقد أدَّى رسول الله محمدﷺ هذا العهد والميثاق فيما تركه من ذلك العدد الكبير من الأحاديث الشريفة التي بشَّر فيها بالمهدي، وبحكومة الله العادلة التي يقيمها المهدي في آخر الزمن، وبلّغ فيها الناس بوجوب اتباعه ونصرته والجهاد بين يديه وقتَ ظهوره. وباعتبارهﷺ خاتم الأنبياء فقد بيَّن شخصية المهدي بما لا لبْسَ فيه، وعيّنه بأنه من ذريته، من وُلْدِ ابنته فاطمة الزهراءعليها السلام، ومن ذرية الإمام الحسينعليه السلام، وعيَّن اسمه وكنيته، وذكر بعض أوصافه، وعلامات الزمن الذي يظهر فيه.

---

(١) سورة النور: الآية: ٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٥ .
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٦ .
(٤) سورة القمر: الآية: ٤٣ .

وكان موسى بن عمران قد أدّى العهد والميثاق في أحاديثه وخطبه التي اشتمل عليها سفر التثنية من العهد القديم. فعلى الرغم مما لحقه من تغيير وتلاعب وحذف في بعض نصوصه، فإن السياق العام يشير إلى ما حاولوا طمس حقيقته. ومما قاله موسى مبشّراً بالمهدي: جاء نور الرب من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وجاء معه عشرة آلاف قدّيس، والشريعة المشعّة بيده اليمنى[1]. والمقصود بـ (فاران): مكة المكرمة. فمَنْ هو ذا الذي بشّر به موسى عليه السلام، وذكر من أوصافه بأنه يظهر في مكة المكرمة (تلألأ من جبل فاران)، ومعه عشرة آلاف قديس، وبأنه يستعمل القوة في إقامة العدل، وتطبيق الشريعة (والشريعة المشعّة بيده اليمنى)، وبأنه يبدأ حركته المباركة من مكة المكرمة، بعد أن يكتمل عنده عشرة آلاف من أنصاره الربّانيين.

إننا يمكن أن نعيّن شخصيّته إذا قرأنا الرواية التالية عن الإمام الباقر عليه السلام. أخرج في (إكمال الدين وإتمام النعمة) بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: . . . فإذا خرج (يعني الإمام المهدي) أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾[2]، فيقول أنا بقيّة الله في أرضه، وحجته وخليفته عليكم. فلا يسلّم عليه أحد إلاّ قال: السلام عليك يا بقيَّة الله في أرضه. فإذا اجتمع له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عزَّ وجلَّ من صنم وغيره إلاّ وقعت فيه النار فاحترق. وذلك بعد غيبة طويلة. .[3] إنه يخرج ليقيم حكومة الله في الأرض إذا اجتمع معه عشرة آلاف رجل، هم

---

(١) العهد القديم، سفر التثنية: ٢: ٣٣ .

(٢) سورة هود: الآية: ٨٦ .

(٣) أئمتنا: ٢ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٣، نقلاً عن إكمال الدين وإتمام النعمة.

أفضل مَنْ علىٰ الأرض يومئذٍ.

ويؤيّد بشارة موسى أيضاً ما جاء في سفر حبقوق (٥٨٦ ق م). قال: جاء القديس من جبل فاران. مجدُه غطّى السماوات. والأرض امتلأتْ بحمده. إنَّ بهاءه كالنور، ومن يده يومض شعاع... وقف وزلزل الأرض. تفرَّس فأرعب الأمم. اندكَّت الجبال الأبديّة، وانهارت التلال القديمة. أما مسالكه فهي من الأزل[1]. مَنْ هو القديس الذي يأتي من مكة المكرمة (فاران)، ومجده يغطي السماوات، والأرض تمتلئ بحمده، ويزلزل الأرض ويرعب الأمم...؟ لاشكَّ أنه المهدي الذي اسمه (محمد)، واسمه يملأ الأرض، لأنه خليفة الله في الأرض (والأرض امتلأت بحمده).

وبشّر به النبي إشعيا عن الله تعالىٰ: هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي ابتهجت به نفسي، وضعتُ روحي عليه، ليسوس الأمم بالعدل... لا يكلُّ ولا تثبَّط له همّة، حتى يرسّخ العدل في الأرض، وتنظر الجزائر شريعته... لترفع البرّية ومدنها صوتها. الديار التي سكنها قيدار لتترنّم. سكان الجبال ليهتفوا ويمجّدوا السيّد، وليعلنوا حمده في الجزائر. السيّد سيخرج جباراً، ويستثير الحميَّة كرجل حرب، ويهتف ويدوّي ويسيطر علىٰ أعدائه[2]. فمَنْ هو الذي لا يكلُّ ولا تُثبَّطُ له همة حتى يرسّخ العدل في الأرض، وتنظر الجزائر شريعته؟ لاشكَّ أنه ليس هو المسيح، لأنه لم يرسّخ العدل في الأرض، ولأنه لم يأتِ بشريعة كاملة تقوم عليها حكومة الله في الأرض، ولأنه لم تترنّم به الديار التي سكنها قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم. فمَنْ هو السيد الذي يرسّخ العدل في الأرض كلها؟ وتتغنّى باسمه مكة المكرّمة (ديار قيدار)؟ ومَنْ هو السيد الذي يخرج جباراً، ويكون محارباً

---

(١) العهد القديم، حبقوق: ٣: ٣ ـ ٧ .

(٢) العهد القديم، إشعيا: ٤٢: ١ ـ ١٣ .

قوياً، ويسيطر علىٰ أعدائه. إن لفظ (حمده) يدلُّ علىٰ اسمه. إنه محمد بن الحسن المهدي الموعود.

وجاءت البشارة علىٰ لسان (ملاخي) كما أوحى له الرب: سوف أُرسل رسولي فيمهّد الطريق أمامي، وفجأة سوف يأتي إلى هيكله السيّد الذي يطلبونه. رسول العهد الذي تُسَرّون به يوم ظهوره. إنه سوف يأتي، هكذا قال رب الجموع. ولكن مَنْ يحتمل يوم مجيئه؟ ومَنْ يثبت يوم ظهوره؟ فإنه مثل نار الممحّص أو أشنان القصّارين.. [1]

مَنْ هو الرسول الذي سوف يرسله الله ليمهّد الطريق أمام ملكوت الله في الأرض؟ إنه خاتم الأنبياء، لأن عيسى ليس هو آخر الأنبياء، وملكوت الله يكون في آخر الزمن، وبعد آخر الأنبياء. ومَنْ هو السيد الذي يأتي إلى بيت المقدس، ليحرره من آسريه، وكل الناس يطلبونه، ويُسَرّون به يوم ظهوره؟ ومَنْ هو الذي تنطبق عليه الأوصاف التالية (مَنْ يحتمل يوم مجيئه؟!)، (مَنْ يثبت عند ظهوره؟!)، (إنه مثل نار الممحّص). لاشكَّ أنه الإمام محمد بن الحسن المهدي.

وبشر به النبي عيسى عليه السلام، وذكر بعض العلامات التي تحدث قبل مجيئه، قال: وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب... ولكن ليست النهاية بعدُ، فسوف تنقلب أمة علىٰ أمة، ومملكة علىٰ مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في عدة أماكن، ولكن هذه كلها ليست إلا أول المخاض... [2]

ثم ذكر ما يحدث في القدس من تسلّط اليهود عليها، وما يفعلونه بأهل تلك البلاد قبل ظهور المهدي. قال: فإذا رأيتم المخرِّب الشنيع الذي تكلم

---

(١) العهد القديم، ملاخي: ٣: ١ ـ ٢ .

(٢) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ٦ ـ ٨ .

عنه النبي دانيال قائماً في المكان المقدس، عندئذٍ ليهرب الذين في منطقة اليهودية (أي القدس وما جاورها من مدن فلسطين). ومَنْ كان علىٰ السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته! ومَنْ كان في الحقل فلا يرجع ليأخذ ثوبه! والويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام... فسوف تحدث عندئذٍ ضيقة (شدّة) عظيمة لم يحدث مثلها منذ بَدْء العالم إلى الآن، ولن يحدث[1].

وبشَّر بعد هذه الشدّة أو الضيقة العظيمة بظهور المهدي. وقد أطلق عليه اسم (ابن الإنسان)، فقال: وحالاً بعد الضيقة في تلك الأيام تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهاوى النجوم من السماء، وتتزعزع قوات السماوات، وعندئذٍ تظهر آية ابن الإنسان في السماء، فتنتحب قبائل الأرض كلها، ويرون ابن الإنسان آتياً علىٰ سُحُب السماء، بقدرة ومجد عظيم[2].

لا يمكن أن يكون ابن الإنسان هو عيسى المسيح، لأن عيسى يتحدّث عن شخص آخر، ولا يتحدث عن نفسه، ولأن ابن الإنسان الذي بشّر به عيسى هو ابن الإنسان الذي بشّر به النبي دانيال[3]، وهو الشخص الذي يأتي في آخر الزمن ليحطم إمبراطورية روما العائدة إلى الحياة في صورة إمبراطورية عصرية، أي ليحطم الإمبراطورية الأمريكية الطالعة إلى الحياة، التي تمثّل إحياء لمجد وعظمة وجبروت إمبراطورية روما القديمة. فمَنْ هو ابن الإنسان هذا؟ إننا إذا عرفنا مَنْ هو الإنسان؟ فإننا نعرف ابنه الذي بشّر به النبي عيسى، فمَنْ هو الإنسان؟

إن الإنسان في اللُّغة التي تحدث بها النبي عيسى ـ وهي الآرامية ـ تدلُّ عليه الكلمة (طه)، والكلمة (ياسين)، وهما كلمتان من تراث لغات الجزيرة العربية (اللغات السامية). وقد خاطب الله تعالىٰ رسوله محمداً بلفظ (طه) في

---

(١) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ١٥ ـ ٢١ .

(٢) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ٢٩ ـ ٣١ .

(٣) العهد القديم، دانيال: ٧: ١٣ ـ ١٤ .

قوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [١]. وخاطبه أيضاً بلفظ (ياسين) في قوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [٢]. أخرج ابن جرير الطبري، وابن مردويه أن (ياسين) هي في اللغة الحبشيّة (يا إنسان)[٣]. وقال الفرّاء: العرب جميعاً يقولون: الإنسان، إلا طيّئاً فإنهم يجعلون مكان النون ياء (أي يقولون: إيسان). وعن اللحياني، في قوله تعالىٰ: يس والقرآن الحكيم قال: ياسين بلغة طيّئ: يا إنسان[٤].. وقال ابن جنّي: يحتمل عندي أن يكون اكتفى من جميع الاسم بالسين. ونظير حذف بعض الاسم قول النبيﷺ: (كفى بالسيف شا)، أي: شاهداً، فحذف العين واللام، فكذلك حُذف من (إنسان) الفاء والعين، وجُعِل ما بقي منه اسماً قائماً برأسه، وهو السين. [٥]. وعلى كلّ حال فإن كلمة (إنسان) موجودة في كل اللغات السامية، ومنها الحبشية الآرامية والعربية، وقد خاطب الله تعالىٰ رسوله محمداً بـ (ياسين)، والمعنى: أيها الإنسان. وتدلّ كلمة (طه) علىٰ الإنسان أيضاً، فقد أخرج وكيع، وابن شيبة، وابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال: طه: بالحبشيّة: يا رجل[٦]. إن كلمة (طه) تستعمل بمعنى الإنسان، أو الفرد من الإنسان في أكثر اللغات، فهي الحبشية (طاها)، وفي العربية (طاها) و(طاهي) و(طائي) و(طوئي). قالوا: ما بالدار طوئي، أي: ما بها إنسان أو أحد. وهي في الآراميّة (طوري). و(طوري) في الآرامية تعني أيضاً: الإنسان الناسك[٧].

---

(١) سورة طه: الآيتان: ١ ـ ٢ .

(٢) سورة يَس: الآية: ١ .

(٣) تفسير الطبري: ٢٢ ـ ١٤٨ .

(٤) اللسان: أنس: ١ ـ ١٠ ـ ١٤ .

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٨ ـ ٦٤٨ .

(٦) تفسير الطبري: ١٦ ـ ١٣٦، والمصنّف، لابن أبي شيبة: ١٠ ـ ٤٧٠ .

(٧) غرائب اللغة العربية: ١٩٤

وهي في الفارسية (تاه)[1].

وإذا عرفنا أن (الإنسان) الذي جاء على لسان الأنبياء يُراد به النبي محمدﷺ، فإن (ابن الإنسان) يُراد به ابن النبي محمدﷺ وحفيده، المسمّى باسمه، محمد بن الحسن المهدي.

ويمضي النبي عيسىعليه السلام في بشارته. فيخبر عن علامة كبرى تحدث قبل ظهور ابن الإنسان، وهي قيام دولة إسرائيل في فلسطين. قال عيسى: وتعلَّموا هذا المثل من شجرة التين عندما تلين أغصانها، وتطلع ورقاً، تعرفون أن الصيف قريب. هكذا أيضاً حين ترون هذه الأمور جميعها تحدث فاعلموا أنه قريبٌ، بل على الأبواب. [2].

يقول شارحو الإنجيل: إن شجرة التين والكرمة يرمزان في الكتاب المقدّس إلى أمة إسرائيل، فنقرأ مثلاً: (وُجِدت إسرائيل كعنب في البرية.. كباكورة على تينة في أولها).[3].. ويقولون أيضاً: إن عيسى المسيح جاء إلى بني إسرائيل التي رُمِز إليها بشجرة التين، لكنهم لم يصدِّقوه، فدعا على هذه الشجرة أن تيبس، وأن يُترك بيتهم خراباً[4].

ويدلُّ قول النبي عيسى على أن الله تعالى حين يرُدُّ لبني إسرائيل مملكتهم في فلسطين يكون زمن ظهور المهدي بن الحسن قريباً، وعلى الأبواب.

وقد أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى سوف يردّ لبني إسرائيل الدولة والغلبة في أرض المسجد الأقصى، ويجعلهم أكثر قوة وأنصاراً في الأرض، ويمدّهم بالأموال والرجال. ويخبر القرآن الكريم أنهم حينئذٍ يفسدون في

---

(١) معجم الألفاظ الفارسية المعربة: ١١٠

(٢) العهد الجديد، متى: ٢٤: ٣٢ ـ ٣٣، ومرقص: ١٣: ٢٩، ولوقا: ٢١: ٣١ .

(٣) العهد القديم، هوشع: ٩: ١٠ .

(٤) انظر: العهد الجديد، متى: ٢١: ١٩ ـ ٢٠، و ٢٣: ٣٧ ـ ٣٩ .

الأرض التي فيها المسجد الأقصى (أرض فلسطين)، وكانوا قد أفسدوا في المرة الأولى في المدينة المنورة، بعد أن هاجر إليها النبي محمدﷺ والمسلمون. ويخبر القرآن الكريم أن الله تعالىٰ سيعاقبهم علىٰ إفسادهم الثاني هذا في فلسطين، وسيكون عقابهم علىٰ ثلاث مراحل: في **الأولى**: يُمكّن الله عباده في فلسطين من مقاومة بني إسرائيل بالقوة، ليجعلوا السوء بادياً في وجوههم، وذلك بقضّ مضاجعهم بالمقاومة المستمرة، وإرعابهم بالعمليات الجهادية، وتشويه سمعتهم وصورتهم بين الناس، بسبب ما يقومون به من تهديم دور الآمنين، وقتل الأطفال والنساء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ وفي **المرحلة الثانية**: يمكن الله عباده المسلمين من دخول المسجد الأقصى، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وفي **المرحلة الثالثة**: يمكن الله عباده بتدمير إسرائيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[1]

إن هذا التوافق بين ما ذكره القرآن الكريم وما أشار إليه الإنجيل من قيام دولة إسرائيل في أرض فلسطين قبل الأيام الأخيرة من ظهور ابن الإنسان (ابن طه وياسين) يشير إلى أمر عظيم، وهو أن الحجة ابن الحسن علىٰ الأبواب.

وكما ذكر رسول الله محمدﷺ والأئمة من عترته أن المهدي تكون له غَيْبة يحتار فيها الناس، فإن نبي الله عيسىعليه السلام ذكر أن ابن الإنسان تكون له غَيْبة وحيرة حتى يقول العبد الرديء في قلبه: سيتأخر سيدي في رجوعه، فيبتدئ يضرب زملائه العبيد، ويشرب مع السكارى، فإن سيد ذلك العبد لابدَّ أن يرجع في يوم لا يتوقعه، وساعة لا يعرفها[2]. ثمّ ضرب عيسى مثلاً لمَنْ ينتظر الغائب الذي يرجو أن يغمره بفيض عنايته بعرائس ينتظرنَ العريس الغائب، قال: فإذا أبطأ العريس نعَسْنَ جميعاً ونِمْنَ.

---

(١) سورة الإسراء: الآيات من ١ ـ ٧ .

(٢) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ٤٨ ـ ٥٠ .

وفي منتصف الليل دوّى الهتاف: ها هو العريس مقبل، فانطلقنَ لملاقاته[1]. ويشبّهه أيضاً بسيّد مسافر، قد سافرَ بعد أن استدعى عبيده وسلّمهم أمواله، وبعد غَيْبة طويلة عاد السيد، فبدأ حسابه مع عبيده علىٰ ما فعلوه فيما استودعهم من أموال[2]. وذكر بعض العلامات التي تحدث في السماء والأرض قبل عودة ابن الإنسان من غَيْبته التي احتار فيها العالَمون، فقال: وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم، وتكون علىٰ الأرض ضِيقة علىٰ الأمم الواقعة في حيرة[3] ويخبر نبي الله عيسىعليه السلام أنه ستكون في زمن غَيْبته ضِيقة عظيمة علىٰ الناس، لم يحدث مثلها منذ بدْ العالم إلى الآن، ولن يحدث[4]، وأخبر أن ابن الإنسان سيأتي بعد هذه الضِّيقة كالشهاب الثاقب، أو البرق الخاطف من الشرق، ليضيء في الغرب فقال: فكما أن البرق يومض من الشرق فيضيء في الغرب، هكذا يكون رجوع ابن الإنسان[5].

إن ما أخبر به النبي عيسى المسيحعليه السلام عن مجيء ابن الإنسان، وما أخبر به رسول الله محمدصلى الله عليه وآله والأئمة من عترته عن ظهور المهدي بن الحسن يصبُّ في معين واحد. أخرج الشيخ الصدوق في (إكمال الدين وإتمام النعمة)، عن محمد بن أبي عمير، عن صفوان بن مهران الجمّال، قال: قال الصادق جعفر بن محمدعليه السلام: أمَا والله لَيَغيبَنَّ عنكم مهديّكم، حتى يقول الجاهل منكم: ما لله في آل محمد. ثمّ يُقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها عدلاً وقسطاً، كما مُلِئت جوراً وظلماً[6]. وأخرج الشيخ الطوسي في (الغَيْبة)، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن مالك الجهني، عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين علياًعليه السلام فوجدته متفكراً ينكت

---

(١) العهد الجديد، متّى: ٢٥: ٦ ـ ١٣ .
(٢) العهد الجديد، متّى: ٢٥: ١٤ ـ ٣٠ .
(٣) العهد الجديد، لوقا: ٢١: ٢٥ .
(٤) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ٢١ .
(٥) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ٢٧ .
(٦) الغَيْبة، للشيخ الصدوق: ٣٤١ .

في الأرض، فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك متفكراً تنكت في الأرض؟ أرغبة منك فيها؟ فقال: لا، والله ما رغبتُ فيها، ولا في الدنيا يوماً قطُّ، ولكن فكّرتُ في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من وُلْدي، هو الذي يملؤها قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظلماً وجوراً، تكون له حَيْرة وغَيْبة، يضلُّ فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون[1].

إن ابن الإنسان الذي أخبر عنه عيسى المسيح لم يقصد به نفسه، لأنه كان يتحدّث عن شخص آخر، بدليل أنه ذكر أن هذا الشخص يُقبل كالشهاب الثاقب من جهة الشرق. ويدلُّ علىٰ أن ابن الإنسان ليس عيسى المسيح أن الكتاب المقدس وصفه بأنه يأتي بالغضب والقسوة علىٰ الظالمين وأتباع الشيطان، فلا يدع واحداً منهم إلاّ قتله، ويدمّر كل شيء عائد إليهم، حتى يظنّ الناس أنه ليس في قلبه رحمة، كما وصفه يوحنّا في الصورة التالية: الأمين الصادق الذي يقضي ويحارب بالعدل. عيناه كلهيب نار، وعلى رأسه أكاليل كثيرة.. وكان يرتدي ثوباً مغمّساً بالدم.. وكان يخرج من فمه سيف حاد ليضرب به الأمم، ويحكمهم بعصاً من حديد، ويدوسهم في معصرة سَوْرة غضب الله القدير علىٰ كل شيء[2]، وكما وصفه النبي ملاخي في قوله: انظروا هذا يوم القضاء مقبلٌ، لاهبٌ كتنور. يكون فيه جميع المستكبرين وفاعلي الإثم عُصافة، فيحرقهم ذلك اليوم، ولا يبقي لهم أصلاً وفرعاً. يقول الرب القدير[3]. والمعروف عن النبي عيسى المسيح أنه نبيّ السلام والمحبّة. فلا بدَّ من أن يكون ابن الإنسان هو ابن طه وياسين، ابن محمدﷺ الذي قال عنه: ... فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم[4].

---

(١) الغَيْبة، للشيخ الطوسي: ٣٣٦ .

(٢) العهد الجديد، الرؤيا: ١٩: ١١ ـ ١٦ .

(٣) العهد القديم، ملاخي: ٤: ١ .

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣١١، نقلاً عن عيون أخبار الرضا.

وقال فيه الإمام أمير المؤمنين عليّ في خطبة له: فلَيُفَرِّجَنَّ الله الفتنة برجل من أهل البيت، بأبي، ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلا السيف هرْجاً هرْجاً... حتى تقول قريش (قريش هنا رمز للظالمين المتجبرين): لو كان هذا من وُلْدِ فاطمة لَرحمنا[1]. وقال فيه الإمام جعفر الصادق :... إنه يخرج موتوراً، غضبان أسفاً، لغضب الله علىٰ الخلق.. يُجرّد السيف علىٰ عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً[2]، وقال فيه الإمام التاسع محمد الجواد :... فإذا خرج بإذن الله فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله تبارك وتعالى. قيل له: يا سيدي، وكيف يعلم أن الله قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة[3].

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢ ـ ١٧٩، طبعة مصر بأربعة أجزاء.
(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٦١، نقلاً عن الغَيْبة، للنعماني.
(٣) بحار الأنوار: ٥١ ـ ١٥٧ .

الفصل الخامس
زمان ظهور المهدي

لم يذكر رسول الله ﷺ ولا أحد من الأئمة الأطهار من عترته وقتاً أو زمناً معيناً أو تاريخاً محدداً لظهور الإمام محمد بن الحسن المهدي، لآن الله تعالىٰ أعلمهم أن أمر ظهوره سرٌّ من الأسرار التي اختصّها لنفسه. وقد سأل قوم من المسلمين رسول الله ﷺ عن وقت خروج المهدي، فقال ﷺ: «**مَثَلُهُ مثلُ الساعة، لا يجلّيها لوقتها إلا هو، ثقُلتْ في السماوات والأرض، ولا تأتيكم إلاّ بغتةً**[1].

إن خروج الإمام المهدي يكون فجأة وبغتةً كما صرّح بذلك حديث رسول الله ﷺ، ولذلك يجب علىٰ كل فرد من المؤمنين به، والمنتظرين له، أن يعمل في خطّ تحقيق الأهداف التي يحققها الإمام المهدي حين خروجه، مثل الوقوف بوجه الظالمين، ونصرة المظلومين، وإغاثة الملهوفين، والوقوف إلى جانب الحق وأهله، ومقارعة الباطل، وكشف حقيقته أمام الناس، والدفاع عن دين الله ومقدّسات المسلمين حين تتعرض إلى اعتداء من قبل أعداء المسلمين. وهذا ما قصده الإمام المهدي في رسالته التي بعثها للشيخ المفيد، ليبلغها إلى المؤمنين به، المنتظرين خروجه. وهذا نصُّ الرسالة: . . . فليعملْ كلُّ امرئٍ منكم ما يُقرِّبُ من محبتنا، ويتجنَّبُ ما يُدْنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتةً فجأةً[2]

---

(١) بحار الأنوار: ٥١ ـ ١٥٤ .

(٢) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي: ٢ ـ ٣٢٤ .

إنَّ ما ورد علىٰ لسان الرسول محمدﷺ والأئمة من عترته بشأن خروج الإمام المهدي يكاد يتطابق بشكل تامّ مع ما جاء علىٰ لسان نبي الله عيسى المسيح، فقد قال المسيح في ظهور ابن الإنسان: أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا ملائكته إلا أبي وحده، وكما كان الحال في زمن نوح، كذلك سيكون عند رجوع ابن الإنسان، فقد كان الناس في الأيام السابقة للطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويُزوِّجون، حتى فاجأهم اليوم الذي دخل فيه نوح السفينة، ونزل الطوفان، وهم لاهون، فأخذ الجميع. هكذا ستكون الحال عند رجوع ابن الإنسان... فاسهروا إذاً، لأنكم لا تعلمون في أيّ ساعة يأتي سيدكم، واعلموا هذا أنه لو عرف ربُّ البيت في أيِّ هزيع يأتي السارق لظلَّ ساهراً، ولم يدع بيته يُنْقَب، لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدّين، لأن ابن الإنسان سيأتي في ساعة لا تتوقّعونها[1]

وممّا لاشكَّ فيه أن رسول الله محمد، والأئمة من عترته الطاهرين لا يقصدون في أحاديثهم السابقة رجوع نبي الله عيسى المسيح، وكذلك الإمام المهدي لا يقصد في رسالته التي بعثها إلى الشيخ المفيد الحديث عن نبي الله عيسى المسيح، لأن قوله (أمرنا) واضح لا لبسَ فيه. وأيضاً فإن النبي عيسى المسيحعليه السلام حين يقول: هكذا ستكون الحال عند رجوع ابن الإنسان، ولأن ابن الإنسان سيأتي في ساعة لا تتوقعونها لا يقصد بهذا القول نفسه بدليل أن أتباعه لم يكونوا في ذلك الوقت يعرفون أنه سيُصلب، ثمّ يعود مرّة أخرى. فلا بدَّ إذاً من أنه يريد بقوله ابن الإنسان ما أراده رسول اللهﷺ، وهو المهدي ابن الحسن.

إن الرسولﷺ والأئمة من عترته لم يحددوا تاريخاً أو زمناً معيناً لظهور المهدي، كما قلنا قبل قليل، ولكنهم أكّدوا علىٰ حتميّة ظهوره في آخر الزمان، إلى درجة الافتراض أنه لو بقي من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله

---

(١) العهد الجديد، متى: ٢٤: ٣٩ ـ ٤٤ .

ذلك اليوم حتى يخرج ابن رسول الله الحجة ابن الحسن. ويمكن القول في شأن زمان ظهور الإمام المهدي أن النبيّ محمداً ﷺ والأئمة الطاهرين من عترته أشاروا إلى أحداث وعلامات تكون قبل زمان ظهوره، يمكن أن يُسْتَدَلَّ بها علىٰ قرب ظهوره أو زمان ظهوره. إنّ أحداث وعلامات زمن ظهوره المبارك يمكن تقسيمها إلى قسمين: **الأول**: أحداث وعلامات عامة، **والثاني**: أحداث وعلامات خاصة.

الأحداث والعلامات العامّة

ذكر رسول الله ﷺ والأئمة من عترته حصول أحداث وعلامات تعمُّ الناس جميعاً في الأرض كلها، وتحدث في زمن ظهور المهدي، وبحدوثها يمكن معرفة زمان ظهوره، دون معرفة تاريخ محدّد. وهذه الأحداث والعلامات العامة هي :

أولاً: أعراضٌ تظهر على الأحوال الاجتماعية والسلوكية والاقتصادية والسياسية للناس. وقد أوردها ابن الصبّاغ المالكي في (الفصول المهمّة)، عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام[1] وأوردها الشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار)، عن الإمام أبي جعفر الباقر أيضاً[2] وهي :

■ تَشَبُّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال: أي أن الرجال يفعلون بأنفسهم ما تفعله النساء بأنفسهنَّ، كالاعتناء بمظاهرهم، وتزيين وجوههم، وإطالة شعورهم، والميل نحو الترف والنعومة والرقّة، ولبس الذهب والحرير والملابس التي يشبه تصميمها تصميم ملابس النساء. وكذلك النساء فإنهنَّ يفعلْنَ بأنفسهنَّ ما يفعله الرجال بأنفسهم، كخلع الحجاب، وإبراز الجسد في الأماكن العامة، وتقصير الشعر أو حلقه، والخروج للعمل في المصانع، والاشتغال في الأعمال الشاقة كالعسكرية ونحوها. وكلُّ ذلك حاصلٌ في الزمن الذي نعيشه.

■ **ركوب ذوات الفروج السروج**: أي أن النساء يطلبن مساواتهنَّ

---

(١) الفصول المهمة: ص ٢٤، وما بعدها.

(٢) نور الأبصار: ص ١٥٥، وما بعدها.

بالرجال فيما هو من اختصاص الرجال كما هو متعارف عليه، فإن المتعارف عليه أن ركوب سروج الخيل في الحروب وغيرها من اختصاص الرجال. ومن ذلك مشاركتهنَّ في أمور السياسة والحكم، والعسكرية، وجلوسهنَّ علىٰ كراسي الحكم. فأصبحنَ رئيسات دول، ووزيرات، وقاضيات، ومديرات، وذوات رتب عسكرية. وكلُّ هذا حاصل في هذا الزمن الذي نعيشه.

■ **ركوب الذكور الذكور**، أو اكتفاء الذكور بالذكور، واستغناء النساء بالنساء: إن الله تعالىٰ خلق الحاجة إلى الجنس في فطرة الإنسان، فخلق الذكور والإناث، لإشباع هذه الغريزة عند الإنسان، فالرجل يحتاج إلى المرأة، والمرأة تحتاج إلى الرجل في إشباع تلك الغريزة. هذه هي فطرة الله التي خلق الإنسان عليها، ولكن إذا حصل بين الرجال والنساء ما يخالف هذه الفطرة، بأن يمارس الرجال الجنس مع نظرائهم من الرجال، وتمارس النساء الجنس مع نظرائهنّ من النساء، فإن هذا يُعَدُّ علامة علىٰ الزمن الذي يظهر فيه الإمام المهدي. وهذا الأمر قد يحصل في كل زمن، ولكن في زماننا وصل الأمر في بعض الدول أن حكوماتها شرّعت لزواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، فأصبح ممارسة ما يخالف فطرة الله (الشذوذ الجنسي) مشروعاً في دساتير العالم، وتروّج له وسائل الإعلام في كلّ العالم، وقد خُصِّصتْ قنوات فضائية متخصّصة بعرض مشاهد من الشذوذ الجنسي علىٰ المشاهدين في جميع العالم.

إضاعة الصلوات: أي الناس لا يميلون إلى أداء شعائر العبادة لله تعالى، سواء كان ذلك في المساجد أم الكنائس أم غيرهما، وينصرفونَ إلى اللهو، فتكون أماكن اللهو كالنوادي والمقاهي والملاهي والحانات معمورة بهم. وهذا حاصلٌ في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

اتباع الشهوات: أي تفضيل المصلحة الخاصة علىٰ المصلحة العامة، والسعي إلى إشباع شهوات النفس ورغباتها بأي وسيلة كانت، ولو بارتكاب

المحرّمات كالسرقة والسلب والنهب والاغتصاب وسفك الدماء. وهذا حاصلٌ في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

بيع الدين بالدنيا: أي أن الناس يبيعون دينهم بما يحصلون عليه من مناصب أو مال أو جاه أو سمعة. فتراهم في حياتهم الطبيعية يظهرون بمظهر المتديّن المنقطع إلى الله، لكنهم إذا جاءتهم الفرصة للحصول على أي شيء من منافع الدنيا، فإنهم يتنازلون عن دينهم مقابل ما يحصلون عليه من تلك المنافع، على الرغم من تغليف ذلك بأعذار تبدو مقبولة. وهذا حاصلٌ في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

قطع الأرحام: أي أن الناس يكون الفرد منهم مستعداً لقطع أرحامه والتنكّر لأهله وأقاربه وعشيرته، مقابل الحصول على منصب أو مال أو جاه أو منفعة من منافع الدنيا وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

الظنُّ بالطعام وظنوا بالطعام: أي أن الناس يخزنون الأطعمة والأموال التي يمكن شراء الأطعمة بها، ولا يعطون شيئاً منها للجياع والفقراء في العالم، مما أدّى إلى حصول المجاعات الجماعية في مناطق العالم الفقيرة. وإننا نرى بعض الناس أو الحكومات تقوم بإتلاف الأطعمة الفائضة أو الزائدة عن حاجتهم، ولا يقدّمون شيئاً منها إلى الشعوب الجائعة. وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

كون الحِلْم ضعفاً: أي أن الناس إذا رأوا إنساناً حليماً، لا يقابل الإساءة بالإساءة، ولا يريد الاعتداء على مَنْ يعتدي عليه، فإنهم يتهمونه بالضعف والتخاذل. وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

كون الظلم فخراً: أي أن الظالمين في العالم يتفاخرون بما يفعلونه من ظلم الناس، ويعتبرون ذلك إنجازاً لأنفسهم ولشعوبهم، كما تفعل أمريكا وإسرائيل هذه الأيام.

كون الأمراء فَجَرَة: أي أن الحكام الذين يلون أمر الناس في العالم

يكونون فجرة، أي يعملون الفجور، كالزنى وشرب الخمر والقمار، وغير ذلك من الفجور. وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

كون الوزراء كَذَبة: أي أن الوزراء الذين يُسيِّرون أعمال الناس وينظمونها يكونون كذبة، لا يصدقون مع شعوبهم، ويخادعونهم بالتضليل، وخلط الأوراق عليهم، والتبرير لما يفعله الحكام الذين عيّنوهم في مناصبهم. وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

كون الأمناء خونة: أي أن أمناء المنظمات الدولية، والمنظمات الإقليمية، وأمناء الأحزاب والجمعيّات، والأمناء علىٰ الأموال أو الأسرار التي تودع عندهم، يكونون خونة، يخونون أماناتهم لصالح الأقوياء، أو لصالح الهوى والمصلحة الخاصة. وهذا حاصل في زماننا.

كون أعوان السلاطين ظلمة: أي أن الموظفين والمديرين الذين يعاونون الحكام في إدارة بلدانهم، وبسط سيطرتهم عليها يكونون ظلمة، يظلمون الناس بأخذ أموالهم، ومصادرة أملاكهم، وتوجيه الاتهامات الباطلة إليهم، وسجنهم علىٰ التهمة والظنّة وأخذ الرشوات منهم. وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

كون العلماء بالكتاب فَسَقَة: أي أن علماء الدين يلبسون لباس أهل الدين، ويتكلمون باسم الدين، ولكنهم فسقة، أي يخرجون من الدين بنصرة الظالم، والوقوف إلى جانب الباطل، والتخلّي عن الحق وأهله، وإثارة الفتن والشبهات بين الناس، والعمل علىٰ بثّ الفرقة بين أبناء الأمة. وهذا حاصل في زماننا بصورة أوضح من أيّ زمن.

شياع الجور والظلم بين الناس: أي أن الجور والظلم يكون أمراً شائعاً بين الناس، وغير مقصور علىٰ جماعة أو فئة أو شعب من الناس، بل يعمُّ الجور والظلم كل الناس. ومن أبرز مظاهر الجور والظلم قتل النفس المحترمة بغير ذنب، وهتك الأعراض، واستباحة المقدسات، ونهب

الأموال. وهذا حاصلٌ في زماننا.

كثرة الطلاق بين المسلمين: يمكن أن يُراد به المعنى الحقيقي، وهو طلاق النساء، ويمكن أن يُراد به المعنى المجازي، وهو انفصال المسلمين بعضهم عن بعض، أي يهجر بعضهم بعضاً من غير تواصلٍ بينهم، فهذا يشبه الطلاق بين الرجل والمرأة. ونرى في عصرنا الحاضر أن كثيراً من الجماعات الإسلامية يعتبرون المسلمين من غيرهم كفاراً، لا تجوز مواصلتهم أو العيش معهم أو التعامل معهم أو تزويجهم أو التزوّج منهم. وهذا حاصل في زماننا.

ظهور الفجور بين المسلمين فلا يتحاشونه، ولا ينكرونه: قد لا يكون ظهور الفجور بين غير المسلمين مستغرباً، ولكن ظهور الفجور بين المسلمين الذين يمنعهم دينهم من إتيانه، كالزنى وشرب الخمور والقمار وأكل الربا وأخذ الرشا هو الأمر المستغرب الذي يُعَدُّ من علامات الزمان الذي يظهر فيه المهدي.

قبول شهادة الزور: أي أن الناس يقبلون شهادة مَنْ يشهد بالباطل والكذب، وهم يجوزون أداءها أيضاً، للحصول على منافع دنيوية. وهذا حاصل في زماننا.

شرب الخمور علناً من غير منكر في بلاد المسلمين وغير المسلمين. وهذا حاصل أيضاً. هذا ما وجدناه في تراث المسلمين، أما في تراث غير المسلمين فقد أشار الكتاب المقدس إلى بعض هذه الأحداث والعلامات العامّة التي تحدث في زمن ظهور ابن الإنسان، فقد قال بطرس في رسالته إلى تيموثاوس: واعلم هذا الأمر: إن أزمنة صعبة ستعمّ في الأيام الأخيرة، إذْ إنه يكون الناس محبين لأنفسهم، محبين للمال، متكبرين مباهين بأنفسهم، شتّامين، غير مطيعين لوالديهم، ناكرين للجميل، دنسين، متحجّري العواطف، غير صفوحين، نمّامين جامحي الأهواء، شرسين، غير محبين للصلاح، خائنين، وقحين، مُدّعين، محبين للذّات أكثر من محبتهم لله، لهم

من التقوى مظهرها، ولكنهم لقوتها منكرون..[1].

وأشار النبي عيسى المسيح إلى بعض هذه الأحداث والعلامات العامة التي تحدث في الزمن الذي يظهر فيه ابن الإنسان، فقال عليه السلام: وإذْ يعم الإثم تبرد المحبّة لدى كثيرين... [2]، الإثم يعمّ كل أنواع الفجور كشرب الخمر، والزنى، والقمار، وأكل الحرام... ، أي يعمّ الفجور الناس، وتبرد المحبة لدى كثيرين، بين الآباء والأبناء، وبين الزوج والزوجة، بسبب كثرة الإثم. وفي زماننا الحاضر نشاهد انحلال الروابط الأسرية في العالم، وخاصة في الغرب، فلا الآباء يحنون علىٰ أبنائهم، ولا الأبناء يحترمون آباءهم. وهناك ملايين الأطفال يتعرضون إلى إيذاء آبائهم وأمهاتهم جسدياً ونفسيًا بطريقة مشينة. وهناك أيضاً ملايين من الأزواج والزوجات في العالم قد انقطعت الروابط الزوجية المقدّسة بينهم، واستبدلوها بروابط كاذبة من الخيانة والخداع.

وقال يهوذا في رسالته للمؤمنين: في نهاية الزمان سيطلع مستهزئون يعيشون منغمسين في شهواتهم الفاسقة، وينساقون وراء غرائزهم الحيوانية..[3]. وهذا حاصل في زماننا، فالملايين من البشر يعيشون حياة البهيمية في ممارسة غرائزهم الحيوانية.

وجاء في الرسالة الموجهة إلى مؤمني روما، وهو يصف فيها أحداث آخر الزمان: فإن إناثهم تحولنَ عن استعمال أجسادهنّ بالطريقة الطبيعية إلى استعمالها بطريقة مخالفة للطبيعة، وكذلك تحوّل الذكور أيضاً عن استعمال الأنثى بالطريقة الطبيعية، والتهبوا شهوة بعضهم البعض، مرتكبين الفحشاء ذكوراً بذكور[4].

---

(١) العهد الجديد، الرسالة الثانية إلى تيموثاوس: ٣: ١ ـ ٧ .

(٢) العهد الجديد، متّى: ٢٤: ١٢ .

(٣) العهد الجديد، رسالة يهوذا: ١٨ ـ ١٩ .

(٤) العهد الجديد، الرسالة إلى مؤمني روما: ١: ٢٦ ـ ٢٧ .

وقد يقول قائل: إن الأحداث أو العلامات التي ذُكِرت تحدث للناس في كلِّ وقتٍ وزمانٍ، ولا تخصّ الزمان الذي يظهر فيه المهدي. والجواب عن هذا القول أن هذه الأحداث قد يحدث بعضها أو كلها في كلِّ وقتٍ وزمانٍ، ولكنها لم تعمّ الناس جميعاً، في كلّ مكان من الأرض، ولم يشاهدها الناس جميعاً في الأزمنة السابقة. أما في الزمان الذي نعيشه فإن هذه الأحداث قد عمّت الناس جميعاً في جميع أنحاء الأرض، وصار الناس يشاهدونها على شاشات التلفاز بواسطة القنوات الفضائية، فشمولها الناس جميعاً، ومشاهدة أهل كلّ بلد ما يحدث منها في البلدان الأخرى هو من العلامات الواضحة على الزمان الذي يظهر فيه الإمام المهدي.

ثانياً: خوف يعمّ الأرض كلها: أشارت الروايات الإسلامية إلى أن الناس في الزمان الذي يظهر فيه المهدي يصيبهم خوف شديد، لم تُصَب البشرية بمثله منذ أن خلق الله الإنسان على هذه الأرض. إن أسباب هذا الخوف كثيرة، منها :

١ ـ فتنة أو أزمة يتعرض لها الناس في كل أنحاء الأرض. ويتعرّض الناس في هذه الفتنة إلى القتل الذي يُعَبَّرُ عنه في الروايات الإسلامية بالهَرْج، ولا يكون لهذا القتل مكان أو زمان يحدث فيه، فليس هو حرباً بين قوتين في زمانٍ معيَّن وفي مساحة من الأرض، بل يمكن أن يحدث هذا القتل في أي زمان، وفي أي مكان، فيكون الناس بسبب ذلك خائفين وجلين، كلّ واحد منهم يتوقع أن يصيبه القتل في أي وقت وفي أي مكان. وقد تكون هذه الفتنة أو الأزمة حقيقية، أو قد تكون مفتعلة بسبب قوى الشر التي تريد أن تتسلط على الناس. إن هذا الأمر حاصل في أيامنا الحاضرة، ويتمثل في أزمة الإرهاب العالمي الذي يجتاح الناس في جميع دول العالم. إن الخوف الذي يعمّ الأرض كلها هذه الأيام، ويسيطر على مشاعر الناس بسبب موجة الإرهاب، لم تُصب البشرية بمثله من قبل.

٢ ـ **الزلازل**: من أسباب الخوف الذي يعمّ الناس جميعاً كثرة الزلازل، وتخطيها دائرة المناطق المعروفة بالنشاط الزلزالي في العالم، وشمولها دول العالم كافة. إننا نشاهد علىٰ شاشات القنوات الفضائية ظاهرة كثرة الزلازل التي تضرب كل مكان في الأرض، فلا يمرّ أسبوع إلا ونسمع بزلزال هنا أو هناك، سواء كان بدرجة ضعيفة علىٰ مقياس ريختر، أم بدرجة قوية. إن علماء الجيولوجيا يقولون: إن كثرة الزلازل في أيامنا الحاضرة تشكل ظاهرة مخيفة، لم تعرفها الأرض من قبل، ويقولون: إن الزلازل الخطيرة القاتلة كانت تظهر مرةٍ واحدةٍ كل عشر سنوات علىٰ مرّ التاريخ، ولكننا نجد أنه من سنة ١٩٠٠ م إلى سنة ١٩٤٩ م أن هذه النسبة قد زادت إلى ثلاث زلازل قاتلة كل عشر سنوات، ومن سنة ١٩٤٩ م أخذت نسبة الزلازل ترتفع، لتصل قبل مطلع القرن الحادي والعشرين إلى تسع زلازل خطيرة في الخمسينيات، وثلاث عشرة في الستينيات، وست وخمسين في السبعينيات، وأربع وسبعين في الثمانينيات.

٣ ـ **كثرة الأوبئة**: من أسباب الخوف كثرة الأوبئة والأمراض الفتاكة، ومن أكثر هذه الأوبئة فتكاً في عصرنا الحاضر هو مرض الأيدز، ويعدّ هذا المرض طاعون العصر الذي ينشر الخوف والرعب بين جميع الناس، صغاراً وكباراً، ولا يعرف حدوداً، بل دخل إلى كل دولة ومدينة وقرية، ووصل عدد المصابين به في العالم إلى عشرات الملايين.

٤ ـ كثرة القتل بسبب العمليات العسكرية التي تشنها بعض القوى علىٰ الشعوب الضعيفة، لغرض السيطرة علىٰ ثرواتها واستعبادها. إن القتل الذي يستشري بين شعب العراق، الذي سببه احتلال الولايات المتحدة للعراق، والعمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش الأمريكي، ولّد خوفاً عاماً لدى الشعوب المجاورة للعراق، ولدى كلّ شعوب العالم.

أخرج في عقد الدرر بسنده عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

لا يظهر المهدي إلاّ علىٰ خوف شديد من الناس، وفتنة وزلزال، ويصيب الناس طاعون قبلُ.. [1]. وأخرج في إكمال الدين وإتمام النعمة، بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال: قدّام المهدي موتان: موت أحمر، وموت أبيض... فالموت الأحمر السيف (أي القتل)، والموت الأبيض الطاعون (أي الوباء)[2]. وأخرج البخاري في صحيحه، قال: حدثنا عبيد الله ابن موسى، عن الأعمش، عن شقيق، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرْج والهرج هو القتل**»[3].

وأشار الكتاب المقدس للنصارى إلى وقوع الأمور السابقة في زمن ظهور المخلّص (ابن الإنسان)، فأشار إلى الخوف الشديد الذي يعمّ الناس، كما قال النبي عيسى المسيح: وتكون علىٰ الأرض ضِيقة (كرب) علىٰ الأمم الواقعة في حيرة، لأن البحر والأمواج تعجُّ وتجيشُ، والناس يُغشى عليهم من خوف، ومن توقع ما سوف يجتاح المسكونة. عندئذٍ يرون ابن الإنسان آتياً في السحاب بقوة ومجد عظيم[4]. وأشار سفر الرؤيا إلى كثرة الزلازل في الأرض: ثم نظرتُ ورأيتُ الحمل يفكّ الختم السادس، وإذا الأرض قد زُلزلت زلزالاً عظيماً[5]. وأشار أيضاً إلى الأوبئة التي تعمّ الأرض، فقال: فرأيتُ حصاناً لونه أخضر باهت اللون، اسم راكبه الموت، يتبعه حصان آخر اسم راكبه الهاوية، وأُعطيا سلطة إبادة ربع الأرض بالسيف والجوع والوباء[6]. إن الحصان الأخضر الباهت اللون الذي اسم راكبه الموت هو

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٨٤، نقلاً عن عقد الدرر: ١٠٤ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٠٧، نقلاً عن إكمال الدين.

(٣) صحيح البخاري، الفتن، الحديث: (٦٦٥٣).

(٤) العهد الجديد، لوقا: ٢١: ٢٥ ـ ٢٧ .

(٥) العهد الجديد، الرؤيا: ٦: ١٢ .

(٦) العهد الجديد، الرؤيا: ٦: ٧ ـ ٨ .

رمز للأوبئة التي تعمّ الأرض في زمن ظهور المخلّص، كوباء الأيدز، ووباء السارس، وأنفلونزا الطيور، وغيرها.

ثالثاً: كوارث اقتصادية ومجاعات تصيب شعوباً كثيرة. إن الكوارث الاقتصادية والمجاعات تعصف بشعوب كثيرة، وخاصة شعوب القارة الإفريقية، كما أن الفيضانات والأعاصير المدمرة قد أصابت أكثر بلدان العالم الغنية والفقيرة، فتسببت في حدوث كوارث عظيمة، وقد أعلن بعض حكومات الدول اعتبار بعض المناطق من أراضيها مناطق منكوبة، كما حصل في المناطق التي ضربتها أمواج تسونامي المدمرة في إندونيسيا وماليزيا وتايلاند وسيريلانكا والهند. هذا وقد تسبَّب الحصار الاقتصادي الذي كان مفروضاً علىٰ الشعب العراقي، والعمليات العسكرية التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك في حصول مجاعة لدى قطاعات كبيرة من الشعب العراقي. وقد يحدث في الأيام القليلة المقبلة الشيء نفسه علىٰ الشعب السوري.

أخرج مسلم في صحيحه، بسنده عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أن من الفتن التي تكون في آخر الزمان حصول المجاعة بين الناس علىٰ الرغم من كثرة الأمطار، ثم قال ﷺ: «**ليست السَّنة بأن لا تمطروا، ولكن السَّنة أن تمطروا وتمطروا، ولا تنبت الأرض شيئاً**»[1]. والسَّنة: هي المجاعة. وأخرج مسلم في صحيحه، بسنده عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**مُنِعَت العراق درهمها وقفيزها، ومُنِعت الشام مُدْيها ودينارها، ومُنِعت مصر إردبّها ودينارها**...»[2]، أي: أن تلك البلدان تمنع أهلها خيراتها، فتحصل المجاعات بين الناس. وإنما ذكر تلك البلدان، لأن الناس يعرفونها ولا يعرفون غيرها. وقصدُه أن ذلك يشمل الناس في جميع البلدان. وذكر مفسرو

---

(١) صحيح مسلم: الحديث: (٢٩٠٤).

(٢) صحيح مسلم: الحديث: (٢٨٩٦).

هذا الحديث أن الذي يتسبب في منع وصول خيرات البلدان إلى أهلها هو تسلّط الظالمين عليها، وسلب خيراتها لصالحهم، فتكثر المجاعات بين الناس.

وأشار إنجيل متّى من الكتاب المقدس إلى ذلك بقوله: . . . فسوف تنقلب أمة علىٰ أمة، ومملكة علىٰ مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في عدة أماكن. . . [1]، وقال أيضاً: وعندما فكّ الحمل الختم الثالث سمعتُ الكائن الثالث ينادي: تعالَ، فرأيتُ حصاناً أسود يحمل راكبه ميزاناً بيده، وسمعتُ صوتاً من بين الكائنات الحية الأربعة يقول: ثُمنية قمح بدينار، وثلاث ثماني شعير بدينار[2]. إن هذه النبوءة تصف مجاعة عالمية رهيبة سوف تحدث قبل مجيء ابن الإنسان، إن الدينار يرمز إلى أجر العامل اليومي في القرن الأول الميلادي، وكان يكفي لإعاشة عائلة كاملة. أما في الزمن الأخير الذي يسبق ظهور المخلّص فإنه يمكن شراء ثمنية قمح، أو ثلاث ثماني شعير بدينار. وهو مقدار لا يكفي لشخص واحد، فكيف تعيش بقية أسرة ذلك الشخص؟!

هذه هي أهم الأحداث والعلامات العامة التي تحدث في الزمان الذي يظهر فيه الإمام المهدي، كما ذكرتها المصادر الدينية عند المسلمين وأهل الكتاب، وبها يُسْتَدلُّ علىٰ قرب ظهور المهدي. وأكثر هذه الأحداث والعلامات حاصلة في زماننا هذا.

---

(١) العهد الجديد، متى: ٢٤: ٦ ـ ٨ .

(٢) العهد الجديد، الرؤيا: ٦: ٥ ـ ٦ .

الأحداث والعلامات الخاصة

ذكر رسول الله ﷺ، والأئمة الطاهرون من عترته أحداثاً وعلاماتٍ خاصة تحدث في أماكن معيّنة، وقُبيل ظهور المهدي بوقتٍ قصيرٍ جداً. وبحدوثها يستطيع المؤمنون بالمهدي، والمنتظرون له أن يستدلوا بها علىٰ أن صاحبهم يظهر قريباً، ليعدوا أنفسهم لملاقاته واستقباله ونصرته. ومن هذه الأحداث :

١ ـ ظهور السُّفياني قوّةً عالمية، وسعيه لإقامة إمبراطورية عالمية يتربع علىٰ عرشها.

٢ ـ خروج السُّفياني إلى العراق، واحتلاله هذا البلد.

٣ ـ قتل النفس الزكيَّة.

٤ ـ توجّه السُّفياني إلى بلاد الشام، واحتلالها.

٥ ـ مجيء الرايات السود من خراسان بقيادة رجل إيراني إلى العراق، لنجدة العراقيين بسبب ما يفعله السُّفياني بهم من تقتيل وتدمير واستباحة الحرمات.

٦ ـ حدوث الخسف بجيش السُّفياني في بيداء المدينة المنورة بعد توجّه السفياني إليها واحتلالها.

٧ ـ الصيحة والنداء.

٨ ـ ظهور اليماني علىٰ مسرح الأحداث لنصرة الإمام المهدي.

٩ ـ اختلاف الشيعة فيما بينهم بعد خروج السُّفياني.

أخرج في (إكمال الدين وإتمام النعمة) بسند صحيح إلى عمر بن

حنظلة، قال: سمعتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسُّفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[1]. وروى الكليني مثله بسنده عن ابن حنظلة، في روضة الكافي[2]. وأخرجه بالسند المذكور في البحار[3].

وأخرج النعماني بسند صحيح إلى عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال: السُّفياني من المحتوم[4]. وأخرج أيضاً بسند حسنٍ، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله الصادق، أنه قال: من المحتوم الذي لابدَّ أن يكون من قبل قيام القائم خروج السُّفياني[5]. وأخرج النعماني أيضاً بسنده عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن زائدة بن قدامة، عن عبد الكريم، قال: ذُكِر عند أبي عبد الله (الصادق) القائمُ، فقال: أنَّى يكون ذلك، ولم يستدر الفلك، حتى يقال: مات أو هلك، في أيّ وادٍ سلك؟ فقلتُ: وما استدارة الفلك؟ فقال: اختلاف الشيعة بينهم[6].. وأخرج في عقد الدرر بسنده إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرونه ـ يعني ظهور المهدي ـ حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويشهد بعضكم علىٰ بعض، ويلعن بعضكم بعضاً. قال: فقلتُ: أفي ذلك الزمان من خير؟ فقال: الخير كله في ذلك الزمان، يخرج المهدي فيرفع ذلك[7].

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ١١٠ .

(٢) روضة الكافي: ٤٨٣ .

(٣) البحار: ٥٢ ـ ٢٠٤ .

(٤) الغَيْبة: ٢٠٢ .

(٥) الغَيْبة: ١٧٦ .

(٦) الغَيْبة: ١٥٧ .

(٧) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٤٨، نقلاً عن عقد الدرر: ١٠٣ .

إن الحدث المركزي الذي تدور حوله جميع الأحداث الأخرى التي ذكرتها هو حدث السُّفياني، فجميع الأحداث المذكورة مركزها وسببها السُّفياني. وقد تقدّم البحث في السُّفياني في الباب الأول من هذا الكتاب، وعرفنا أن السُّفياني الذي يكون قبيل ظهور المهدي هو مثلّث الشيطان، رأسه الولايات المتحدة الأمريكية حين تخرج إلى الدنيا قوة عظيمة، لتقيم إمبراطورية تعيد بها مجد إمبراطورية روما وعظمتها وجبروتها بطريقة عصرية، وقاعدتا هذا المثلّث اللتان ترتكز عليهما الولايات المتحدة الأمريكية هما: اليهود في أمريكا وإسرائيل، وبعض دول أوربا. أما بقية الأحداث فسيأتي البحث فيها في الباب الثالث الذي سيأتي بعد قليل.

إن النتيجة التي يمكن الإعلان عنها في نهاية هذا الفصل هي: أن الأحداث والعلامات العامة والخاصة التي ذكرتها المصادر الدينية باعتبارها أحداثاً وعلاماتٍ تحصل في زمن ظهور المهدي، أو قبيل ظهوره بوقت قصير، تُشير إلى أننا نعيش الآن في الزمن الذي يظهر فيه المهدي، وأنه علىٰ المؤمنين به، والمنتظرين خروجه أن يُعدّوا أنفسهم لهذا الحدث الكبير والنبأ العظيم.

الباب الثالث

خروج السُّفياني

ويشتمل علىٰ الفصول التالية :

الفصل الأول: ظهور السُّفياني وخروجه

الفصل الثاني: أفعال السُّفياني وقت خروجه

الفصل الثالث: حركة السُّفياني إلى العراق

الفصل الرابع: دور الشعوب العربية والإسلامية فيما يجري في العراق

الفصل الخامس: السُّفياني يتوجه نحو الأقطار المجاورة للعراق

الفصل الأول
ظهور السُّفياني

إن ظهور السفياني قوّة وحيدة تتفرَّد في رسم مستقبل العالم، وشكل سياساته كان في شهر كانون الثاني سنة ١٩٩١ م، ويُعَدُّ هذا التاريخ بداية لظهوره علىٰ مسرح الأحداث في العالم. وقد تقدّم في الباب الأول من هذا الكتاب أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بعمل متميّز عجزت عن تحقيقه دول الغرب منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية، وهو إقامة إمبراطورية عصرية جديدة تحكم العالم تحت اسم النظام العالمي الجديد، وأنَّ الولايات المتحدة الأمريكية أرادت بهذا العمل بعث الإمبراطورية الرومانية إلى الحياة، وإعادة مجدها وسطوتها علىٰ الدول والشعوب، وجبروتها الذي تحدّت به الخالق تبارك وتعالى في الوقوف بوجه الدين الذي جاء به عيسى المسيح عليه السلام. وتقدّم أنَّ اليهود في أمريكا وإسرائيل، ودول أوربا كانتا الركيزتين اللتين اعتمدت عليهما الولايات المتحدة الأمريكية في إقامة إمبراطوريتها التي يُعَدُّ شهر كانون الثاني ١٩٩١م تاريخاً لبداية ظهورها علىٰ مسرح الأحداث في العالم. وتقدّم أنَّ هذه الإمبراطورية هي مثلث الشيطان الذي يحكم العالم بعصاً من حديد، تكون الولايات المتحدة علىٰ رأسه، واليهود ودول أوربا قاعدتيه اللتين يرتكز عليهما، وأنَّ هذه الإمبراطورية هي السفياني الذي يكون ظهوره قبيل ظهور المهدي، ويكون علامةً كبرى علىٰ زمن ظهور المهدي. ولمّا كانت الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ رأس هذه الإمبراطورية، وهي التي قامت بعمل متميّز لإقامتها في زمن رئاسة بوش الأب، وبوش الابن،

وهي القوة الوحيدة الفاعلة فيها، التي تستطيع ـ بهذه الإمبراطورية ـ أنْ تحكم العالم بعصاً من حديد، فإنَّ رمزية السفياني تتجسَّد فيها، فهي ـ أي الولايات المتحدة الأمريكية ـ السفياني الأكبر، وهي السفياني الآخِر الذي يخرج قبيل ظهور المهدي، وهو المقصود في الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله ﷺ، وأهل بيته وأصحابه. ولا يمنع اختصاص الولايات المتحدة الأمريكية برمزية السفياني الآخِر، من أنْ يشاركها في رمزية السفياني ركيزتا إمبراطوريتها، وقاعدتاها: اليهود في أمريكا وإسرائيل، ودول أوربا.

وتقدّم أيضاً أن الولايات المتحدة الأمريكية أعدت لإقامة إمبراطوريتها خطّة من مرحلتين، اتّخذت العراق في كلتا المرحلتين منطلقاً وطريقاً لتحقيق أهداف كلّ مرحلة منهما. وقد كانت بداية تنفيذ المرحلة الأولى سنة ١٩٩٠، حين أقدم رئيس النظام العراقي صدام حسين علىٰ غزو الكويت واحتلالها، ثم أعقب ذلك مجيء القوات الأمريكية علىٰ رأس قوات من دول أوربا إلى المنطقة العربية، ومنطقة الخليج بالخصوص، ثم قيام الجيش الأمريكي باستعمال قوته العظيمة لتدمير الجيش العراقي، وتحرير الكويت في كانون الثاني سنة ١٩٩١ فكان هذا التاريخ بداية لظهور إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية قوة وحيدة في العالم، قادرة علىٰ فعل ما تريد في أي مكان في العالم. ويُعدُّ هذا التاريخ بداية لظهور السفياني.

وتقدَّم أنَّ (السفياني) قد استُعْمِلَ رمزاً لهذه الإمبراطورية التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية، للتشابه الحاصل بينها، وبين الدولة التي سعى إلى قيامها أبو سفيان، وحقق قيامها ابنه معاوية بن أبي سفيان، وأرادا أن يُعيدا إلى الحياة بهذه الدولة مجد قريش وقوتها وجبروتها التي أماتها الإسلام، وللتشابه الحاصل بينهما في المواقف والسياسة من الإسلام الأصيل وحملته الحقيقيين. وقد أشارت الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ، والأئمة الطاهرين من عترته إلى ذلك، مستعملة الرمزية التي تتسم بها أكثر الروايات

الواردة في السفياني والإمام المهدي، ومنها الحديث التالي: أخرج في عقد الدرر، عن عمار بن ياسر، أنه قال: . . . ويخرج أهل المغرب (الغرب) وينحدرون إلى مصر، فتلك إمارة (أمارة) السفياني، ويخرج قبل ذلك مَنْ يدعو لآل محمدﷺ. . . [1].

(أهل المغرب أو الغرب): رمز للولايات المتحدة الأمريكية، وحلفائها من اليهود والغربيين. (مصرٍ) ـ بالتنوين ـ: المراد بها: بَلَد من البلدان. وليس المراد بها الدولة المعروفة الآن بجمهورية مصر العربية. ويُطلق لفظ (مصر) علىٰ كل بلد أو مدينة، فهي اسم نكرة ينطبق علىٰ كل بلد، كما قال الله تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾[2]. و(إمارة) بكسر الهمزة: منصب الأمير، ومقر حكمه، وزمان حكومته. و(أمارة) بفتح الهمزة: العلامة، والموعد، والوقت.

وبهذا البيان يكون معنى الحديث: يخرج أهل الغرب (الولايات المتحدة وحلفاؤها) متوجهين إلى بلد من البلدان، فإذا دخلوا ذلك البلد، فهذا يكون بداية حكومة السفياني، أو زمان حكومته، أو علامة ظهور السفياني، أو موعد وزمان ظهور السفياني. وقوله: وقبل ذلك يخرج مَنْ يدعو لآل محمد معناه: وقبل خروج أهل الغرب متوجهين إلى بلدٍ من البلدان يخرج شخص يدعو لمذهب آل محمد.

إن معنى هذا الحديث ينطبق علىٰ خروج الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة بوش الأب، ومعها حلفاؤها الغربيون متوجهين إلى دولة الكويت، بعد أن غزاها رئيس النظام العراقي صدام حسين سنة ١٩٩٠ م، ثمّ شنّها الحرب علىٰ العراق في كانون الثاني سنة ١٩٩١ م

وخروجها منتصرة في هذه الحرب. إن هذا الحدث كان بداية

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٥٣، نقلاً عن القول المختصر، والغَيْبة، للطوسي: ٢٧٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية: ٦١

إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية، أو زمان حكومتها العالمية، أو علامة ظهورها قوة متفرّدة في العالم، أو موعد وزمان ظهور إمبراطوريتها الجديدة.

وينطبق قوله: وقبل ذلك يخرج مَن يدعو لآل محمد علىٰ قيام الإمام الخميني بثورته في إيران ضدّ حكومة الشاه، ونجاحه في إسقاط دولة الشاه، وتأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تقوم علىٰ أسس مذهب آل محمد ﷺ.

ومما يجعل القارئ يُصاب بالدهشة صدق النبوءة التي أخبر بها الحديث التالي: روى نعيم بن حماد في كتاب الفتن، بسنده عن أبي ذر (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

«**سيكون من بني أميّة رجل أخنس بمصرٍ، يلي سلطاناً، ويُغْلَبُ علىٰ سلطانه، أو يُنْتَزَعُ منه، فيفرُّ إلى الروم، فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام. فذلك أول الملاحم**»[1]. و(بنو أمية) في الحديث رمز لكل حاكم أو سلطان أو ملك أو أمير يسير علىٰ سياسة بني أمية في الحكم. و(أخنس): الرجل الذي انخفضت قصبة أنفه مع ارتفاع قليل في طرف الأنف، أو الرجل الذي انبسط أخمص قدميه[2]. وبقية الحديث لا تحتاج إلى شرح.

وروى أيضاً بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه قال: إذا رأيت أو سمعت برجل من الجبابرة بمصرٍ، له سلطان يُغْلَبُ علىٰ سلطانه، ثم يفرّ إلى الروم، فذلك أول الملاحم، يأتي الروم إلى الإسلام[3].

وقوله: (من الجبابرة) يعني: من الملوك أو السلاطين أو الأمراء الذين استقام لهم الحكم في بلادهم.

---

(١) الفتن: ٢٩١، ٢٩٤.

(٢) المعجم الوسيط: (خنس).

(٣) المصدر السابق: ٢٩٤.

ومما أدهشني النصّ الذي نقله الأستاذ محمد عيسى داود من مخطوط قديم بدار الكتابخانة، بتركيا ـ الدار القومية بالعاصمة أنقرة ـ تحت تصنيف (٣٦٦٤ / تراث، المدينة المنورة)، وهو لعالم من أهل المدينة المنورة عاش في القرن الثالث الهجري، واسمه: كَلَدة بن زيد بن بركة المدني. واسم المخطوط: (أسمى المسالك لأيام المهدي، الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك).

وقد نقل الأستاذ داود منه النص التالي: . . . وحرب في بلد أصغر من عجب الذنب، يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلدٍ أولم عليها الوالمون، وأمير فيها سلّم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة الغربية، بداية آخر الزمن، فتجمع لها صريخها من كل الدنيا، وتَرُدُّ له عرش الملك، ويُخرَّبُ عراق في ملاحم بداية آخر الزمن[1].

والعَجْب: مؤخر كل شيء، والعَجْب: أصل الذنب، وعَجْبُ الذنب: الجُزَيء في أصل الذنب عند رأس العُصْعُص.

وقوله: (أصغر من عَجْب الذنب) يرمز إلى صغر ذلك البلد، وإلى أنه يكون في مؤخرة بلد أكبر منه، كالذنب الذي يكون في مؤخرة الجسم.

وإذا نظرنا إلى خريطة العراق والكويت فإننا نجد أن هذا الوصف ينطبق علىٰ موقع الكويت من العراق وقوله: (فتجمع لها صريخها)، الصريخ: المُنجد والناصر والمغيث، أي: تجمع لها الذين ينجدونها وينصرونها ويغيثونها من كل الدنيا.

إن هذا الكلام المنقول من ذلك المخطوط ليس هو حديثاً صادراً عن النبيﷺ أو أحد الأئمة، وإنما هو لرجل قرأ الأحاديث الموجودة بين يديه، وفهم مقصودها، ثم سطّر معانيها في مخطوطته. وعلى فرض صحة المنقول

---

(١) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٩٧ .

فإنه ينطبق علىٰ ما حصل في الكويت.

بعد غزو صدام لها، ومجيء الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بجيوشهم إليها، وكأنها أغنى بلد أولم عليه الوالمون.

ثم حصول حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ التي انتهت بتدمير الجيش العراقي وتحرير الكويت، وبذلك ردّت الولايات المتحدة الأمريكية العرش لأمير ذلك البلد، فكان ما حصل عام ١٩٩١ بداية أحداث آخر الزمن.

إن مجيء الولايات المتحدة الأمريكية إلى منطقة الخليج لتحرير الكويت عام ١٩٩٠ ثم شنّها الحرب علىٰ العراق عام ١٩٩١، وتمكنها من تدمير الجيش العراقي، والبنى التحتية للعراق، وحسم الحرب لصالحها بسرعة أذهلت العالم، كان بداية ظهورها قوّة متفرّدة في العالم، وبداية ظهور إمبراطوريتها الجديدة. وبهذا العرض نفهم أن للسفياني ظهوراً وخروجاً.

خروج السُفياني

المقصود بخروج السفياني احتلاله بلداناً خارج حدوده، وفرض سيطرته العسكرية المباشرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط، لاستكمال قيام إمبراطوريته العالمية الجديدة. وقد ذكرنا في الباب الأول من هذا الكتاب أن الولايات المتحدة الأمريكية جعلت المرحلة الثانية من خطتها لإقامة إمبراطوريتها هي السيطرة العسكرية المباشرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط، وذكرنا أنها اتَّخذت العراق طريقاً لتحقيق ذلك، وأن تنفيذ هذه المرحلة يقتضي منها أن تخرج بجيوشها ومعداتها العسكرية خارج بلادها، لتحتل العراق أولاً، ثمّ الانطلاق منه إلى احتلال بقية دول الشرق الأوسط. وعرفنا أن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت الاستعدادات لتنفيذ هذه المرحلة بعد تسلُّم بوش الابن زمام الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن أحداث١١/ ٩ كانت ساعة الصفر لانطلاقها في تنفيذ خطة المرحلة. ولأجل أن تغطّي الولايات المتحدة خطتها بغطاء يقبله العالم، فإنها افتتحت عملياتها العسكرية في أفغانستان، لأنَّ تنظيم القاعدة الذي تبنَّى أحداث ٩/١١، يعمل في أفغانستان برعاية ومباركة من طالبان. فكانت العمليات العسكرية الأمريكية ضدّ القاعدة ونظام طالبان في أفغانستان قد تمَّ تنفيذها تحت ما يُسمَّى الحرب علىٰ الإرهاب، فصار (الحرب علىٰ الإرهاب) غطاءً مقبولاً لدى العالم، تبرر به عملياتها العسكرية للسيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط، وإقامة إمبراطوريتها العالمية الجديدة. والحق أن الحرب علىٰ أفغانستان لم تكن ضمن خطوات المرحلة الثانية من الخطة الأمريكية، بل كانت تلك الحرب من أجل أن تُلبس عملياتها العسكرية في منطقة الشرق الأوسط ثوب (الحرب علىٰ الإرهاب). وقد كان العراق هو الخطوة الأولى في خطة المرحلة الثانية التي أُلْبِستْ ثوب (الحرب علىٰ الإرهاب).

وعرفنا أنه قد بدأ تنفيذ الخطوة الأولى من الخطة فعلياً يوم ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣ م، بشنّ حرب مدمّرة علىٰ العراق، وقد استعملت الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب أكثر من ١٥٠ ألف جندي، مدربين تدريباً عالياً، ومزودين بأحدث أنواع الأسلحة التدميرية. وقد تمّ إنجاز الخطوة الأولى من هذه المرحلة يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م، بسقوط بغداد، والنظام السياسي الحاكم في العراق، واحتلال العراق احتلالاً عسكرياً، وانتشار القوات الأمريكية، وقوات حليفتها الرئيسة بريطانيا في كافة أنحاء العراق.

إن خروج الولايات المتحدة الأمريكية بجيوشها- في زمن رئاسة بوش الابن ـ إلى أفغانستان، ثم العراق، واحتلالها العراق، كان بتخطيط ودعم من اليهود في أمريكا وإسرائيل، ومن دول أوربا التي كانت بريطانيا علىٰ رأسها، وإنَّ خروج هذه الجيوش يُعَدُّ الخطوة الأولى نحو سيطرتها المباشرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط، وإقامة إمبراطوريتها العالمية، وإنَّ خروجها هذا هو الذي رمزت إليه الأحاديث في المصادر الإسلامية بـ(خروج السفياني). إن الأحاديث والروايات الإسلامية التي تحدثت عن خروج السفياني اشتملت علىٰ الأمور التالية :

١ ـ أنه يخرج بالشام، وأن أهل الشام يؤيدونه[١].

٢ ـ أن أتباعه من كلب، وهم يحيطون علىٰ سائر الشام[٢].

٣ ـ أنه يخرج من ناحية دمشق، من وادٍ يقال له الوادي اليابس[٣].

٤ ـ أنه يخرج ومعه سبعة نفر مع أحدهم لواء معقود، يُعْرَفون بالنصر... لا يرى ذلك العلم أحدٌ إلا انهزم[٤].

---

(١) الغَيْبة، للنعماني: ٢٠٣، والمهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨١، ٨٢ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٢، نقلاً عن عقد الدرر.

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٧٩ .

(٤) المصدر السابق: ١ ـ ٧٩ .

٥ ـ أنه يقبل من بلاد الروم منتصراً[١]

٦ ـ أنه يأتي من بلاد الروم، وفي عنقه صليب[٢].

إن الروايات التي ذكرت أنه يخرج من بلاد الشام هي روايات معتبرة السند، ولكن (الشام) هنا لا تُحمل علىٰ المعنى الحقيقي، فليس المقصود بها بلاد الشام التي تضمّ سوريا والأردن ولبنان وفلسطين، بل هي رمز للجهة في لغة العرب. والشأم في لغة العرب: جهة الشمال. والشأمة: جهة اليسار، يُقال: نظر يمنة وشأمة. والشأم ـ بالهمز والتخفيف ـ

الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب[٣]. وبعد دراسة الروايات التي ذكرت الشام في أحاديث السفياني تبيّن لي أن بعض هذه الروايات استعمل لفظ الشام وأراد به الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب، الذي يضمُّ سوريا والأردن وفلسطين ولبنان، وهذا هو المعنى الحقيقي للشام. وبعضها استعمل لفظ الشام وأراد به جهة الشمال الغربي من جزيرة العرب، وهي بلاد الروم التي تضم دول أوربا وأستراليا وما يعرف حالياً بأمريكا، وهذا هو المعنى الرمزي للشام. وحين يُستعمل لفظ الشام رمزاً لا تُذكر القرينة التي تصرف اللفظ إلى المعنى الحقيقي.

والدليل علىٰ أن لفظ الشام يُستعملُ رمزاً لجهة الشمال الغربي من جزيرة العرب ما جاء في كتاب الفتن وأشراط الساعة، في صحيح مسلم، (باب إقبال الزوم في كثرة القتل) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن حُجر، كلاهما عن ابن عُلَيَّة ـ واللفظ لابن حُجر ـ حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن حُميد بن هلال، عن أبي قتادة العَدَوي.

عن يُسير بن جابر، قال: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس

---

(١) الغَيْبة، للطوسي: ٢٧٨ .

(٢) الغَيْبة، للطوسي: ٢٧٨، ومنتخب الأثر: ٤٥٥ .

(٣) المعجم الوسيط: (شأم).

له هِجّيري قال: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة! قال: فقعد، وكان متّكئاً، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراثٌ، ولا يُفرح بغنيمةٍ، ثم قال: بيده هكذا، ونحّاها نحو الشام، فقال: عدوٌّ يُجْمِعون لأهل الإسلام، ويُجْمِع لهم أهل الإسلام. قلتُ: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال رِدَّةٌ شديدة... [1]

الهِجّيري: كثرة الكلام. والهِجّيري: القول السيّئ، و يقال: ما زال هذا هِجّيراه: ما يولعُ بذكره[2]. إن الرجل الذي جاء إلى بن مسعود، وهو يصيح، مردداً هذه العبارة، مولعاً بترديدها: (يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة)، فأجابه ابن مسعود بأنه ليس هذا وقت قيام الساعة، ثمّ ذكر بعض الأحداث التي تحدث قبل قيام الساعة (أحداث آخر الزمان)، وذكر أعداء يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع أهل الإسلام لهم، ثم تحدّث عن قتال شديد بين الفريقين، وعن حصول رِدّةٍ شديدة عند طوائف المسلمين، في الوقت الذي يحصل فيه القتال بين ذلك العدو وأهل الإسلام، وكان ابن مسعود يشير بيده إلى الشام حين جرى علىٰ لسانه ذكر الأعداء الذين يُجمعون لأهل الإسلام، وقد فهم السامع من تلك الإشارة إلى بلاد الشام أنه يعني: الروم. وحين استفهم السامع منه، لإقرار ما فهمه، أجابه ابن مسعود: نعم، وتكون عند ذاكم القتال رِدَّةٌ شديدة. أقول: لعلَّ تلك الردة التي تكون عند طوائف المسلمين في وقت الاقتتال بين الروم والمسلمين تكون بسبب أن بعض المسلمين من جميع الطوائف يذهبون مذهب الروم ويسيرون في ركابهم وبناءً علىٰ هذا الإيضاح يمكن القول: إنَّ الروايات التي ذكرت أن السُّفياني يخرج من بلاد الشام تعني بالشام: بلاد الروم، كما عناها ابن مسعود. أي أن السُّفياني يخرج من بلاد الروم بجيوش عظيمة للسيطرة علىٰ منطقة الشرق

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم، الحديث: (٢٨٩٩).
(٢) المعجم الوسيط: (هجر).

الأوسط الإسلامي.

إن المتتبع للأحداث التي حصلت سنة ١٩٩١، وسنة ٢٠٠٣ يجد أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي خرجت بجيوشها وجيوش حلفائها من بلاد الروم وجاءت بهم إلى بلاد الإسلام. وكان ذلك في عهد الرئيس بوش الأب في المرة الأولى، وفي عهد الرئيس بوش الابن في المرة الثانية التي احتلَّت فيها العراق، في خطوة أولى لاحتلال بلاد الشام، وبقية بلدان المسلمين في المنطقة. وأما ما ذكرته الأحاديث من أن أهل الشام يؤيدونه، فالمراد بذلك أن غالبية الدول الغربية التي يشملها بلاد الروم تؤيد الولايات المتحدة الأمريكية في خروجها للسيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي، وفي حربها علىٰ ما أسمته (الإرهاب) ومما يؤيد هذا المعنى ما جاء في (كتاب مشارق الأنوار) عن أحوال السفياني، قال: يخرج بجيوش عظيمة هائلة إلى أن ينتهي إلى الشام. ويجتمع عليه قبيلة كلب، وهم أكثر الناس عدداً... [1]، فإن قوله: إلى أن ينتهي إلى الشام إن كان يريد بالشام البلاد التي تضمُّ سوريا والأردن وفلسطين ولبنان حالياً، فإن معنى هذا القول أن السفياني يأتي من خارج الشام، ثم ينتهي إليها. وقد جاء في الروايات أن السفياني ينتهي إلى بلاد الشام المعروفة لاحتلالها والسيطرة عليها، ثم لا يحتلّ بلداً بعدها، ويكون ذلك متزامناً مع ظهور المهدي.

أما الروايات التي ذكرت أنه يخرج في قبيلة كلب، أو أن أتباعه من كلب وهم أكثر الناس عدداً، أو أنهم يحيطون علىٰ سائر الشام، وأنهم يأتون مع السفياني حتى ينتهوا إلى جبل الذهب بناحية الفرات، فيتقاتلون قتالاً شديداً، فهي من العلامات الواضحة التي تدل علىٰ حقيقة هذه الجيوش، وحقيقة الجهة التي يأتون منها. فقد ذكرتُ في الباب الأول من هذا الكتاب أن قبيلة كلب هي إحدى القبائل العربية النصرانية، وأنها كانت تحت حماية

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٤٤، نقلاً عن مشارق الأنوار: ١٠٢ .

الروم، وأنها استُعمِلت في الروايات التي ذكرت السفياني رمزاً للنصارى في بلاد الروم الذين يكوّنون جيش السفياني القادم من بلاد الروم إلى بلاد المسلمين. وقد ورد في تلك الروايات أوصافاً لقبيلة كلب تؤيد هذا المعنى، منها: أنهم أكثر الناس عدداً في زمن خروج السفياني، وهذا الوصف ينطبق علىٰ الروم النصارى في وقتنا الحاضر، وأنهم يحيطون علىٰ سائر بلاد الشام وهذا ينطبق علىٰ الروم النصارى، لأننا إن أخذنا بالمعنى الحقيقي لبلاد الشام، فإن الروم النصارى بعد احتلالهم العراق صاروا يحيطون علىٰ بلاد الشام، وإن أخذنا بالمعنى الرمزي لبلاد الشام فإن الروم النصارى يحيطون علىٰ كافة الجهة الشمالية الغربية من الأرض. ومن الأوصاف أيضاً أنهم يأتون مع السفياني حتى ينتهوا إلى جبل الذهب بناحية الفرات، وهذه العلامة من أوضح العلامات، لأن الروم النصارى قد خرجوا بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية حتى وصلوا في أيامنا الحاضرة إلى منطقة الفرات. وأشار سفر الرؤيا إلى مجيء الجيوش إلى منطقة الفرات للاقتتال فيها.

أما الروايات التي ذكرت أن السفياني يخرج من منطقة الواد اليابس، فبعد دراستها تبين أنها ضعيفة السند.

أما الروايات التي ذكرت أن السفياني يخرج ومعه سبعة نفر، مع أحدهم لواء معقود، يُعرفون بالنصر، فإن العبارة (ومعه سبعة نفر) ترمز إلى سبعة أشخاص ذوي عقول متميّزة، تخطط لإيقاع العالم في شرّ لا يعلم عاقبته إلا الله تعالى.

وهذه العبارة التي جاءت في الروايات الإسلامية مطابقة لما جاء في سفر الرؤيا من العهد الجديد، في وصف الوحش الخارج من البحر: وإذا وحش خارج من البحر، له سبعة رؤوس.. [1]. وقد فسّر بعض علماء

---

(١) العهد الجديد: الرؤيا: ١٣: ١ .

الكتاب المقدس الوحش بأنه رمز للإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة[1] وفسروا (الرؤوس السبعة) بأنها ترمز إلى الفطنة الشريرة، تكون في سبعة أشخاص مع الوحش[2].

إن ما جاء في الروايات الإسلامية يعني أن سبعة أشخاص يتميزون بالفطنة الشريرة، يكونون مع السفياني، وهم الذين يفكرون له، ويرسمون الخطط لحركته، وهم الذين يدعمونه، ويقفون وراءه، ويدفعونه إلى ما يريدون إحداثه في العالم.

إن الإمبراطورية الأمريكية الجديدة التي تُعدُّ انبعاثاً لإمبراطورية روما كان قد خرجت إلى الحياة في عهد حكومة الرئيس بوش الابن، وكان ذلك العمل المتميّز قد تمَّ بتفكير وتخطيط سبعة أشخاص يتميزون بعقول فريدة في التخطيط، لإغراق العالم في الشر. وكان الرئيس بوش الابن لا يفعل شيئاً إلاّ بالرجوع إليهم، فهم الذين يفكرون له، ويرسمون الخطط لتحقيق الحلم الأمريكي، وهم: ديك تشيني، وكوندليزا رايس، وكولن باول، ورامسفيلد، وولفوفيتز، وفال ويل، وريتشارد بيرل. ومع أحدهم لواء معقود، أي مع أحدهم وزارة الدفاع (البنتاجون). وكان رامسفيلد هو وزير الدفاع الذي قاد الجيوش الأمريكية في أفغانستان والعراق، وانتصر في جميع المعارك. وأصبح اسم (البنتاجون) يثير الخوف في نفوس الشعوب الأخرى وحكامها، فلا يسمع بهذا الاسم أحد منهم إلا اضطرب خوفاً.

وإذا أضفنا إلى ذلك الروايات التي ذكرت أن السفياني حين يخرج يُقبل منتصراً، لا تقف بوجهه قوة، والروايات التي ذكرت أنه يخرج وفي عنقه صليب، يتبين لنا أن السفياني قد خرج متجسّداً بالولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وأننا نعيش في عصر السفياني.

---

(١) هل يشاهد جيلنا نهاية العالم، نخبة من خدّام الإنجيل: ٩٠ .

(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأنبا موسى: ٨٣ .

الفصل الثاني
أفعال السُفياني وقت خروجه

ذكرت الروايات أن السفياني حين يخرج يفعل الأفاعيل[1]، أي يقوم بأفعال عظيمة، لا يستطيع أحد أن يقوم بمثلها، وتدلُّ علىٰ أنه حاقد علىٰ الإسلام والمسلمين عامة، وعلى أهل العراق خاصة، وأنه يحمل الشرّ للبشرية جمعاء، وأنه يريد أن يُغرق العالم في بحور الشر، لأن الشيطان هو الذي أعطاه قدراته، فصار متصفاً بصفات الشيطان. ومن تلك الأفعال التي ذكرتها تلك الروايات :

١ ـ حين يخرج إلى بلاد المسلمين يأتي معه أهل الضغائن[2]. والضغائن: جمع ضغينة. يقال: ضَغِنَ عليه: حقد، وأبغضه بغضاً شديداً. ويقال: ضَغِنَ صدره: انطوى علىٰ حقد، فهو ضَغِنٌ وضاغن[3].. وتقصد الرواية بأهل الضغائن الذين يحملون حقداً وبغضاً كبيرين في نفوسهم علىٰ الإسلام والمسلمين، انطوت صدورهم علىٰ أحقاد قديمة وحديثة، وهم اليهود الذين يجدون في السفياني أداة لتفريغ أحقادهم علىٰ المسلمين، فيتحالفون معه، ويزينون له الحلم الذي يسعى إلى تحقيقه، ويدفعونه إلى الخروج لتحقيق حلمه في إقامة إمبراطوريته العالمية الجديدة. ويمكن وصفهم بأنهم جزء من السفياني، الجزء المفكر والمخطط والمحرض. وحين يأتي

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٧٩ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨ .

(٣) المعجم الوسيط: (ضغن).

إلى بلاد المسلمين يأتون معه، ليشفوا صدورهم من أحقادها، وتقرَّ أعينهم بما يفعلونه بالمسلمين.

إن وسائل الإعلام العالمية نشرت خبراً عن الجيوش التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وهو أنّ أكثر من خمسين ألف جندي من قوات التحالف التي تستقرّ في العراق قد احتفلوا بعيد الفصح اليهودي الذي حلَّ عليهم بعد دخولهم العراق عام ٢٠٠٣ .

ونقلت بعض المحطات الفضائية الغربية والعربية مشاهد من هذا الاحتفال، كما نشرت بعض وسائل الإعلام العالمية تحقيقات موثقة عن دخول أعداد من جهاز الموساد الإسرائيلي إلى العراق لمساندة القوات الأمريكية في الرصد والمتابعة وتقديم المعلومات الاستخبارية، كما طالعتنا وسائل الإعلام بخبر مفاده أن القوات البولندية التي تتخذ من (بابل الأثرية) قاعدة عسكرية لها تمنع الزوار والسائحين من مشاهدة آثار بابل القديمة. فمَن الذي يحمل حقداً علىٰ بابل؟ البولنديون أم اليهود البولنديون؟ إن المعروف أن اليهود قد نزحوا بأعداد كبيرة من ألمانيا أيام الاضطهاد النازي، واستقروا في بولندا.

٢ ـ يقتل الصبيان ويبقر بطون النساء[١].

٣ ـ يعتدي علىٰ النساء. جاء في الروايات: يفتضُّ أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهنّ. فكم من لاطمة خدها كاشفة شعرها بدجلة أو بشاطئ الفرات[٢] وقد كُشِف النقاب عمّا يمارسه جنود الاحتلال الأمريكي في العراق من اغتصاب للنساء في السجون، واعتقالهنّ من بيوتهنّ، وما قاموا به من تمثيل بجثث النساء اللاتي وجدوهنّ في مسجد السهلة بالكوفة، بعد قتلهنَّ. أما الصبيان فإنهم يُقتَلون بالعشرات بسبب الرمي

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٧٩ .

(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ٨٢ ـ ٨٣ .

العشوائي علىٰ الناس الذي يقوم به جنود الاحتلال حين يتعرضون إلى عمليات المقاومين، وبسبب القصف الجوي والمدفعي علىٰ بعض مناطق العراق التي يتواجد فيها مقاومون رافضون للاحتلال.

٤ ـ يُجبر الناس علىٰ اختيار أحد أمرين: إمّا القبول به والتعاون معه، وإمّا التضييق عليهم بقتل الرجال وسبي النساء، وقطع مستلزمات العيش عنهم، ولا ينجو من هذا البلاء إلا الصابرون. جاء في الروايات: حين يخرج السفياني لا ينجو من البلاء إلا مَنْ صبر علىٰ الحِصار[١]. وفُسِّر البلاء بقتل الرجال وسبي النساء كما في رواية عمّار بن ياسر[٢] والمقصود بالحصار التضييق علىٰ الناس، وقطع مستلزمات العيش عنهم، ومنعهم من التعبير عن مطالبهم. ومعنى الحديث أن السفياني حين يدخل العراق لا ينجو أحد من البلاء إلا من سكت، واستكنَّ في بيته، ولم يخالفه أو يعارضه في قول أو فعل.

٥ ـ يدور الأمصار، ويحلُّ عُرى الإسلام عُروةً بعد عُروة[٣].

إن حلَّ عُرى الإسلام عروة بعد عروة هو هدف رئيسي من أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلام. وقد عرفنا من وسائل الإعلام أن هناك خطة موضوعة لحلّ عرى الإسلام. ومن أركان هذه الخطة تغيير مناهج التربية والتعليم في بلاد المسلمين، بما يتوافق مع مناهج التفكير الغربي، وتعطيل أبواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة كل أثر في التراث الإسلامي يعادي اليهود، تحت اسم (الحرب علىٰ معاداة الساميّة)، وتعطيل أحكام الإسلام في بناء الأسرة والمجتمع، وفي جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وإقامة

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ٨٢ .

(٢) الغَيْبة، للطوسي: ٢٧٨ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨ .

دين يحمل اسم الإسلام، ولكن ليس له أثر في حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، دين يتعبّد به الإنسان بينه وبين ربّه فقط.

٦ ـ يقتل أهل العلم[١].

وقد قُتِل أكثر من مائة وخمسين عالماً عراقياً منذ احتلال الولايات المتحدة الأمريكية العراق إلى تاريخ كتابة هذا البحث. وكلهم علماء متخصصون، متميّزون في تخصصاتهم العلمية في الهندسة والفيزياء والكيمياء والطب، والعلوم الأخرى. هذا فضلاً عن قتل علماء الدين وطلاب العلوم الدينية في العراق.

٧ ـ يحرق المصاحف، ويخرّب المساجد[٢].

يشاهد العالم علىٰ شاشات الفضائيات كلّ يوم ما تتعرّض له المساجد والأضرحة ودور العبادة في العراق من قصف وتدمير تقوم به قوات الولايات المتحدة. ويشاهدون نسخ المصاحف المحروقة والممزقة، والمساجد المهدّمة، والأضرحة المقصوفة.

٨ ـ ويستبيح الحرام[٣].

قتل النفس المحترمة حرام، وإهانة المؤمن بتعريته، أو تعذيبه حرام، والفجور بالنساء والرجال حرام، وإحراق المصاحف وتمزيقها حرام، وتهديم المساجد حرام. كلّ هذه الحرمات قد انتهكتها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق.

٩ ـ ويأمر بضرب المطامير، والملاهي في الأسواق[٤].

المطامير: السجون. أي أن السفياني يأمر ببناء السجون، ويأمر أيضاً ببناء دور اللهو في الأسواق والأماكن العامة. أما بناء السجون فلأن معارضيه

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩
(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩
(٣) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩
(٤) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩ .

كثيرون لا تستوعبهم السجون الموجودة، فيأمر ببناء سجون جديدة. وأما بناؤه دور اللهو فلأجل إفساد أخلاق المسلمين، وصرف أذهانهم عن التفكير فيما يحصل لدينهم وبلادهم.

١٠ ـ ويأمر بالشرب على قوارع الطريق، ويحلل الفواحش، ويحرّم كل ما فرض الله تعالى من الفرائض[١].

وهذان الأمران في (٩، و١٠) ستقوم الولايات المتحدة بتنفيذهما حين تتمكن من العراق، وتقضي على كل مقاومة فيه.

١١ ـ لا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يزداد تمرّداً وعتوّاً[٢].

على الرغم من صيحات منظمات حقوق الإنسان في العالم التي تتعالى يوماً بعد يوم لمطالبة الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل بالكفّ عن الظلم وانتهاك حقوق الإنسان في العراق وأفغانستان وفلسطين، فإن الولايات المتحدة وإسرائيل ماضيتان في ممارسة الظلم وانتهاك حقوق الإنسان في تلك البلدان، دون أن يردعهم في ذلك رادع، بل يزدادون تمرداً وعتواً.

١٢ ـ ويأخذ المرأة ويدفعها إلى بعض أصحابه فيقول: افجر بها في وسط الطريق، فلا يقدر أحد أن يُغيِّر ذلك[٣]. ولا يُسْتبعَد حدوث ذلك حين تتمكن الولايات المتحدة من العراق.

١٣ ـ ويقتل كل مَن اسمه أحمد ومحمد وعلي وجعفر وحمزة وحسن وحسين[٤]. أي أنه لا يفرّق بين السنّي والشيعي في القتل، فكل أهل الإسلام من جميع المذاهب مستهدفون بالقتل.

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩ .

(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩ .

(٣) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩ .

(٤) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩ .

١٤ ـ ذكر سفر الرؤيا من العهد الجديد أن الوحش الذي يرمز إلى الإمبراطورية الأمريكية الجديدة، التي تتجسّد فيها إمبراطورية روما الغابرة، سيجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تُصنع لهم سِمة علىٰ يدهم اليمنى، أو علىٰ جباههم، وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا مَنْ له السِّمَة، أو اسم الوحش أو عدد اسمه[١].

إن الولايات المتحدة الأمريكية ستسيطر علىٰ العالم بعد أن تسيطر علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي. ومن أجل أن تُحكم سيطرتها علىٰ العالم فإنها ستبتكر بطاقات هوية إلكترونية لكلِّ شخصٍ، تحمل رقماً سرّياً أو شفرة خاصة، وتحمل هذه البطاقة كل التفاصيل عن شخصية حاملها، وتاريخ حياته، منذ ولادته إلى اللحظة التي يحمل فيها تلك البطاقة.

وتستطيع الجهات المختصة معرفة تلك التفاصيل إذا وُضِعتْ تلك البطاقة في جهاز مرتبط بجهاز الحاسب الآلي المركزي الذي تقيمه الولايات المتحدة في إمبراطوريتها الجديدة. وبواسطة هذه البطاقة تتمُّ كل التعاملات التجارية من بيع أو شراء أو غير ذلك، وكل التعاملات المصرفية في البنوك والمصارف الدولية من سحب أو إيداع للأموال أو غير ذلك، وكل التنقلات من مكان إلى آخر كالسفر بالطائرات أو الإقامة في الفنادق أو غير ذلك. وبهذا النظام لا يستطيع أحد في أي مكان في العالم أن يبيع أو يشتري أو يجري المعاملات المصرفية أو يسافر من مكان إلى آخر في العالم إلا عن طريق هذا النظام. وبذلك تسيطر الولايات المتحدة علىٰ العالم، فيسجد الناس في كل مكان بالخضوع لهذا النظام الذي تقيمه الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) العهد الجديد، الرؤيا: ١٣: ١٦ ـ ١٨ .

الفصل الثالث
حركة السُفياني إلى العراق

حين درستُ الروايات التي تحدّثت عن حركة السفياني وجدتها روايات متداخلة، ليس فيها الترتيب الزمني للأحداث. وبعد دراستي تلك الروايات خرجتُ بنتيجة هي أنه لا يجوز تجاهلها أو رفضها، لأن أكثرها روايات معتبرة السند، وإن كان بعضها ضعيفاً. وعرفتُ أن ما حصل فيها من اضطراب في ترتيب أحداث حركة السفياني، وظهور الإمام المهدي راجع إلى أحد احتمالين :

الأول: أن الراوي أو المؤلف ينقل أكثر من رواية واحدة في الأحداث التي تقع في المستقبل من مصدر واحد في سياق واحد، فيبدو السياق للقارئ وكأنه رواية واحدة.

الثاني: أن الراوي أو المؤلف ينقل أحداثاً أُخبِرَ عنها أنها ستقع في المستقبل، وهو لا يعرف أيّ هذه الأحداث يقع أولاً، وأيّها يقع لاحقًا، فيقدم بعضها على بعض.

ومثال الاحتمال الأول الرواية التي أخرجها في عقد الدرر، بسند عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال : . . . وينادي منادٍ من السماء. ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق. ويخسف بقرية من قرى الشام تُسمّى الجابية. ويسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن. ومارقة تمرق من الترك، ويعقبها هرْج الروم. وينزل الترك الجزيرة. وينزل الروم الرملة. وتختلف في الشام ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني

ومَنْ معه... ، ثم لا يكون له همّة إلا القتل نحو العراق. وتمرّ جيوشه بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتل من الجبارين مائة ألف. ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة... [1]

إن الباحث حين يدرس الأحداث التي أخبرت عن وقوعها هذه الرواية يخلص إلى نتيجة أن المؤلف (صاحب كتاب عقد الدرر) قد نقل أكثر من رواية واحدة عن جابر عن الإمام الباقرعليه السلام فيما يقع من أحداث قبل ظهور الإمام المهدي، وساقها جميعاً في سياق واحد فبدت للقارئ وكأنها رواية واحدة. أو أن الراوي (جابر بن يزيد الجعفي) روى عن الإمام الباقر أحداثاً تقع قبل ظهور الإمام المهدي، وقالها الإمام الباقر في مناسبات مختلفة، فساقها في رواية واحدة عن الباقرعليه السلام، فيظنّ القارئ أنها أحداث متسلسلة زمنياً، أي أن المذكور منها أولاً هو الذي يقع أولاً، ثم تتبعه الأحداث حدثاً بعد حدث، كما ذُكِرت في الرواية. والحقيقة ليس كذلك بدليل أن النداء السماوي قد ذُكِرَ أولاً، وهو متأخر في الوقوع بحسب الروايات الأخرى.

ومثال الاحتمال الثاني ما أخرجه في (القول المختصر) من الأمور التي تقع قبل ظهور المهدي، كما ذكرها الصحابة عن النبي محمدصلى الله عليه وآله، فقال: فيما جاء عن الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين: **الأولى**: تكون فتنة تحصد الناس حصداً... **الثانية**: لا يخرج المهدي حتى تُقتل النفس الزكية... **الثالثة**: لا يخرج المهدي حتى يكون قبله فتنة يُستحَلُّ فيها المحارم كلها... **الرابعة**: علامة خروجه أن يُخْسَفَ بالجيش في البيداء...وقد أوصل هذه الأمور إلى خمسة وثلاثين أمراً[2].

إن المؤلف ساق هذه الأمور كما رواها الصحابة عن النبيصلى الله عليه وآله، دون

---

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد: ٢٥٥، والمهدي الموعود المنتظر: ٩٦، نقلاً عن عقد الدرر.

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢٥٣ ـ ٢٦٨ .

اعتبار ترتيبها الزمني في الحدوث، فقدّم بعضها علىٰ بعض. وقد يكون الصحابة رووا عن النبيﷺ ما قاله في الأحداث التي تقع آخر الزمان وقبل ظهور المهدي في مناسبات مختلفة. فلا يظنّ القارئ أن المذكور أولاً منها هو الذي يقع أولاً.

وبناءً علىٰ النتيجة التي خلصتُ إليها رأيتُ أن أتعامل مع الروايات التي ذكرت أحداث السفياني وظهور الإمام المهدي علىٰ أساس الاحتمالين السابقين، فقدمتُ من الأحداث ما ينطبق علىٰ ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية من أحداث عسكرية وسياسية في عصرنا الحاضر، باعتبار أنها هي السفياني الذي ذكرته الأحاديث الإسلامية. وقد جاءت الأحداث علىٰ النحو التالي:

السُفياني يتوجّه بجيوشه إلى العراق

ذكرنا فيما سبق أن الولايات المتحدة الأمريكية وجدت في العراق الطريق الوحيد الذي يحقق حلمها في إقامة إمبراطوريتها الجديدة، لأن النصوص الدينية في التوراة والإنجيل أكّدت علىٰ أن العراق سيكون مركز الأحداث في العالم، وأنه سيقود شعوب الشرق الأوسط لتدمير إسرائيل، ولذلك كانت الخطوة الأولى من خطتها في المرحلة الأولى والثانية هي العراق. ففي المرحلة الأولى كانت الخطوة الأولى هي اتخاذ العراق طريقاً للمجيء بجيوشها إلى بلاد المسلمين في المنطقة العربية عامة والخليج العربي خاصة. وفي المرحلة الثانية كانت الخطوة الأولى هي احتلال العراق، ثم الانطلاق منه للسيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي. وقد تمت هذه الخطوة في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣ .وهذه بعض الروايات التي ذكرت توجه السفياني إلى العراق :

١ ـ أخرج النعماني في الغَيْبة بسند مطوّل ينتهي إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام محمد الباقرعليه السلام، أنه قال : . . . وستُقبل مارقة الروم

حتى ينزلوا الرملة. فتلك السنة يا جابر قبلها اختلاف كثير في كلّ الأرض من ناحية المغرب. فأول أرض المغرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك علىٰ ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني. فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون، ويقتله السفياني، ويقتل الأصهب، ثمَّ لا يكون له هِمَّةٌ إلا الإقبال نحو العراق...[1]

٢ ـ وأخرج الحديث في عقد الدرر بسنده إلى جابر، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، مع اختلاف قليل: ... وينزل الروم الرملة، فتلك السنة يا جابر قبلها اختلاف كثير في كلّ الأرض. وتختلف في الشام ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني ومَنْ معه، ثم يقتل الأصهب. ثم لا يكون له همٌّ إلا القتل نحو العراق...[2]

٣ ـ وأخرج في كنز العمال بسنده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: إذا ظهر السفياني علىٰ الأبقع، وعلى المنصور، والكندي، والترك، والروم، خرج وسار إلى العراق[3].

إن الروايات الثلاث السابقة تشترك في التأكيد علىٰ أن السفياني يخرج بجيوشه، ويأتي إلى العراق. وفي الرواية رقم(١) وردت عبارة (مارقة الروم)، وقد ذكرنا في الباب الأول من هذا الكتاب أن مارقة الروم هي (أمريكا). وذكرت هذه الرواية أنه قبل السنة التي تقبل فيها مارقة الروم يكون اختلاف كثير في كل أرض من جهة الغرب، أي أن الغرب الذي يشمل أوربا وأمريكا وروسيا يحصل بين أطرافه الرئيسة اختلاف كثير في الأمور السياسية والاقتصادية والعسكرية. ثم وردت في الرواية العبارة (فأول أرض المغرب أرض الشام)، وقد ذكرنا أن المقصود بالشام في روايات ظهور السفياني

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٣٧ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٦ .

(٣) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٠، نقلاً عن كنز العمال: ٢ ـ ٦٨ .

وخروجه هي الجهة الغربية الشمالية من الأرض التي تشمل أوربا وأمريكا. وبناءً علىٰ هذا المعنى فإن أول أرض من ناحية الغرب يحدث فيها الاختلاف المذكور هي أوربا وأمريكا.

وقد اشتركت الرواية (١) و (٢) في أن (الشام) تختلف علىٰ ثلاث رايات: راية الأصهب وراية الأبقع، وراية السفياني ومَنْ معه. وإذا كان المقصود بالشام الجهة الغربية الشمالية من الأرض التي تشمل أوربا وأمريكا، فإن هذه الجهة ستختلف علىٰ ثلاث قيادات سياسية، أو ثلاث كيانات سياسية، فالرايات ترمز إلى القيادات السياسية أو الكيانات السياسية. وقد يرمز الأبقع إلى الاتحاد السوفيتي. يقال: بَقِعَ الجلد: خالط لونه لونًا آخر، فهو أبقع[١]. فالكيان السياسي الأبقع هو الكيان الذي خالط أصلَ دولته دولةٌ أو دولٌ أخرى.

والاتحاد السوفيتي خالط دولته الأصلية دولٌ أخرى في آسيا وأوربا. وقد يرمز الأصهب[٢] إلى الاتحاد الأوربي. يقال: صَهِبَ وصَهُبَ: كان أصفر ضارباً إلى حمرة وبياض. وهذا هو لون الأوربيين الأصليين. أما السفياني فقد تقدّم أنه يرمز إلى إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الروايتين (١) و (٢) تشيران إلى اختلاف بين هذه الكيانات السياسية الثلاث، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية، تخوض حرباً سياسية واقتصادية مع هذه الكيانات، فتصيب منها مقتلاً سياسياً أو اقتصادياً، وقد استُعمِلَ لفظ (القتل) في الروايتين رمزاً لهذا المعنى. وبناءً علىٰ هذا التفسير فقد تمكنت الولايات المتحدة أنْ تصيب الاتحاد السوفيتي مقتلاً سياسياً في زمن زعامة جورباتشوف، ونتج عن ذلك انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفكّكه، وانفصال الدول التي كان يتألف منها عن الحكومة المركزية، وتحوّل بعضها إلى

---

(١) المعجم الوسيط: (بقع).

(٢) المعجم الوسيط: (صهب).

الاتحاد الأوربي، وانضمّ بعضها إلى الحلف الأطلسي. وتمكنت الولايات المتحدة من أنْ تنتزع من الاتحاد الأوربي زمام قيادة العالم، وتنفرد بذلك لنفسها، وأن تجعل الدول الأوربية تسير وراء السياسة الأمريكية في التصدّي للأزمات السياسية التي تفتعلها. وتمكنت من أن تجعل أوربا محتاجة إليها اقتصادياً، عن طريق إلزامها بجملة من القوانين الاقتصادية، وتحكمها في موارد النفط إلى أوربا.

وتشير الروايتان السابقتان إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تتمكّن من الاتحاد السوفيتي والاتحاد الأوربي تخرج إلى بلاد المسلمين في منطقة الشرق الأوسط وتتخّذ العراق طريقاً لتحقيق ذلك، فلا يكون لها همٌّ أو هِمَّةٌ إلا الإقبال إلى العراق. وهذا ما تمّ بالفعل.

أما الرواية رقم (٣) فإنها تذكر أن السفياني بعد أن يظهر علىٰ الأبقع، والمنصور، والكندي، والترك، والروم، يخرج ويسير إلى العراق. وكما ذكرنا قبل قليل أن هذه الأسماء هي رموز إلى كيانات أو قيادات سياسية. وقد ذكرتُ أن الأبقع قد يرمز إلى الاتحاد السوفيتي وهو الراجح. أما الترك فإنه قد يرمز إلى طالبان التي حكمت أفغانستان، لأن أفغانستان تمثل بلاد الترك. أما الروم فإنها قد ترمز إلى الاتحاد الأوربي، لأن دول الاتحاد الأوربي الحالية هي التي كانت تكوّن إمبراطورية الروم قديماً. أما المنصور والكندي فلم أعرف إلى مَنْ يرمزان، ولعلّ المنصور يرمز إلى قوة مجلس الأمن، فإنه منصور بالدول التي تشارك الولايات المتحدة الأمريكية في تشكيل قوّته. إنَّ الولايات المتحدة بعد انتصارها الساحق علىٰ العراق في حرب الخليج الثانية استطاعت أنْ تُحكم سيطرتها علىٰ مصادر الطاقة التي تحتاجها تلك الدول التي تُشكّل قوة مجلس الأمن، وبذلك تمكنت الولايات المتحدة من إضعاف قوة مجلس الأمن، وشلّت قدرته علىٰ الوقوف بوجه قوّة الولايات المتحدة، لأنَّ دول المجلس صارت تنظر إلى مدى الضرر الذي يلحق بمصالحها فيما

لو وقفت بوجه الولايات المتحدة. ويُعَدُّ هذا ظهوراً وانتصاراً للولايات المتحدة علىٰ قوّة مجلس الأمن. ولعلّ الكندي يرمز إلى قيادة صدام حسين، لأن قبيلة كِنْدَة كانت ديارها في العراق، وتدخل مدينة تكريت العراقية التي هي مسقط رأس صدام ضمن ديار قبيلة كندة. وقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتغلّب علىٰ العراق بقيادة صدام، بعد غزوه الكويت. وبناءً علىٰ هذا التفسير فأن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تتغلّب علىٰ هؤلاء جميعاً، تخرج وتسير إلى العراق، لتتخذه طريقاً للسيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي.

السُّفياني يدخل البصرة باتجاه بغداد وبقيّة مدن العراق

ذكرت بعض الروايات خط سير السفياني ابتداءً من دخوله العراق، فذكرت أن أول مدينة في العراق يحلُّ بها الشرُّ والعذاب هي مدينة البصرة، ثم واسط، ثم بغداد، ثم الكوفة، كما في الروايات التالية :

١ ـ أورد المجلسي في بحار الأنوار رواية نقلها من كتاب (كشف اليقين)، ووصف النسخة التي نقل منها بأنها سقيمة، أي فيها طمس وعدم وضوح في الخط بسبب قدمها، قال مؤلف الكتاب: وجدتُ بخطّ المحدث الأخباريّ محمد بن المشهدي، عن محمد بن القاسم، عن أحمد بن محمد، عن مشايخه، عن سليمان الأعمش، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثني أنس بن مالك، وكان خادم رسول الله ﷺ، قال: لمّا رجع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من قتال أهل النهروان نزل بُراثا، وكان بها راهب في قلايته، وكان اسمه الحباب... ثم ذكر ما جرى بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين الحباب من حديث، أخبره فيه الإمام علي عليه السلام ببناء مدينة بغداد إلى جانب مسجد براثا، وأن الله تعالىٰ سيسلّط علىٰ هذه المدينة رجلاً من الناس الذين يستحلُّون الزنى من أهل السفاح ، يجري الشرُّ في دمائه، وذكر خطّ سير هذا الرجل الذي يدخل بغداد، فقال: ثم يدخل

البصرة، فلا يدع فيها قائمة إلاّ سخطها وأهلكها، وأسخط أهلها، وذلك إذا عُمرت الخربة، وبُنيَ فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك البصرة. ثمّ يدخل مدينة بناها الحجاج، يقال لها: واسط، فيفعل مثل ذلك، ثمّ يتوجه نحو بغداد، فيدخلها عفواً، ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة.....[1]. ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة، فلا يدعون أحداً إلا قتلوه... [2]

إن هذه الرواية تُخبر عمّا يجري علىٰ أهل العراق من أحداث، فأخبرت عن بناء مدينة بغداد، وأخبرت عن رجلٍ من الناس الذين يستحلّون الزنى، وهذا الرجل يدخل العراق من البصرة، في الزمن الذي تُعمَّر فيه البصرة (وذلك إذا عُمرت الخربة)، والخِربة: اسم من أسماء البصرة، ويُبنى فيها المسجد الجامع. وأخبرت عما يفعله الرجل بالبصرة، فإنه لا يترك شيئاً فيها إلا غضب عليه ودمّره، وأغضب أهلها، فتخرّب البصرة بسبب ذلك. وأخبرت أنه يدخل مدينة واسط (الكوت) بعد البصرة، فيدمرها كما فعل بالبصرة. وأخبرت أنه يتوجّه نحو بغداد بعد ذلك، فيدخلها من غير قتال. وأخبرت أن جيش السفياني يدخل بعد ذلك الكوفة، وأن هذا الجيش ينشر القتل والدمار بين أهلها، فلا يدعون أحداً إلا قتلوه.

ولا يمكن صرف الأحداث التي أخبرت هذه الرواية عن وقوعها في العراق إلا علىٰ أحداث آخر الزمن الذي يظهر فيه السفياني، بدليل أن الإمام عليًّا عليه السلام بعد أن ذكر دخول الرجل البصرة، ثم واسط، ثم بغداد، قال: ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة. ونستدلّ بذلك علىٰ أن ذلك الرجل الذي يكون من الناس الذين يستحلون الزنى هو السفياني، الذي يتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها في هذا الوقت بوش الابن. وهذا ما ينطبق علىٰ الجيش الأمريكي الذي بدأ الزحف علىٰ العراق في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣، فإنه دخل

---

(١) مكان النقط كلام غير واضح.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢١٧ .

البصرة وهي أول مدينة من مدن العراق احتلها الجيش الأمريكي بمساندة الجيش البريطاني، ثم زحف بعد ذلك إلى مدينة واسط (الكوت)، ومنها زحف إلى بغداد فاحتلها من غير قتال، ثم دخل إلى الكوفة، ونشر جيوشه في محيطها.

٢ ـ ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام البصرة في عدة خُطب جُمِعت في نهج البلاغة، ومن هذه الخطب الخطبة التي قال فيها: فِتَنٌ كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة ولا تُرَدُّ لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها، ويُجهدها راكبها. أهلُها قومٌ شديدٌ كَلَبُهم، قليلٌ سَلَبُهم. يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلّة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون. فويلٌ لك يا بصرةُ عند ذلك من جيش من نِقَم الله، لا رهج له ولا حسَّ، وسيُبتلى أهلُكِ بالموت الأحمر والجوع الأغبر[١].

وقال في خطبة أخرى: يا أحنف، كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غُبار ولا لَجَبٌ، ولا قَعْقَعَةُ لُجُم، ولا حمحمة خيل. يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام.... ويلٌ لِسِكَكِكُم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يُنْدَبُ قتيلُهم، ولا يُفْتَقَدُ غائبهم[٢].

وإذا حلَّلنا الخطبة الأولى نجد أن الإمام عليًا عليه السلام ذكر الفتن القادمة على أهل العراق بأنها كقطع الليل المظلم، لكثرتها وقوتها. ومن معاني الفتنة العذاب والحرب والخوف والاضطراب، ويجوز أن تُستعمل بمعنى الجيوش التي تحمل العذاب والخوف والاضطراب للناس. ووصف هذه الفتن بأنها لا تقوم لها قائمة، أي: لا يتمكّن أحد من القيام بصدّها، والوقوف بوجهها، وأنها تمضي منتصرة، لا تُردُّ لها راية، ولا يستطيع أحد أن يتغلَّب عليها.

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٢) المصدر السابق: ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

وقوله: تأتيكم مزمومة... أي أنّها تأتيكم يقودها ويُعِدُّ لوازمها أقوام زحفوا بها عليكم، يُحفِّزونها أي يحثونها، ليقرّوا بها في دياركم، وفيكم يحطون رحالهم. ثم وصف هؤلاء الأقوام بأنهم قوم شديد كَلَبُهم ، أي يقتلون ويهلكون كل شيء يصادفونه، كالكلب المسعور الذي به داء الكَلَب. قليل سَلَبُهم ، أي أن هدفهم القتل، وليس السلب، فلا يسلبون المقتول إلا نادراً. ووصف الجيش الذي يدخل البصرة بأنه لا رهجَ له ولا حَسَّ أي لا غُبار يثيره، كما تفعل الخيل. (الرهج: الغبار)، ولا قَطْعَ يفعله برؤوس أعدائه، كما تفعل الجيوش التي تقاتل بالسيوف. (الحَسُّ: قطع الرؤوس، أو الاستئصال).

وقد قال جماعة من شارحي خطب نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليه السلام يشير بهذه الخطبة إلى فتنة صاحب الزنج في البصرة. وواضحٌ من تحليل هذه الخطبة أن أمير المؤمنين يتحدث عن جيش غير جيش صاحب الزنج الذي كانت فتنته في القرن الثالث الهجري، فإن الجيش الذي يتحدث عنه جيش يمضي منتصراً، لا تُرَدُّ له راية، وأن هدفه القتل فحسب لا السلب. والمعروف أن أتباع صاحب الزنج كان هدفهم السلب، لفقرهم. والجيش الذي وصفه أمير المؤمنين لا ينطبق إلا علىٰ الجيوش العصرية التي تستخدم الطائرات والصواريخ البعيدة المدى، والعربات التي تسير علىٰ الطرق المعبدة ولا تثير غباراً، وتستعمل الأسلحة المتطورة التي لا تقتل كما يقتل السيف بالقطع. إن أمير المؤمنين يخبر عن جيش يدخل البصرة له مواصفات الجيوش العصرية المتطورة، كالجيش الأمريكي. وأضف إلى ذلك كله أن أمير المؤمنين عليه السلام وصف الذين يجاهدون ذلك الجيش الزاحف إلى العراق، ليحطَّ رحاله فيه بأنهم قوم أذلّة عند المتكبرين. في الأرض مجهولون ، أي: يحسبهم المتكبرون أذلَّةً، وهم مجهولون في الأرض، لأنهم من الطبقة الفقيرة التي لا يقيم الناس لها وزناً. وأنهم في السماء معروفون ، لأن أهل السماء

يعرفون قدر هؤلاء، بسبب إيمانهم، وزهدهم في الدنيا، وجهادهم في سبيل الله. ولا يمكن أن يصف أمير المؤمنين عليه السلام الذين يقاتلون صاحب الزنج بهذه الصفات، لأن المعروف أن الذي قاتل صاحب الزنج هم جيش المعتمد العباسي.

أما الخطبة الثانية فإن أمير المؤمنين يخبر عن قائد سياسي وعسكري يسير بجيشه نحو العراق، ويدخل مدينة البصرة. ثم يصف ذلك الجيش بأنه جيش لا يثير غباراً في حركته، ولا لَجَب فيه، أي: لا صهيلَ في خيله، وليس لفرسانه أصوات وصياحٌ عند النزال (اللَّجَب هو صهيل خيل الفرسان، وأصوات الفرسان عند النزال) ولا قَعْقَعة لُجُم أي: لا يُسمعُ في هذا الجيش أصوات اضطراب اللُّجُم بين أسنان الخيل (اللُّجُم: جمع لجام. وقعقعتها: ما يُسمع من صوت اضطرابها في أسنان الخيل)، ولا حَمْحَمَةَ خيل ، أي: ليس لخيله أصوات حين تأكل الشعير، أي أن خيله لا تأكل (حمحم الفرس: أي صاح صوتاً ليس بالعالي حين يأكل). ثم وصف ذلك الجيش بأنهم يثيرون الأرض بأقدامهم، كأنها أقدام النعام أي يهيِّجون الأرض وينشرونها بأقدامهم التي تُشبه أقدام النعام، كناية عن الآليات التي يركبونها في حركتهم وتنقلاتهم. ثم حذَّر أهل البصرة من هؤلاء الذين لا يُنْدَبُ قتيلهم، ولا يُفتَقَدُ غائبهم، أي أن القتيل منهم لا تقوم عليه النساء بإظهار الحزن وتعداد محاسنه، كما يفعل العرب في الميّت أو القتيل منهم، وأن الغائب من هؤلاء لا يُعلنُ عن فقدانه.

وقد قال بعض شارحي نهج البلاغة إن الإمام عليًا يشير بهذه الخطبة إلى صاحب الزنج وجيشه. إن صفات ذلك الجيش الذي أخبر عنه الإمام عليّ لا تنطبق إلا على الجيوش العصرية، لأن خيل ذلك الجيش لا صهيلَ لها، ولا يصوّتُ أفراده عند النزال، لأنهم لا ينازلون أقرانهم كما كانت الفرسان تفعل في العصور القديمة، بل يقاتلون أقرانهم من بعيد كما تفعل

الجيوش العصرية التي تستعمل التكنولوجيا والأسلحة المتطورة، ولأن خيله ليس لها لُجُم، ولا تأكل الشعير أو الطعام، وليس لها أصوات عند الأكل، لأنها ليست بخيلٍ حقيقية، بل هي آليات ومركبات تحمل الفرسان.

إن الإمام عليًا عليه السلام يخبر عن الأحداث التي تكون في آخر الزمان قبل ظهور الإمام المهدي، وإنّ وَصْفَ الجيش الذي يدخل العراق عن طريق البصرة ينطبق علىٰ جيش الولايات المتحدة الأمريكية الذي دخل البصرة وفعل بها وبأهلها ما فعل في رئاسة بوش الابن، ثم توجه منها لاحتلال بقية مدن العراق.

السُّفياني يدخل بغداد

أشارت الروايات التي تحدثت عن السفياني أنه يدخل بغداد بعد البصرة، وينشر فيها الدمار والقتل. ومن هذه الروايات :

١ ـ أخرج في عقد الدرر، بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: واللهِ لو تعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله منه (أي السُّفياني)... فيقتلون بالزوراء سبعين ألفاً، ويبقرون ثلاثمائة امرأة[١].

إن الإمام أمير المؤمنين يشير في كلامه إلى ما يريده السفياني بالمسلمين من أمر خطير يبدأ بالقتل وسفك الدماء ثُمَّ حلِّ عُرى الإسلام وهتك الحرمات، وإفساد أخلاق المسلمين يدلُّ علىٰ ذلك قوله: والله لو تعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله منه. وقد عرفنا فيما سبق أن الولايات المتحدة الأمريكية احتلّت العراق باعتباره الخطوة الأولى للسيطرة علىٰ بلاد المسلمين، ثم تنفيذ مخططها الشيطاني الهادف إلى تطويع المسلمين لسياساتها، ثمَّ فكّ عُرى الإسلام. وكانت الزوراء (بغداد) قد سقطت بيد جيوش الولايات المتحدة الأمريكية في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣. ويذكر الحديث أن السفياني يقتل في بغداد سبعين ألفاً كناية عن كثرة القتل الذي يصيب الناس في هذه المدينة، وأن جيشه يبقرون ٣٠٠ امرأة. وقد قُتِل من العراقيين في بغداد أثناء الهجوم عليها ما يقرب من هذا العدد، وحلَّ بها الدمار والشرّ والعذاب، وقُتِلت فيها النساء. وقد أخرجت لنا الفضائيات علىٰ شاشات التلفاز مشاهد من النساء، وقد انشقت بطونهنّ بشظايا القنابل والصواريخ المدمرة التي انصبّت علىٰ بغداد كالمطر.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨ .

٢ ـ أخرج السيوطي في العرف الوردي، قال: أخرج أبو عمرو الداني، عن حُذيفة، قال :

قال رسول الله ﷺ: «**تكون وقعة بالزوراء**». قالوا: يا رسول الله، وما الزوراء؟ قال: «**مدينة بالمشرق بين أنهار**...» [١]

٣ ـ أخرج ابن طاوس في الملاحم والفتن، بسنده عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ، قال: بينما أنا وأبو عبيدة وسلمان جلوس ننتظر رسول الله ﷺ، إذْ خرج علينا في الهجير مرعوباً، متغيّر اللون، فذكر الفتن، ثم قال: تدخل مدينة الزوراء، فكم من قتيل وقتيلة، ومال منتهب وفرج مستحل. رحم الله مَنْ آوى نساء بني هاشم يومئذٍ، وهنّ حرمي[٢].

الروايتان الثانية والثالثة تخبران عمّا يحل ببغداد من الفتن التي تكون قبل ظهور المهدي، لأنهما ذُكرتا تحت باب (بعض ما يقع قبل ظهور المهدي). وأعظم فتنة تحلّ ببغداد قبل ظهور المهدي هي فتنة السفياني الذي يدخلها، فيشيع فيها القتل والدمار والخراب. وقول رسول الله ﷺ: فكم من قتيل وقتيلة دليل علىٰ كثرة القتل من الرجال والنساء. وقوله: ومال منتهب يدلُّ علىٰ كثرة الأموال التي ينهبها ويسرقها السُّفياني من ثروة العراق وأموال أفراد شعبه. وقوله: وفرج مستحل يدلُّ علىٰ كثرة اغتصاب النساء العراقيات من قبل جيش السفياني. وقد حصلت كل هذه الأمور علىٰ يد جيوش الولايات المتحدة الأمريكية بعد احتلال بغداد، فقد استبيح العِرض العراقي في سجون الاحتلال، كما كشفت عن ذلك بعض وسائل الإعلام الأجنبية، واستبيح المال العراقي، كما شاهدنا علىٰ شاشات الفضائيات من شهادات العراقيين الذين نهب جنود الاحتلال أموالهم أثناء مداهمات بيوتهم وتفتيشها.

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ٣٢٩، نقلاً عن العرف الوردي: ٢ ـ ٨١ .

(٢) الملاحم والفتن: ١١٤، والمهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٣١٣ .

٤ ـ أخرج في بحار الأنوار بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ألا أيها الناس سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقية، وتطأ في خطامها بعد موتها وحياتها، وتشبّ نار بالحطب الجزل غربيّ الأرض، رافعة ذيلها، تدعو يا ويلها، بذحلة أو مثلها. فإذا استدار الفلك، قلتم: مات أو هلك، بأي وادٍ سلك؟ فيومئذٍ تأويل هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[1] ولذلك آيات وعلامات... (ثم ذكر من العلامات) خروج السفياني براية حمراء، وصليب من ذهب، أميرها رجل من كلب.... ويبعث السفياني ١٣٠٠٠٠ (مائة وثلاثين ألفاً) إلى الكوفة، فينزلون بالروحاء، والفاروث... [2]

قوله: تشغر برجلها فتنة شرقية أي: تتوسَّع فتنة بناحية الشرق، يقصد بها فتنة طالبان والقاعدة في أفغانستان وباكستان. وقوله: وتطأ في خطامها بعد موت وحياة أي: تتخبّط بغير هدى أو دليل يقودها، وتبعث إلى الحياة بعد أن كانت ميّتة. وقوله: وتشبّ نار في الحطب الجزل غربيّ الأرض أي: وتشبّ نار الفتنة في الحطب العظيم اليابس المستعد للاشتعال غربي الأرض، يقصد أن الفتنة الشرقية تسبب اشتعال الفتنة العظيمة القابلة للاشتعال في الغرب (أمريكا وأوربا). وقوله: رافعة ذيلها، تدعو يا ويلها، بذحلة أو مثلها أي: أن الفتنة التي تشتعل في الغرب ترفع شعار الحرب (على الإرهابيين)، وتصيح: يا ويل (إمّا للتفجُّع مما لحق بالغرب بسبب الفتنة الشرقية، أو للدعاء على ما يُسمَّى بالإرهابيين بالشرّ والعذاب)، لأجل إطفاء نيران الأحقاد والثأر التي تستعر في صدور الذين ينفخون في نار الفتنة في الغرب. (الذحل والذحلة: الحقد، والثأر). وقوله: فإذا استدار الفلك استدارة الفلك تعني ظهور الخلافات والانشقاقات بين شيعة أهل البيت بسبب الفتنة الشرقية

---

(١) سورة الأسراء: الآية ٦ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

والغربية. وقوله: قلتم: مات أو هلك، بأيّ وادٍ سلك؟ أي: حين تظهر الخلافات والانشقاقات بين شيعة أهل البيت تقولون في المهدي: لابدَّ أنه قد مات أو هلك، ولا ندري في أي وادٍ ذهب فمات فيه، لأنه لو كان موجوداً لرأيناه، أو لعلمنا بوجوده! وقوله: فيومئذٍ تأويل هذه الآية : . . . . . أي: فيومئذٍ يتحقق ويظهر معنى هذه الآية. والآية المذكورة من سورة الإسراء، نزلت في بني إسرائيل، وتأويلها: أن الله تعالىٰ أخبر أن بني إسرائيل سيفسدون في الأرض الواقعة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى مرّتين، الأولى ستكون في أرض مهجر رسول الله ﷺ، وهي المدينة المنورة. فإذا جاء وعْدُ إفسادهم في المرة الأولى سلَّط الله عليهم عباده المسلمين في المدينة المنورة، فيستولون علىٰ ديارهم، ويقتلون مقاتلتهم، ويخرجون مَنْ بقي منهم من جزيرة العرب. وبعد مدة من الزمن يدلُّ عليها الحرف (ثم) الذي يفيد التراخي والامتداد في الوقت بين حدوث المعطوف والمعطوف عليه، بعد تلك المدة الزمنية يردُّ الله تعالىٰ لبني إسرائيل الغلَبَة والدولة في أرض مسرى رسول الله ﷺ، وهي أرض فلسطين التي فيها المسجد الأقصى ويمدّهم بالأموال والرجال، ويجعلهم أكثر أنصاراً في الأرض. وهو الأمر الذي يدفعهم إلى إحداث الإفساد في المرة الثانية في أرض المسجد الأقصى.

إن أمير المؤمنين عليه السلام يخبر أنه حين تحدث الفتنة الشرقية وتتوسع، وتتسبَّب في إشعال الفتنة الغربية، وحين تحدث الاختلافات والتناحر بين شيعة أهل البيت، في ذلك الوقت يتحقق تأويل الآية: ثمّ رددنا لكم الكرة عليهم. . . . ، أي في ذلك الوقت يكون لبني إسرائيل الغلبة علىٰ المسلمين، وتكون لهم الدولة التي يسعون إلى بسطها من الفرات إلى النيل. ولهذا علامات منها: خروج السفياني براية حمراء (رمز للقتل وسفك الدماء الذي تحدثه الولايات المتحدة الأمريكية حين خروجها). وصليب من ذهب (رمز للإمبراطورية الرومانية التي تسعى إلى إقامتها). أميرها رجلٌ من كلب (رمز

للقائد الذي يقود الولايات المتحدة الأمريكية، أي أنه رجلٌ يُظهر التديّن بالنصرانية).

ويخبر الإمام علي عليه السلام أن السفياني في خروجه يرسل إلى الكوفة ١٣٠٠٠٠ مقاتلاً. والكوفة هنا ترمز إلى العراق، لأنها كانت عاصمة الخلافة في زمن الإمام علي. ويخبر أنهم ينزلون بالروحاء والفاروث. وهذان الموضعان من أعمال الزوراء (بغداد)، فالروحاء: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية[١]. وكانت هذه القرية قديماً على الطريق من بغداد إلى الأنبار. والفاروث: قرية كبيرة على شاطئ دجلة في الطريق من بغداد إلى واسط[٢]، وقد جاء في الرواية (الفاروق) بالقاف، وأحسبه تحريف.

إن كلَّ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام قد حصل بالفعل، وخاصة فيما يتعلّق بالسفياني ومجيء جيوشه إلى العراق، ونزولها بالزوراء.

٥ ـ أخرج السيد ابن طاوس في الملاحم والفتن، بسنده عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حديثاً أخبر فيه عما يحدث للبصرة من صاحب الزنج، ثم قال: ويعود دار الملك إلى الزوراء، وتصير الأمور شورى، مَنْ غلبَ على شيء فعله، فعند ذلك خروج السفياني... فويل لمصرٍ، وويل للزوراء، وويل للكوفة، والويل لواسط..[٣].

قوله: ويعود دار الملك إلى الزوراء أي: يعود مقرّ الخلافة إلى بغداد. وقوله: وتصير الأمور شورى، مَنْ غلب على شيء فعله أي: ويأتي زمان تصير الأمور شورى...، إشارة إلى زمان الديمقراطية التي تفرض على أهل العراق من الخارج. ثم أخبر الإمام عليه السلام أنه في هذا الزمن يكون خروج السفياني. قوله: فويلٌ لمصرٍ أي: فالعذاب والشر يحلّ بأول بلد يدخله وهو

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣ ـ ٧٦ .

(٢) المصدر السابق: ٤ ـ ٢٢٩ .

(٣) الملاحم والفتن: ١١١، والمهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٣١٩ .

البصرة. و (مصر) ـ بالتنوين ـ ليس المقصود بها مصرَ الدولة العربية المعروفة، بل المراد بها البصرة، لأنها أول مِصْرٍ بُني في العراق بعد الفتح الإسلامي للعراق. ويدلُّ علىٰ ذلك ذكر البصرة وما يفعله بها صاحب الزنج في أول الحديث.

وقول الإمام علي وهو يخاطب أهل البصرة: وجزاكم الله من أهل مصرٍ عن أهل بيت نبيّكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم وأطعتم، ودُعيتم فأجبتم...، فالمراد بقوله: (مصر) ـ بالتنوين ـ البصرة

ثم ذكر الإمامعليه السلام ما يحلُّ بالزوراء والكوفة وواسط من الشرّ والعذاب من قبل جيوش السفياني. وقد حصل كل ذلك حين جاءت جيوش الولايات المتحدة الأمريكية إلى العراق في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣ .

السُفياني يدخل الكوفة

ورد ذكر الكوفة في روايات السفياني، وقد اتصفت تلك الروايات بالكثرة، بالقياس إلى الروايات التي ذكرت الزوراء، أو مدن العراق الأخرى. وتشمل الكوفة: مدينة الكوفة التي فيها المسجد المشهور بمسجد الكوفة، والقرى المحيطة بها، والنجف، والحيرة، والخِوَرنق والسدير، والغريَّان، وما كان منازل للنعمان بن المنذر. وتشمل أيضاً مدينة كربلاء الحالية، فهي في طرف البريَّة عند الكوفة، كما ذكر ياقوت، وقد مُصِّرت في السنة التي مُصِّرت فيها البصرة، وهي سنة ١٧ هـ. وقيل: إنها مُصِّرت بعد البصرة بعامين أي في سنة ١٩هـ[١]. وقد أصبحت الكوفة دار الخلافة وعاصمتها في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم صارت مسكناً لشيعته، فأكثر الناس الذين يعيشون في منطقة الكوفة هم من شيعة عليّ.

إن الروايات التي تحدثت عن دخول جيش السفياني الكوفة تنقسم إلى قسمين: قسم منها ذكر دخول جيش السفياني الكوفة، ولكنها لم تذكر الجهة التي يأتي منها جيش السفياني. والقسم الآخر منها ذكر دخول جيش السفياني الكوفة، وذكر أنه يقصدها بعد أن يحتل بغداد، فيخرج من بغداد متوجهاً إلى الكوفة. والمعروف أن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية دخلت الكوفة مرّتين، في المرة الأولى دخلها الجيش الأمريكي الزاحف نحو بغداد، الذي اتَّخذ طريق الناصرية، فالسماوة، فالديوانية، فالكوفة. وفي المرة الثانية دخلها الجيش الأمريكي قادماً من معسكراته المنتشرة في نواحي بغداد. وقد أشارت

---

(١) معجم البلدان: ٤ ـ ٤٩٠ ـ ٤٩٣، و ٤ ـ ٤٤٥ .

بعض الروايات إلى خط سير الجيش الذي يتخذ طريق الناصرية نحو بغداد، مروراً بالكوفة، منها :

أخرج في عقد الدرر، بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أن السفياني يُظهر العدل والسلام حتى يعبر نهر الفرات، فإذا عبر الفرات ظهر علىٰ حقيقته[١].

وأخرج أيضاً في عقد الدرر بسنده عن كعب الأحبار أنه قال: لا يعبر السفياني نهر الفرات إلا وهو كافر[٢].

إن عبور جيش السفياني نهر الفرات باتجاه بغداد يشير بوضوح إلى خط سير الجيش الأمريكي الزاحف إلى بغداد عبر الناصرية مروراً بالكوفة. ولكنَّ الروايات التي تتحدّث عن دخول جيش السفياني الكوفة بقصد تدميرها وقتل أهلها لا تعني سوى مجيئه من معسكراته المنتشرة في نواحي بغداد، بعد احتلالها ونشر الخراب والدمار وسفك الدماء فيها. ومن هذه الروايات :

أخرج في عقد الدرر، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال : . . . فأما جيش المشرق فيقتلون بالزوراء (بغداد) سبعين ألفاً، ويبقرون بطون ثلاثمائة امرأة، ويخرج الجيش (من الزوراء) إلى الكوفة، فيقتل بها خلقاً[٣].

إن الإمام عليًّا عليه السلام أخبر في صدر الرواية أن السفياني يجيِّشُ (أي يُعِدُّ) جيشين: جيشاً إلى المدينة المنورة، وجيشاً إلى الشرق نحو العراق، ثمّ قدّم الحديث عن الجيش الذي يرسله إلى العراق، وهو إشارة إلى أن هذا الجيش هو أول الجيوش التي يخرج بها السفياني إلى منطقة الشرق الأوسط، ثم أخبر أنه يدخل الزوراء، فينشر فيها القتل والدمار، وعدد القتلى الذين يقتلهم ذلك

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٤

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨

الجيش في بغداد يرمز إلى الكثرة، فقد يزيد عددهم عن سبعين ألفاً، وكذلك عدد النساء المقتولات في بغداد، فإنه يرمز إلى كثرة مَنْ يُقْتَلُ منهنّ. ثم يخبر الإمام عليه السلام عن خروج قسم من جيش السفياني من بغداد إلى الكوفة. ويظهر من هذه الرواية والروايات الأخرى أن السفياني يحمل حقداً علىٰ شيعة أهل البيت، فحين يظهر بالكوفة جماعة تقاوم احتلاله فإنه يجد في ذلك الفرصة للتنفيس عن حقده، فيتوجّه إلى الكوفة بقصد الانتقام من أهلها، ومن تلك الروايات :

١ ـ أخرج في البحار، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في ذكر خروج جيش السفياني: ولذلك آيات وعلامات، أولهنّ إحصار الكوفة بالرصد والخندق، وتخريق الزوايا في سكك الكوفة... فيسير منها (أي من نواحي بغداد) ستون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة... ويقتل علىٰ جسرها سبعين ألفاً حتى تحتمي الناس من الفرات ثلاثة أيام، من الدماء ونتن الأجساد، ويُسبَى من الكوفة سبعون ألف بكر، لا يُكشف عنهنّ كفٌّ ولا قناع، حتى يوضعن في المحامل، ويُذهَب بهنّ إلى الثويّة، وهي الغريّ[1].

قول الإمام علي عليه السلام: إحصار الكوفة بالرصد والخندق يعني أن جيش السفياني يحاصر الكوفة من جميع النواحي، فلا أحد يستطيع الدخول إليها، أو الخروج منها إلا بعلم ذلك الجيش وقادته، وأنه ينشر عيونه (جواسيسه) لرصد كل تحرك يقوم به أحد من أهل الكوفة، فالداخل إليها والخارج منها مرصود، وكل تحرك داخلها مرصود. وقوله: تخريق الزوايا في سكك الكوفة يعني إقامة المتاريس لقتال الشوارع. وقوله: موضع قبر هود يعني به وادي السلام، وفيه قبر هود عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٣ ـ ٨٢ .

يبدو من هذه الرواية أن أياماً دامية تنتظر الناس في الكوفة والنجف، يُقْتَلُ فيها أعداد كبيرة منهم، وتسيل فيها دماء غزيرة إلى درجة أن الناس يمتنعون من شرب الماء من نهر الفرات، بسبب تلوثه بالدماء ونتن الأجساد الملقاة فيه، كما تُسبى فيها النساء، وفيهنَّ أبكار محجَّبات لم يُكشف عنهنَّ كفٌّ ولا قناع قبل هذا السبي. نسأل الله تعالىٰ أن يحفظ أهل النجف والكوفة وكربلاء، ويستر علىٰ نسائهم، وأن يردَّ كيد عدوهم إلى نحره، إنه سميع مجيب.

٢ ـ أخرج ابن حمّاد في الفتن أن السفياني يدخل الكوفة، فيسبيها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها سبعين ألفاً[١].

٣ ـ أخرج في عقد الدرر، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً، فيخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء، فيقتله أمير جيش السفياني بين الكوفة والحيرة[٢].

لقد حصل بعض ما أخبرت به الروايتان رقم (٢) و (٣)، ولا ندري ماذا تخبّئ الأيام القادمة لأهل الكوفة. وقد أشارت الرواية رقم (٣) إلى أن رجلاً من موالي أهل الكوفة يخرج علىٰ جيش السفياني في ضعفاء من أهل الكوفة فيقاومون ذلك الجيش بقوة السلاح، ولكن أمير جيش السفياني يتمكن من القضاء علىٰ ذلك الرجل وعلى أتباعه في الكوفة والحيرة. و(الموالي): جمع مولى. والمولى له معانٍ كثيرة، منها: السيد من ذرية رسول الله، ومَنْ تولّى أمراً أو قام به.

٤ ـ أخرج في كنز العمال، عن الأصبغ بن نباتة، قال: خطب علي بن أبي طالب عليه السلام ... (ثم ذكر الخطبة، وجاء فيها أسماء لأماكن في الكوفة

---

(١) عصر الظهور: ٩٧ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٦، نقلاً عن عقد الدرر: ١٣٦ .

يصيبها بلاء السفياني)، ومما قال عليه السلام: من شط الفرات إلى النجفات إلى القُطْقُطانيات... [1]. قال ياقوت: القُطْقُطانة ـ بالضمّ فسكون، ثم قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الألف نون وهاء ـ موضع قرب الكوفة من جهة البريّة بالطف، كان فيه سجن النعمان بن المنذر[2].

إن ما أخبر به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد رأيناه حقيقة أمام أعيننا، فقد وصلت القوات الأمريكية إلى تلك الأماكن والقرى الكائنة علىٰ شط الفرات بالقرب من الكوفة، ونشرت فيها القتل والدمار وسفك الدماء.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٣٢٤ .

(٢) معجم البلدان: ٤ ـ ٣٧٤ .

حال أهل الكوفة حين دخول السفياني إلى ديارهم

أخرج في عقد الدرر، بسنده عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة تكون بي أهل المشرق والمغرب، فبينما هم كذلك إذ خرج السفياني... ثم ذكر أن السفياني يدخل الكوفة، فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلحق بهم، وهم أشرُّ خلق الله تعالى، وفرقة تقاتلهم، وهم عند الله شهداء، وفرقة تلحق بالأعراب، وهم العصاة...[1].

إن هذا الحديث يصف حال أهل الكوفة حين دخول السفياني إلى ديارهم، فذكر أنهم يفترقون إلى ثلاث فرق في مواجهة حدث السفياني. والحقيقة أن هذا الوصف لا ينطبق علىٰ أهل الكوفة فحسب، بل ينطبق علىٰ أهل العراق عموماً، ولعلّ الكوفة في هذا الحديث رمزٌ للعراق، باعتبار أنها كانت عاصمة الخلافة الإسلامية في خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. إن أهل العراق عموماً، وأهل الكوفة خصوصاً قد صاروا ثلاث فرق حين جاءت جيوش الولايات المتحدة الأمريكية إلى العراق، واحتلّت مدنه بما فيها مدينة الكوفة، وذلك أن العراقيين ليسوا سواءً في موقفهم من قوات الاحتلال الأمريكية، فقسم منهم سار في ركب الولايات المتحدة الأمريكية، وتعاون معها لتحقيق ما تهدف إلى إنجازه في العراق. وهذا القسم من العراقيين ثلاثة أنواع: نوع يعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية جاءت إلى العراق لتخليصه من طغيان صدام ونظامه، ومنح الحرية والديمقراطية للعراقيين، ثم إعمار العراق وجعله بلداً عامراً، ينعم أهله بالرفاه والغنى والاستقرار والحرية

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٢، نقلاً عن عقد الدرر.

والديمقراطية. **والنوع الثاني** سار في ركب الولايات المتحدة الأمريكية طمعاً في الحصول علىٰ منصب أو مكاسب ماديّة، أو وظيفة يحصل بها علىٰ راتب مجزٍ. والنوع **الثالث اشترت** الولايات المتحدة الأمريكية ضميره، وجنّدته لصالحها، فأصبح عميلاً من عملائها. إن هذا القسم من العراقيين بأنواعه الثلاثة يتعاون مع أمريكا لتحقيق سياستها في العراق. وقد وصفت الرواية السابقة هذا القسم بأنهم أشرّ خلق الله. وقد يكون بعضهم في هذا القسم هو الذي عناه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه الذي أخرجه الطوسي في الغَيْبة، بسنده عن عمر بن أبان الكلبي، عن الإمام الصادق، أنه قال: كأني بالسفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة.... وكأني أنظر إلى صاحب البرقع. قلتُ: ومَنْ صاحب البرقع؟ فقال: رجلٌ منكم يقول بقولكم، يلبس البرقع، فيحوشكم، فيعرفكم ولا تعرفونه، فيغمز بكم رجلاً رجلاً[1].

إن صاحب البرقع رجل عراقي، ولكنه عميل للسفياني، يقول بقول طائفته وأهل ملّته، وأهل جلدته، ويظهر لهم أنه معهم، ويعمل لصالحهم، ولكنه يخفي حقيقته عنهم وراء برقع من الكذب والخيانة، فهو يعرفهم، وهم لا يعرفونه، وهو الذي يغمز بأهل ملته وجلدته رجلاً رجلاً، أي: يسعى بهم شراً عند السفياني، فينقل إليه كل حركة يقومون بها ضدّه، فيقتلهم السفياني أو يسجنهم رجلاً بعد رجل. إن أصحاب البراقع كثيرون في العراق، نسأل الله تعالىٰ أن يكفي أهل العراق شرهم، وأن يُعرِّف بهم، ليكشفهم أمام أهل ملتهم وجلدتهم، وأن ينالوا جزاءهم الذي يستحقون.

أما القسم الثاني من أهل العراق فهم الذين يقاومون السفياني وجيشه المحتل، ويقاتلونه بما يستطيعون، وبما لديهم من إمكانات وإن كانت بسيطة، لأنهم يدركون أهداف السفياني الحقيقية من وراء احتلال العراق،

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢١٥ .

ويعرفون أن الدفاع عن الوطن الإسلامي إذا تعرض إلى الغزو والاحتلال من قبل غير المسلمين واجب شرعي. هؤلاء القسم من العراقيين هم الذين قال عنهم الإمام الصادق عليه السلام: وفرقة تقاتلهم، وهم عند الله شهداء. أما القسم الثالث من أهل العراق فهم الذين يعتزلون الطرفين خوفاً، فيخرجون من مدنهم أو بيوتهم، ويذهبون إلى مناطق أخرى في القرى والأرياف، لكي لا ينالهم بطش السفياني. وهؤلاء لا ينصرون إخوانهم الذين يقاومونه، وقد وصفهم الإمام الصادق بأنهم هم العصاة.

السُفياني ينشر القتل والدمار في جميع أنحاء العراق

أخرج نعيم بن حمّاد، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: يبعث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد[1].

وقال الشيخ الكوراني: تذكر الروايات أسماء أماكن يتمركز فيها جيش السفياني، مثل: الزوراء، أي بغداد، والأنبار، والصراة، والفاروق، والروحاء... [2]

إن الحديث الأول يخبر بوضوح أن السفياني بعد دخوله بغداد والكوفة، وما يفعله في هاتين المنطقتين من دمار وقتل وسفك دماء، يرسل جنوده إلى جميع أنحاء العراق. وقد حصل هذا الأمر بالفعل حين جاءت الولايات المتحدة الأمريكية بجيوشها إلى العراق، وبعد أن تمكنت من بغداد والكوفة أرسلت جنودها، وجنود حلفائها إلى جميع أنحاء العراق، وصار العراق كله من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه في قبضة الجيش الأمريكي. وما ذكره الشيخ الكوراني يؤيد ذلك. ولعلّ ما تشهده محافظة الأنبار التي تضمّ مدينة الفلوجة على يد الجيش الأمريكي دليل قوي على صدق ما أخبرت به الروايات.

أن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تعزّز وجودها العسكري في جميع مدن العراق لتحقيق أهدافها في هذا البلد، وهي الأهداف التي ما برحت الولايات المتحدة تؤكد على لسان قادتها، أنها لن تخرج من العراق حتى تحقق أهدافها كاملة. إن أهداف الولايات المتحدة التي لم تعلن عن

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢) عصر الظهور: ٩٦ .

حقيقتها هي :خلط الأوراق على الشعب العراقي، ليضيع الحق في وسط الباطل، وإغراق الشعب العراقي في بحر من الدماء بأيدي فئات مختلفة تعمل بأوامرها، بعضهم من داخل العراق، وبعضهم قدموا من خارج العراق بواسطة شبكات التهريب التي تديرها أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، كل ذلك لأجل أن يقبل الشعب العراقي بوجود الجيش الأمريكي منقذاً له مما يحلُّ به من الفوضى والقتل وسفك الدماء والدمار والخراب.

ومن أهدافها الرئيسة إذلال الشعب العراقي، وسلبه عزّته وكرامته، وإخماد جذوة ضميره الذي يتّقد بالتمسك بالإسلام، ونجدة المظلومين، وإغاثة الملهوفين. وهي لأجل تحقيق هذا الهدف تستعمل القوة المفرطة في قمع الشعب العراقي. فإذا علمت أن جماعة من العراقيين في أي مكان من العراق ما زالت عزيزة النفس، تأبى الذلّ، وتنكر الضَّيم والظلم، وتتمسك بإسلامها، وتعلن أنها لا تقبل بالاحتلال الأمريكي، وتدعو إلى التصدي لهذا الاحتلال ومقاومته، فإنها تقمع هذه الجماعة بشدة، وقسوة لا مثيل لها، وتقوم بذلك تحت حجج كثيرة، منها حجة فرض الأمن، والقضاء على الإرهابيين، وغيرها من الحجج. وما حدث لفئة من العراقيين في النجف، ومدينة الصدر في بغداد، وسامراء، وتلّعفر في شمال بغداد، والأنبار، والفلوجة في غرب بغداد. وكل مدينة أو محافظة في العراق تظهر فيها جماعة ترفع شعار العزة والكرامة والحرية، فإن مصيرها يكون كمصير تلك المدن.

وإذا قبِل الشعب العراقي بوجود الجيوش الأمريكية في العراق، وإذا فقد عزته وكرامته، وإذا مات ضميره، وانطفأت فيه جذوة الدفاع عن الإسلام، وإنكار الظلم، ونجدة المظلومين، وإغاثة الملهوفين، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق بقية أهدافها في العراق، ومنها: إقامة المجتمع العراقي على أسس غير إسلامية، وإشاعة دين في أوساطه يحمل اسم الإسلام، ويستمدّ وجوده من الحياة الغربية للإنسان الأمريكي والأوربي

تحت شعارات الديمقراطية والتحرر. ومنها: تغيير المناهج التعليمية، لبناء جيل ينسلخ عن هويته الإسلامية، وعن جسد الأمة العربية. ومنها: تغيير نفسية الفرد العراقي، وخلق إنسان عراقي مسالم، خاضع خانع، ذليل منكسر، مستجيب لأوامر سيده الأمريكي المتواجد في كل محافظة ومدينة، إنسان عراقي لا يرى الجهاد في سبيل الله فرضاً من الله علىٰ المسلم، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبين علىٰ كل مسلم ومسلمة، ويرى أن اليهود هم شعب الله الذي اختاره أن يسود، وأنه يجب عليه أن يقيم علاقاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع شعب الله المختار علىٰ أساس هذه الرؤية. وإذا تمَّ كل ذلك تستطيع إسرائيل أن تنعم بالأمان من ناحية العراق الذي خصّته نبوءات العهد القديم بأنه مصدر الخطر علىٰ إسرائيل.

وإذا تحققت أهداف الولايات الأمريكية المتحدة في العراق انطلقت جيوشها إلى الدول التي يعيش فيها شعوب تُعَدُّ خطراً علىٰ أمن إسرائيل، وهي سوريا، والمملكة العربية السعودية، وإيران، لتحقيق الأهداف نفسها التي استطاعت تحقيقها في العراق، ولكن هذه المرة سيزيد عدد جيوشها بالعراقيين الذين يصيرون ظهيراً للجيوش الأمريكية المنطلقة إلى هذه البلدان، كما حدث للشعب الهندي بعد الاحتلال البريطاني للهند، فقد صار الشعب الهندي جيشاً فعالاً، استخدمته بريطانيا لبسط إمبراطوريتها في العالم. وبعد هذا نطرح السؤال التالي :

ماذا يحلُّ بالعراق وأهله بعد احتلال السفياني للعراق؟

أشارت الروايات إلى أن السفياني حين يحتل العراق، يحلُّ بالعراق وأهله شر عظيم ودمار كبير، وقتل كثير، وموت ذريع، وقد تقدم ذكر بعض هذه الروايات، ومنها :

١ ـ الحديث الذي أخرجه في عقد الدرر، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: والله لو تعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله منه...

فيقتلون بالزوراء سبعين ألفاً، ويبقرون بطون ثلاثمائة امرأة. . . [1]

٢ ـ والحديث الذي أخرجه في البحار، عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، وجاء فيه : . . . وقتل كثير، وموت ذريع. . . حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجساد، ويسبي من الكوفة أبكاراً لا يكشف عنها كفٌّ ولا برقع، حتى يوضعن في المحامل. .[2].

٣ ـ والحديث الذي أخرجه في كنز العمال، عن عمار بن ياسر، أنه قال: وتقبل خيل السفياني كالليل والسيل، فلا تمرُّ بشيء إلا أهلكته، وهدمته. . . [3]

٤ ـ والحديث الذي أخرجه في البحار، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: كأني بالسفياني وقد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: مَنْ جاء برأسِ من شيعة عليّ فله ألف درهم، فيثب الجار علىٰ جاره، ويقول هذا منهم، فيضرب عنقه، ويأخذ ألف درهم[4] إن هذا الحديث يكشف بوضوح ماذا تضمر الولايات المتحدة الأمريكية للشيعة، ولا أبتعدُ عن الصواب إذا قلتُ: إن الشيعة هم المقصودون أكثر من غيرهم بالقتل والإبادة الجماعية، ولكنّ المرحلة الحاضرة تقتضي أن تلعب الولايات المتحدة معهم لعبة العصا والجزرة، لعبة الترغيب بالحصول علىٰ حقوقهم التي أُهدرت في القرون الماضية، والترهيب بتدميرهم إن وقفوا في طريق تنفيذ خطتها في العراق. فإذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستميل الشيعة إلى جانبها، وتظهرهم للأمة الإسلامية بأنهم موالون لعدو الإسلام الكافر، وإذا تمكنت من بناء حاجز نفسي بين الأمة الإسلامية والشيعة، وإذا ضمنت أن الأمة الإسلامية

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٣ ـ ٨٢ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٠، نقلاً عن كنز العمال: ٦ ـ ٦٧ .

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢١٥ .

قد قطعت أواصر التآخي معهم، وأنها مستعدة للتخلي عنهم، حينئذٍ توجه الولايات المتحدة إليهم ضربة قاصمة لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى. إن الأحداث في العراق تنذر بأيام عصيبة علىٰ الشيعة في جميع أنحاء العراق، حتى يتمنون الخلاص مما هم فيه، ولو لساعة واحدة. وقد ذكر ابن حجر من علامات ظهور الإمام المهدي ما يحلّ بأهل الكوفة (ويُرمَزُ بهم للشيعة عموماً)، فقال: السادسة من مقدمات ظهور المهدي أن أهل الكوفة يكونون أسعد الناس به[1] بسبب ما يحلّ بهم من الأهوال.

٥ ـ والحديث الذي أخرجه في عقد الدرر، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وجاء فيه أن السفياني يقتل كلَّ مَنْ اسمه أحمد ومحمد وعلي وجعفر وحمزة وحسن وحسين وفاطمة وزينب ورقيّة وأم كلثوم وخديجة وعاتكة، حنقاً وبغضاً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

إن المقصود بذكر تلك الأسماء الإخبار عن حقد السفياني علىٰ الإسلام، علىٰ كل مسلم ومسلمة في العراق، سواء أكان شيعياً أم سنياً، وخاصّة علىٰ حملة الإسلام.

إن مَنْ يعتقد أن ما يحصل في العراق هو سحابة صيف، لا تلبث أن تزول، فهو واهم، لأن ما تفعله الولايات المتحدة في العراق لا ينتهي في الأمد القريب، حتى تتحقق الأمور التالية :

١ ـ تدمير الطاقة البشرية في العراق، وذلك بقتل أكبر عدد من أهله، لأن بقاء القوة البشرية في العراق يشكل خطراً علىٰ الكيان الإسرائيلي، كما أنبأ بذلك العهد القديم (التوراة)، وهو ما يؤمن به الرئيس الأمريكي بوش الابن وإدارة حكومته. ويتم تدمير الطاقة البشرية في العراق بالوسائل التالية :

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٥٥، نقلاً عن القول المختصر: الجزء الثاني .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٩ .

أ ـ القتل بحجة الإرهاب، وذلك بافتعال بعض الأمور التي لا يستطيع العراقيون السكوت عليها، فتحدث مواجهات بينهم وبين جيوش الاحتلال الأمريكي في أماكن كثيرة من العراق فتقوم تلك الجيوش بقتل أعداد من العراقيين، بحجة كونهم إرهابيين يشكلون خطراً علىٰ أمن العراق ومستقبله، أو بحجة كونهم خارجين عن القانون، أو بحجة كونهم يؤوون مقاتلين أجانب من جماعة القاعدة، أو غير ذلك. وهذا ما حدث في النجف، والكوفة، ومدينة الصدر، وتلّعفر، والفلوجة، والأنبار. وسيحدث مثله في مناطق أخرى من العراق في الأيام القادمة.

ب ـ قيام مجموعات من المدربين علىٰ تقنيات التفجير، وإعداد السيارات المفخخة، ومن محترفي القتل المأجورين، بعمليات القتل والإبادة الجماعية لأهل العراق، عن طريق تفجير السيارات المفخخة، والقنابل الموقوتة في الأماكن العامة والطرقات، وعن طريق قتل الشرطة الوطنية والجيش الوطني اللَّذين يمكن أن يكونا نواة لجيش عراقي عظيم في المستقبل. وتقوم هذه المجموعات أيضاً باغتيال العلماء والمفكرين العراقيين من أساتذة جامعات وغيرهم إن معلومات موثوقة كشفت عنها الصحف الأمريكية وبعض وسائل الإعلام عن قيام خبراء من الكيان الإسرائيلي بالتعاون مع جهات مسؤولة في الولايات المتحدة الأمريكية بتدريب بعض تلك المجموعات داخل العراق، وبعضها خارجه، ثم تهريبهم إلى داخل العراق للقيام بتلك العمليات، مقابل أجور مالية مجزية.

إنني أعتقد أن مجموعات القتل وسفك الدماء التي تعمل في العراق بحرية تامة بعضها من العراقيين الذين باعوا أنفسهم لأجهزة إسرائيلية وأمريكية مقابل الدولار، وبعضها من العراقيين الذين قبلوا أن يعملوا مع تلك الأجهزة لتحقيق مكاسب حزبية أو طائفية، وبعضها من غير العراقيين الذين يعيشون في أماكن مختلفة من العالم، وهم يعملون لصالح أجهزة المخابرات الأمريكية

والإسرائيلية، وقد دُرِّبوا تدريباً عالياً، وقد هرَّبتهم إلى العراق تلك الأجهزة للقيام بعمليات قذرة في العراق، وبعضهم مسلمون مُغَرَّرٌ بهم، يقومون بأعمال القتل بدوافع دينية، كالجهاد في سبيل الله، وقتل المرتدِّين المتعاونين مع الكفار المحتلّين، ولكنهم جميعاً يتلقَّون أوامرهم من أمرائهم الذين يظهرون لهم أنهم مجاهدون يؤدون واجب الجهاد في سبيل الله، وهم في الحقيقة مرتبطون بتلك الأجهزة. إن هذا البعض من مجموعات القتل مخدوعون، ولا يعلمون أنَّ أمراءهم الذين يتلقون الأوامر منهم عملاء لأجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية. إن مسؤولية ما يحدث في العراق من قتل وسفك دماء وتخريب تقع علىٰ عاتق المحتلّ الأمريكي في نهاية الأمر، لأنَّ كلَّ ذلك يحدث تحت علمه وتخطيطه وإشرافه.

ج ـ العمل علىٰ إشعال حرب طائفية أو قومية، بين الشيعة والسنة، أو بين العرب والأكراد والتركمان والأقليات الأخرى في العراق. وهذا ما تسعى إلى تحقيقه أجهزة سرية مرتبطة بالولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وينفّذ لها مرتزقة شعارهم: ادفعْ نقتلْ مَنْ تريد. إن المتابع لما يجري في العراق يلاحظ نُذُرَ شؤم، وعلامات لشرٍّ عظيم يحيق بالعراق والعراقيين. إن حالة الطائفية بين السنة والشيعة تتعمق يوماً بعد يوم، وكذلك حالة التهاجر والقطيعة بين العرب والأكراد والتركمان وبقية الأقليات الأخرى تزداد باستمرار نسأل الله تعالىٰ أن يصون العراق من التمزق، والعراقيين من الوقوع في جهنم الحرب الطائفية. إن كل مَنْ يُسهم في تعميق الطائفية بين الشيعة والسنة، وكل مَنْ يسهم في إشعال نار الطائفية، سواء كان ذلك في فعل أو قول أو كتابة أو رأي أو مشورة أو دعاية ينشرها بين الناس ملعون علىٰ لسان النبي محمدﷺ، وخارج عن دين محمدﷺ بصريح القرآن الكريم. أرجو من العراقيين شيعةً وسنةً، وأهيب بهم أن يوقفوا تكريس الطائفية وتعميقها، وأن يمنعوا كل دعوة إليها مهما كان الداعي إليها، ولو بالقوة والقول الغليظ.

٢ ـ تدمير نفسية الإنسان العراقي وتحطيمها. إن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن يستمر الخوف والإرهاب والإذلال وسلْب الشرف وغير ذلك مما كان صدام يمارسه في حقّ العراقيين، بتصد الإجهاز علىٰ ما بقي عند العراقيين من عزة نفس، ونخوة، ونجدة للمظلومين، وإغاثة للملهوفين. إن ما نراه ونسمع به من فقدان الأمن علىٰ الأنفس والأعراض في ظلّ الاحتلال الأمريكي، وممارسة الإذلال المهين بحق العراقيين في السجون والإعلان المتعمد لهذه الممارسات المهينة التي تحطم نفس الضحية، كل ذلك يندرج تحت هدف تدمير نفسية الإنسان العراقي وتحطيمها، لكي يتحول الإنسان العراقي إلى إنسان فاقد لصفات الإباء، والعزة، والنخوة، و نجدة المظلوم، وإغاثة الملهوف، ويصير إنساناً لا يهتم إلا بنفسه، ولا يكترث بما يحدث من حوله، ولا يهتزّ ضميره ولو احترق العالم كله.

٣ ـ إفراغ العراق من العلماء المتخصصين في كل العلوم، بالقتل والسجن، والإجبار علىٰ مغادرة العراق، لكي لا تقوم فيه نهضة علمية، تؤدي إلى حدوث تقدم في العلوم التكنولوجية والإنسانية.

٤ ـ تخريب منشآت العراق النفطية، ومنشآته الزراعية، وتدمير ثروته الزراعية، وخاصة ثروة النخيل التي كان العراق يشتهر بها، فإن هذه الثروة التي تُعَدُّ مصدراً غذائياً وتجارياً مهماً للعراقيين تتعرّض إلى تدمير سرّي منظم. وسيكتشف ذلك العراقيون، ولكن بعد فوات الأوان. وكذلك تخريب منشآته الصناعية، فكل المصانع قد دُمِّرت أثناء الحرب علىٰ العراق، وبعد دخول الجيوش الأمريكية تمّ تفكيك ما بقي سالماً منها، ونقلها إلى خارج العراق. وأيضاً تدمير الممتلكات العامة لأهل العراق من سيارات وبيوت ومحلات وأسواق. كلُّ ذلك يجري في العراق، لكي يبقى العراق فقيراً متخلفاً، لأن وجود عراق فقير متخلّف ضمان لأمن إسرائيل.

إن كلّ هذه الأمور يجب أن تتحقق في ظل وجود الجيوش الأمريكية.

وإذا تمّ تحقيق كل ذلك، فحينئذٍ قد تخرج تلك الجيوش من العراق، لأن (العراق الجديد) لا يشكل خطراً علىٰ إسرائيل.

إن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام قد أخبرنا بما يفعله السفياني في العراق، إذْ قال عليه السلام: ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراقين، والكوفة، والبصرة، ثم يدور الأمصار، ويحلّ عرى الإسلام عروةً بعد عروة، ويقتل أهل العلم، ويحرق المصاحف، ويخرب المساجد، ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي في الأسواق، والشرب علىٰ قوارع الطرق، ويحلل الفواحش، ويحرم عليهم كل ما فرض الله تعالىٰ عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يزداد تمرداً وعتواً، ويقتل كل مَنْ اسمه أحمد ومحمد وعلي وجعفر وحمزة وحسن وحسين وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة، حنقاً وبغضاً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله..[1]..

وقد تحقق بعض ما أنبأ به أمير المؤمنين، أما الباقي فسيكون حين تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من العراق. فيا أهل العراق افهموا، وعُوا، وتحركوا، وواجهوا، ولْيكن فهمكم ووعيكم وحركتكم ومواجهتكم بمستوى الخطر والشر القادم عليكم، وإن لم تفعلوا ذلك خسرتم أنفسكم وأهليكم، وخسرتم إمامكم المهدي الذي عرفتم أن مجيء السفياني إلى العراق هو من أظهر العلامات التي تدل علىٰ قرب ظهوره.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٨ ـ ٩٩ .

الفصل الرابع
دور الشعوب الإسلامية والعربية فيما يجري في العراق

ظواهر في الحياة اليومية للشعب العراقي في ظلّ الاحتلال الأمريكي

كان أهل العراق يأملون في أن تأتي الولايات المتحدة الأمريكية إليهم، لتنقذهم من ظلم صدام وأجهزة نظامه، ولتوفّر لهم الحرية والديمقراطية، والعيش الرغيد، والحياة السعيدة. ولكن جميع آمالهم تلك قد خابت، فلم يتحقق شيء مما كانوا يأملون، بل ساءت أحوالهم أكثر مما كانت عليه في زمن صدام. ويستطيع المتتبع للشأن العراقي أن يرصد الظواهر التالية في الحياة اليومية للشعب العراقي في ظلّ الاحتلال الأمريكي :

١ ـ ظاهرة البطالة المتزايدة في أفراد الشعب العراقي.

٢ ـ ظاهرة تدنّي الخدمات الأساسية المقدّمة للشعب العراقي.

٣ ـ ظاهرة حرمان الشعب العراقي من خدمات الكهرباء والماء، فلا يحصل عليها إلا لساعات قليلة جداً في اليوم والليلة.

٤ ـ ظاهرة القتل وسفك الدماء التي تحصد يومياً مئات الأرواح من أبناء الشعب العراقي.

٥ ـ ظاهرة السلب والنهب لأموال وممتلكات أبناء الشعب العراقي.

٦ ـ ظاهرة تخريب البنى التحتية للشعب العراقي.

٧ ـ ظاهرة اعتقال أعداد كبيرة من الشعب العراقي، نساءً ورجالاً، وتعذيبهم بأنواع من العذاب التي تذبح الشرف الإنساني، وتميت كرامة الإنسان.

٨ ـ ظاهرة مداهمة البيوت ودور العبادة، والإذلال المتعمّد لأصحابها، والمتواجدين فيها.

٩ ـ ظاهرة ضرب المدن التي يتواجد فيها مقاومون للاحتلال الأمريكي بقسوة باستخدام الطائرات المقاتلة، والطائرات المروحية، والمدفعية الثقيلة.

١٠ ـ ظاهرة اغتيال العلماء والمفكرين وأصحاب الكفاءات العلمية.

١١ ـ ظاهرة التعرض لثوابت الدين ودور العبادة، لكسر قدسية الدين في نفوس العراقيين.

١٢ ـ ظاهرة انتشار الانحلال الأخلاقي وإباحة المحرمات.

إن هذه الظواهر وغيرها التي يعيشها الشعب العراقي يومياً ستولّد حالة من الرفض للوجود الأمريكي، وللحكومة التي تعيّنها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وستؤدي إلى ثورة وانتفاضة عارمة ضدّ الوجود الأمريكي في العراق، وضدّ الحكومة المعّينة من قبله، وستحدث مواجهات دامية بين أبناء الشعب المنتفضين من جهة، وجيوش الولايات المتحدة الأمريكية، ومعها قوات الحكومة العراقية من جهة أخرى. وستمتدّ هذه المواجهات إلى الكوفة والنجف وكربلاء، والمحافظات الجنوبية من العراق التي سينتفض فيها أبناء العراق تضامناً مع أبناء شعبهم في بقية أنحاء العراق، وستواجه جيوش أمريكا ذلك بكلّ قسوة وقوة، وتسيل بسبب ذلك دماء غزيرة، وتسقط أجساد كثيرة. وقد تمتدّ تلك المواجهات إلى المساجد، وإلى أضرحة الأئمة، وتُنتهك حرمتها.

إن ما يجري علىٰ أهل العراق في تلك الأيام التي أحسبها قريبة جداً، ورؤية الشعوب الإسلامية والعربية لمناظر الدماء والأشلاء من أبناء الشعب العراقي، ومناظر انتهاك حرمة المساجد والأضرحة المقدسة، يستثير نخوة الشعوب الإسلامية والعربية، ويستنهض ضميرها ويحرّك فيها دماء الأخوة

الدينية والنسبية، ويوقد في نفوسها جذوة الجهاد في سبيل الله من أجل النساء والولدان المستضعفين، والمظلومين والملهوفين. فتخرج تلك الشعوب من دائرة أقطارها، وتنفلت من عقالها، وتهب لنجدة الشعب العراقي.

إن الروايات التي بين يدي تشير إلى حصول ذلك، ولكن لم تذكر جميع الشعوب الإسلامية والعربية، بل اكتفت بذكر الشعب الإيراني، والشعب اليمني. ولعلّ ذكر الشعب الإيراني يكون رمزاً للشعوب الإسلامية غير العربية، وذكر الشعب اليمني يكون رمزاً للشعوب العربية.

الروايات التي أشارت إلى الشعب الإيراني

هناك روايات عِدَّة أشارت إلى دور الشعب الإيراني في نجدة أهل العراق، منها :

١ ـ أخرج في عقد الدرر، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً. فبينما هم كذلك إذْ أقبلت رايات من خراسان (من نحو خراسان) تطوي المنازل طيًّا حثيثاً، وفيهم نفر من أصحاب المهدي. . . [١]

إن الشعب الإيراني يخرج في تظاهرات عارمة، ويتوجه كثير منهم نحو الحدود مع العراق، ويتمكنون من إجبار الحكومة علىٰ فتح الحدود للدخول إلى العراق. إن التعبير بقوله: تطوي المنازل طيًّا حثيثاً يشير إلى أن هؤلاء الذين يجتازون الحدود يلجؤون إلى أقرب مدينة عراقية حدودية، ليؤمنوا أنفسهم من ضرب الطائرات الأمريكية لهم، ثم ينتقلون من مدينة إلى مدينة، حتى يصلوا إلى الكوفة.

إن هذه الرواية تشير بوضوح إلى أن انتفاضة أو ثورة عظيمة، تعمّ العراق، وتتركز في النجف والكوفة وكربلاء، والمدن والقرى المجاورة، لأن قوله: فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً دليل كافٍ علىٰ حدوث ثورة أو انتفاضة عظيمة ضدّ الجيوش الأمريكية. وقوله: فبينما هم كذلك إذْ أقبلت

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٦ ـ ٩٧، نقلاً عن عقد الدرر: ١٣٦ .

رايات من خراسان ينبئ عن اندفاع أعداد من الإيرانيين لنجدة أهل الكوفة، ولحماية الأضرحة المقدسة في النجف والكوفة وكربلاء. وتذكر الرواية أن في أولئك القادمين من إيران جماعة يلتحقون بالمهدي، حين يعلن عن ظهوره الشريف. ويتضمّن هذا إشارة إلى قرب ظهور المهدي بعد هذا الحدث.

ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه الطوسي بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعثت إليه بالبيعة[1].

٢ ـ أخرج في البحار، بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام حديثاً ذكر فيه ما يحصل لأهل الكوفة على يد جيوش السفياني، ثم قال بعد ذلك: وتقبل رايات من شرق الأرض ليست بقطن ولا كتان ولا حرير، مختّمة في رؤوس القنا بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد صلى الله عليه وآله..[2].

إن هذه الرواية تشير إلى إقبال متطوعين من شرق الأرض، وهي الجهة التي تقع فيها إيران وأفغانستان وباكستان، يقبلون من إيران إلى العراق وهم يحملون رايات ليست بقطن ولا كتّان ولا حرير كناية عن الأسلحة الحديثة، أي: يحملون أسلحة حديثة، عليها خاتم السيد الأكبر، والسيد الأكبر يرمز إلى قائد إسلامي كبير في إيران. أي: أن هؤلاء المتطوعين يقبلون إلى العراق لنجدة العراقيين، وهم يحملون أسلحة حديثة عليها شعار القائد الإسلامي الكبير في إيران، ويقودهم رجل من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢١٧ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

الشعب اليمني ينتفض أيضاً

ينظر السفياني إلى اليمن باعتبارها بلداً مهماً في طريق سعيه لإقامة إمبراطوريته العالمية، لأن اليمن تحظى بموقع إستراتيجي مهم، حيث تتحكم بأهم ممرّ مائي بين العالم الغربي، والشرق الأوسط، وهو البحر الأحمر، وذلك عن طريق مضيق باب المندب. كما أن قربها من أهم مناطق التوتّر في إفريقيا، كالسودان وإريتريا ومصر، وأيضاً قربها من دول الخليج العربي يزيد من أهميتها الإستراتيجية. ويضاف إلى ذلك كون أهلها ما زالوا متمسكين بالإسلام، ومحافظين علىٰ العادات والتقاليد العربية، المتمثلة في إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، ونجدة المظلوم، وعدم الرضا بالذل، ورفض الثقافات والمظاهر الغربية.

كل هذه العوامل تجعل السفياني يخطط لزيادة نفوذه في اليمن. وقد اتَّخذ من حادث إصابة المدمرة (كول) في مياه اليمن مبرراً لذلك، تحت حجة الحرب علىٰ الإرهاب، والقضاء علىٰ الجماعات الإرهابية. وقد بلغ نفوذه في اليمن حدًّا أن قوة عسكرية محمولة جواً من جيشه دخلت الأجواء اليمنية، ونفّذت ضربة عسكرية ضد بعض قيادات الجماعات الإسلامية، وقتلت بعضهم.

إن ازدياد نفوذ السفياني في اليمن، وما يفعله بأهل العراق، كل ذلك يدفع بأهل اليمن إلى الانتفاضة علىٰ الضعف الذي يقابل به زيادة نفوذ السفياني في بلادهم، وعلى الصمت تجاه ما يفعله السفياني بأهل العراق.

إن هذه الانتفاضة تنطلق من اليمن وجبالها الوعرة، متزامنة مع ما تفعله

الجيوش الأمريكية في العراق من تدمير وقتل يصل إلى حدّ الإبادة الجماعية، وهتك أعراض النساء العراقيات. وتقبل جماعة من هؤلاء المنتفضين إلى العراق، لنجدة العراقيين. ولم تشر الروايات إلى الطريق الذي تدخل هذه الجماعة القادمة من اليمن. وهذه بعض الروايات التي ذكرت ذلك :

١ ـ جاء في الحديث الذي أخرجه في البحار بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، عقب قوله: وتقبل رايات من شرق الأرض، ليست بقطن ولا كتان ولا حرير... قال: فبينما هم علىٰ ذلك إذْ أقبلت خيل اليماني والخراساني، يستبقان كأنهما فرسا رهان... [١]

تُنبئ هذه الرواية عن توجّه المتطوعين إلى العراق لنجدة العراقيين، وتذكر أن هؤلاء المتطوعين يأتون من الأقطار الإسلامية والعربية، فالمتطوعون غير العرب القادمون من الأقطار الإسلامية يأتون إلى العراق تحت قيادة الخراساني، وهو قائد أصله من إيران، وستكشف الأيام القادمة عن شخصيته. أما المتطوعون العرب القادمون من الأقطار العربية فهم يأتون إلى العراق تحت قيادة اليماني، وهو قائد أصله من اليمن. وتذكر الرواية أن اليماني والخراساني يسرعان إلى العراق، وكأنهما في سباق للوصول إلى العراق.

٢ ـ أخرج النعماني في الغَيْبة، بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال حين جاءه وفد من اليمن : ... قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، منهم المنصور، يخرج في سبعين ألفاً، ينصر خلفي وخلف وصيّي [٢].

٣ ـ أخرج في البحار، عن الكافي، بسنده عن عمر بن حنظلة، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: قبل قيام القائم خمس علامات محتومات:

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٤ .

(٢) الغَيْبة: ٢٥ .

اليماني، والسفياني، والصّيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[1].

٤ ـ وأخرج في البحار، بسنده عن الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن علي الزعفراني، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن عمير، عن هشام بن سالم، قال: لمّا خرج طالب الحق، قيل لأبي عبد الله عليه السلام: ترجو أن يكون هذا اليماني؟! فقال: لا، اليماني يوالي عليًا، وهذا يبرأ منه[2].

٥ ـ وبهذا الإسناد، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: اليماني والسفياني كفرسَيْ رهان[3] أي: يتسابقان علىٰ النفوذ علىٰ اليمن، أو يتسابقان علىٰ العراق، هذا يريد أن يدمر أهله، وهذا يريد أن ينجد أهله، أو يسعى كل منهما أن يسبق الآخر للنيل منه.

٦ ـ أخرج الطوسي في الغَيْبة، بسنده عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خروج الثلاثة: الخراساني، والسفياني، واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد... [4]. تدلّ هذه الرواية علىٰ تسارع الأحداث في عصر السفياني، فالثلاثة يخرجون في أوقات متقاربة، فقد يكون خروج اليماني والخراساني في السنة التي يتمكن فيها السفياني من السيطرة الكاملة علىٰ العراق، أو يكون خروجهما في الشهر الذي يتمكن فيه السفياني من ذلك، أو يكون خروجهما في اليوم الذي يعلن السفياني أن العراق كله صار خاضعاً لسيطرته، أو يكون خروجهما في الوقت الذي يخرج فيه السفياني من العراق متوجهاً إلى المدينة المنورة، أو إلى سوريا.

٧ ـ أخرج في البحار، بسنده عن أبي بصير، عن الإمام أبي جعفر

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٥

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢١٠.

الباقر عليه السلام حديثاً طويلاً عن السفياني، وذكر فيه خروج اليماني، ثم قال: . . . وليس في الرايات أهدى من راية اليماني، هي راية هدى، لأنه يدعو إلى صاحبكم. فإذا خرج اليماني حُرِّم بيع السلاح على الناس، وعلى كل مسلم. . . [1]

وقوله: فإذا خرج اليماني حُرِّم بيع السلاح على الناس وعلى كل مسلم يعني أن الحكومات الموالية للسفياني والمتحالفة معه، تمنع بيع أي سلاح للناس، وخاصة المتمسكين بالإسلام، خوفاً من استخدامه ضد جيوش السفياني.

ويظهر من الروايات أن اليماني يحقق انتصارات في خروجه لنجدة العراقيين، ويلتحق به جموع من الشباب المتحمّس لقتال الجيوش الأمريكية في العراق. وأنه هو وأصحابه يبايعون الإمام المهدي حين خروجه في مكة المكرّمة.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٣٢ .

الفصل الخامس
السُفياني يتوجه نحو الأقطار المجاورة للعراق

ذكرتُ سابقاً أن المرحلة الأولى من خطة الولايات المتحدة الأمريكية لإقامة إمبراطوريتها العالمية، كانت قد تمّ تنفيذها في رئاسة بوش الأب، بين سنة ١٩٩٠، وسنة ١٩٩١، أمّا المرحلة الثانية من الخطة الأمريكية لإقامة إمبراطوريتها العالمية، فقد جُعِلت للسيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط سيطرة عسكرية مباشرة. وذكرتُ أن الخطوة الأولى من هذه المرحلة تبدأ باحتلال العراق. وقد تمّ تحقيق هذه الخطوة. وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية الآن ببسط سيطرتها علىٰ جميع مناطق العراق ومدنه، وتعزيز قوتها العسكرية في العراق، ببناء قواعد عسكرية كبيرة، وزيادة عدد جنودها المنتشرين في كافة أنحاء العراق، وتكديس كميات من الأسلحة الحديثة في تلك القواعد. وتقوم الولايات المتحدة أيضاً بإعادة بناء الجيش العراقي وفق رؤية أمريكية، وأيديولوجية عسكرية أمريكية، وتحويل ذلك الجيش إلى جيش احتياطي للجيش الأمريكي، يخضع للسياسة الأمريكية، ويعمل علىٰ تحقيق الأهداف الأمريكية.

إن الخطوة الأولى من هذه المرحلة قد تمّ تنفيذها بنجاح، فما هي الخطوة التالية؟ إن الخطوة التالية ستكون باتجاه واحدة من الدول التالية المجاورة للعراق، وهي: سوريا، والمملكة العربية السعودية، وإيران.

لماذا تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدول؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يتطلب معرفة مواقف تلك الدول من خطة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، ومواقفها من إسرائيل. إن هذه الدول تُعَدُّ من أهم العقبات التي تقف في طريق تحقيق إمبراطورية أمريكا العالمية، كما أن هذه الدول تمثّل خطراً حقيقياً علىٰ إسرائيل.

إن موقف سوريا واضح تجاه خطط الولايات المتحدة في المنطقة عموماً، وخاصة موقفها من احتلال العراق. كما أن موقفها واضح من الكيان الإسرائيلي، فهي لم تدخل في جميع المعاهدات السلمية التي عُقِدتْ بين إسرائيل، وبعض الدول العربية المجاورة لها. وإلى جانب ذلك فإن سوريا تحتضن بعض المنظمات الفلسطينية التي تقاوم الاحتلال الإسرائيلي، وتتهمها الولايات المتحدة وإسرائيل بأنها منظمات إرهابية.

وموقف إيران تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل معلوم من خلال مواقفها السياسية، وعلى لسان مسئوولياها، ومن خلال مواقف عملية تجسدت في مساندتها لحزب الله الذي يُعَدُّ من أشد أعداء أمريكا وإسرائيل.

هناك خطر آخر علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية، يأتي من المدينة المنورة ومكة المكرمة داخل المملكة العربية السعودية، وهو خروج قائد إسلامي كبير في هاتين المدينتين المقدستين، ويتمكن هذا القائد الإسلامي أن يجمع العرب والمسلمين، ويوحدهم، ويقودهم في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين. وقد أنبأت عنه الروايات الإسلامية، وسمته (المهدي)، وأنبأت عنه نصوص في العهد القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، وإن إدارة الرئيس بوش الابن أعضاءً ورئيساً يؤمنون بحتمية حدوث ذلك إيماناً شديداً.

يقول المحلل الشهير هانز أولريش يورجيس في تقرير مهم نُشِر يوم ٤/١٠ /٢٠٠٣، قال فيه: إن نهاية صدام ما هي إلا أول البداية لإعادة

تشكيل أنظمة العالم العربي الإسلامي بالقوة العسكرية، إذا لم تنجح الضغوط السياسية والمؤامرات الاستخباراتية... وأضاف قائلاً: هنا تلتقي المصالح الأمريكية والإسرائيلية، والتي يتحتّم علينا أخيراً أن نناقشها علانية، لأنها أصبحت هي التي تحدد الحِقبة التي تمّ الزجُّ بنا في داخلها، خاصة مع استهداف ليس فقط دولاً معادية لأمريكا، مثل سوريا وإيران ولبنان، بل أيضاً دولاً من حلفاء أمريكا، مثل مصر والسعودية. وهذا ما أدى إلى أن تكون فرنسا وألمانيا وروسيا أشبه ما يكون بالحلف السياسي المعارض لأمريكا، لمنعها من بسط نفوذها الاقتصادي على النفط في الشرق الأوسط، والجيوسياسي في الخليج العربي، ووسط آسيا، والعراق... وربما سوريا وإيران ولبنان... طبعاً والأردن[1].

ونشرت صحيفة (دي يونج فيلت) الألمانية تحليلاً سياسياً لما بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣، جاء فيه: إن هدف الولايات المتحدة الأمريكية هو أن تجعل العراق موالياً للغرب سريعاً، بتأثير الفترة الانتقالية الأمريكية، والتي ستضم لها منطقة الشرق الأوسط بأكملها... (وأضافت الصحيفة) إن التواجد الأمريكي في العراق، وخاصة التواجد العسكري سوف يوسع من النفوذ الأمريكي في المنطقة بأكملها، وخاصة في إيران.. وفي سوريا التي سوف يردعها الوجود الأمريكي، ويوقف تقدمها... ، ثم أشارت الصحيفة إلى أن سوريا وإيران هما أول الدول المرشحة للحرب القادمة التي يُعِدُّ صقور الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر. وأشارت أيضاً إلى ورقة إستراتيجية خاصة وقعها كل من ريتشارد بيرل، رئيس لجنة التخطيط السياسي بوزارة الدفاع الأمريكية، ودوجلاس فيث، مساعد وزير الخارجية الأمريكية، تتضمن توصيات لاحتلال العراق والسعودية ومصر. وذكرت أن اجتماعاً عُقِدَ

---

(١) الحروب المقدسة: ٤٧ .

في وزارة الدفاع الأمريكية حضره ريتشارد بيرل ودوجلاس فيث، وعُرِضَ فيه الأمر علىٰ لوحة توضيحية تضمنت أضلاعاً ثلاثة: **الضلع الأول**: هو العراق، **والثاني**: منطقة الخليج، **والثالث**: مصر. وقد علّق لوس جارس أستاذ التاريخ العسكري في جامعة بال الأمريكية في مجلة الاستخبارات الأمريكية الشهيرة فورس بوليس، قائلاً: لقد أصبح الرئيس بوش يمتلك حالياً إستراتيجية كبرى لتغيير الشرق الأوسط الإسلامي بأكمله، لجلبه مرة واحدة وإلى الأبد إلى العالم الحديث[1].

وألقى جيمس ووسلي وهو أحد مساعدي جاي جارنر، الذي تولى منصب الحاكم المدني الأمريكي للعراق بعد الاحتلال، محاضرة في ٢/ ٤/ ٢٠٠٣م، أي قبل سقوط بغداد بأسبوع، قال فيها: إن أمريكا منخرطة في حرب عالمية قد تطول لسنوات عديدة. ثم حدد ثلاثة أعداء في هذه الحرب، هم: حكام إيران، وحكام سوريا والعراق، والإسلاميون المتطرفون، أمثال القاعدة، وقال: إن تحرك أمريكا نحو الشرق الأوسط الجديد سوف يقلق أيضاً مصر والسعودية، وعليهم أن يقلقوا، لأننا سوف ننحاز إلى الشعوب هناك ضدّ مبارك وآل سعود..

والآن وقد أصبح الأمر واضحاً، وهو أن الخطوة القادمة بعد العراق في طريق السيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الكبير هي التحرك باتجاه واحدة أو أكثر من الدول المجاورة للعراق، وهي سوريا وإيران والمملكة العربية السعودية. أما مصر فإن أمرها سيكون بعد التحرك باتجاه تلك الدول أو في أثنائه، حسب مجريات الأحداث.

---

(١) الحروب المقدسة: ٧٤ ـ ٧٥ .

السُفياني يتوجه إلى سوريا

يبدو من مجريات الأحداث في العراق، وما تقوم به الولايات المتحدة من تصعيد إعلامي وسياسي واقتصادي ضد سوريا أن سوريا هي الدولة الأولى المرشحة لسيناريو حرب علىٰ شاكلة الحرب علىٰ العراق. والرواية التالية تدل علىٰ ذلك :

أخرج في البحار، بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام حديثاً عن السفياني، نقلتُ منه فقرات في الفصول السابقة، ومما قال فيه: ويسبي من الكوفة أبكاراً لم يكشف عنهنّ كفٌّ ولا قناع، حتى يوضعن في المحامل... ثمّ يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق، حتى يضربوا دمشق، لا يصدّهم عنها صادٌّ[1].

تُنبئ هذه الرواية عن تحرك السفياني بعد الكوفة، وتُشير إلى أن الدولة التي يخرج إليها السفياني بعد تمكنه من العراق هي سوريا، وتذكر أن السفياني يتحرّك نحو دمشق بجيشٍ كبيرٍ عدده مائة ألف جندي، وأنهم يزحفون نحو دمشق، ولا يستطيع أحد أن يصدّهم عنها، أو يوقفهم عن التقدم إليها، حتى يضربوها. وتُشير إلى علامة رمزية مهمة لهذا الجيش، وهي أنه يتألف من مشركين ومنافقين. إن هذه العلامة الرمزية لذلك الجيش تلقي الضوء علىٰ حقيقة الجيش الذي يتحرك نحو سوريا، وبها نعرف أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الجهة المقصودة التي تُعِدُّ ذلك الجيش، ثمّ توجّهه في الوقت المناسب، فهي تقوم الآن في العراق بعملين كبيرين،

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٤ .

الأول: هو بناء قواعد عسكرية ضخمة، وخاصة في المناطق القريبة من الحدود مع سوريا، وتقوم بشحن كميات ضخمة من الأسلحة المختلفة، وتكديسها في تلك القواعد. والشخص العادي في العراق يشاهد كلَّ يوم عشرات من الناقلات والشاحنات العسكرية الأمريكية وهي تدخل العراق قادمة من الكويت، أما طائرات النقل والشحن العسكرية الأمريكية فلا يستطيع المرء أن يُحصيها وهي تهبط وتقلع في القواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة في جميع أنحاء العراق.

أما **العمل الثاني**: الذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في العراق فهو بناء جيش عراقي، يُختار أفراده من المنافقين الذين كانوا مستفيدين من نظام صدام، ويكون قادته من الضباط الذين حوّلوا ولاءهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية طلباً للمال. وتقوم الولايات المتحدة بتدريب هذا الجيش تدريباً عالياً، وبناء عقليته العسكرية بناءً خاصاً، لكي يمكن استخدامه في تحقيق أهدافها في المنطقة. وإلى هذا أشار الحديث المروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: ثم يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق، فالمشركون هم من الجيش الأمريكي، والمنافقون هم من الجيش العراقي الذي بنته أمريكا.

وأخرج في عقد الدرر، والمجلسي في البحار، كلاهما بسنده عن حذيفة بن اليمان، أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، ثم قال: فيبعث السفياني جيشين: جيشاً إلى المشرق، وآخر إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة ـ يعني بغداد ـ... ثم ينحدرون (أي: جيوش السفياني) إلى الكوفة، فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام[1].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢/ ٨٢، نقلاً عن عقد الدرر، وانظر بحار الأنوار: ٥٢/ ١٨٦.

إن الفتنة بين أهل المشرق، وهم المسلمون، وبين أهل المغرب، وهم الولايات المتحدة الأمريكية، وحلفاؤها الغربيون حادثة الآن، وإن السفياني (وهو الولايات المتحدة الأمريكية) قد بعث جيشاً إلى المشرق، ونزل بأرض بابل، وهي العراق، ودخل بغداد، ثم انحدر إلى الكوفة، وخرَّب ما حولها. وفي الانتظار أن تخرج جيوش الولايات المتحدة الأمريكية إلى الشام، للنيل من سوريا.

السفياني
يسيطر علىٰ كل بلاد الشام

إن الولايات المتحدة الأمريكية تعرف أن السيطرة علىٰ سوريا يعني سقوط بقية دول منطقة الشام بيدها دون قتال. وهذه معلومة يعرفها كلّ مفكّر ومحلل سياسي. فإذا سقطت سوريا سقطت لبنان والأردن. أما فلسطين فأكثرها محتلٌ من قبل الكيان الإسرائيلي، الذي يُعَدُّ ركناً مهماً من أركان السفياني، كما تقدّم.

وما لم يُحتل من أرض فلسطين فسيكون تحت سيطرة الكيان الإسرائيلي، أو سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية التي ستصبح الحاكم العام لبلاد الشام. وقد أشارت إلى هذا الأمر الروايات التي تحدثت عن سيطرة السفياني علىٰ بلاد الشام.

أخرج النعماني في الغَيْبة، بسنده عن ابن عقدة، عن علي بن الحسن التيملي، عن العباس بن عامر بن رباح، عن محمد بن الربيع الأقرع، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: إذا استولى السفياني علىٰ الكور الخمس، فعدّوا له تسعة أشهر ـ قال هشام :الكور الخمس هي:

دمشق وفلسطين والأردن وحمص وحلب -[1]

إن هذه الرواية تشير بوضوح إلى أن السفياني يستولي علىٰ كل بلاد

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٥٢ .

الشام، وأشارت أيضاً إلى أمر مهم، وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية (السُفياني) إذا استولت علىٰ بلاد الشام، فإنها ستفاجأ بعد تسعة أشهر بظهور الإمام المهدي. أخرج في عقد الدرر، بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: إن السفياني إذا استولى علىٰ الكور الخمس خرج الإمام المهدي[1].

وهذا يعني أن استيلاء الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ بلاد الشام وخروج الإمام المهدي يكون في سنة واحدة.

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٨٥ ـ ٨٦ .

السُفياني يشنُّ حرباً على إيران

هناك أسباب عديدة تدعو الولايات المتحدة الأمريكية إلى القيام بضربة عسكرية لإيران. ومن أهم هذه الأسباب أن إيران الإسلامية تشكّل خطراً حقيقياً على إسرائيل، وخاصة بعد أن تمَّ الكشف عن المشروع النووي الإيراني، ودخول المشروع مرحلة تخصيب اليورانيوم. ومن تلك الأسباب تأثير إيران في مجرى الأحداث في العراق، في الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة الأمريكية إلى إحكام قبضتها للعراق، وإخضاعه بسرعة لإرادتها، ويضاف إلى ذلك دخول نجدة من الإيرانيين المتطوعين العراق، لنجدة العراقيين من أهالي الكوفة والنجف وكربلاء، بعد أن تفعل الجيوش الأمريكية بهم كما فعلت بأهل الفلوجة، وغيرها من المناطق، من القتل والدمار واستباحة المحرمات وهتك الأعراض... وقد أشرتُ إلى الروايات التي ذكرت تلك النجدة من المتطوعين الإيرانيين القادمين من إيران إلى العراق فيما سبق.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تدرك في الوقت نفسه أنها لا تستطيع أن تتورط بحرب شاملة مع إيران، لأنها لو فعلت ذلك فستخرج من تلك الحرب بخسائر جسيمة، قد تؤدي إلى انهيار قوتها العسكرية. وبناءً على هذا التحليل فإنها ستقوم بحرب حدودية محدودة، يرافقها توجيه ضربات صاروخية وجوية للمفاعلات النووية الإيرانية، والهدف من هذه الحرب هو استنزاف قوة إيران العسكرية، ووَأْد المشروع النووي الإيراني قبل أن يرى النور.

إن افتعال أزمة سياسية مع إيران أمر سهل، وأقرب شيء يرد إلى الذهن

هو أن الحكومة العراقية الجديدة تتهم إيران بأنها تقف وراء العمليات الإرهابية التي تحدث في العراق وأنها تموّل أولئك الإرهابيين، وتقدم لهم الدعم اللوجستي، ثم تطلب هذه الحكومة من الولايات المتحدة الأمريكية مساعدتها في وقف التدخلات الإيرانية في شؤون العراق. وقد تتخذ الولايات المتحدة دخول المتطوعين الإيرانيين إلى العراق لنجدة أهل العراق، والدفاع عن مراقد الأئمة، ذريعةً لافتعال أزمة سياسية مع إيران، ثم تُصعِّدها إلى مواجهة عسكرية معها. تحت هذه الذرائع وغيرها تدفع الولايات المتحدة بجزءٍ من جيوشها المعسكرة في العراق نحو حدود الجمهورية الإسلامية في إيران، وقد تستخدم الجيش العراقي الذي بنته بيدها، ودرّبته تدريباً عالياً ليقوم بجانب من هذه الحرب مع إيران. ومن الروايات الدالة علىٰ ذلك :

١ ـ أخرج في عقد الدرر عن أبي بكر محمد بن الحسين النقاش، أن جيش السُّفياني بعد أن يغلب علىٰ الكوفة يصير ثلاث فرق: فرقة تسير نحو الري، وفرقة تبقى في الكوفة، وفرقة تأتي نحو المدينة[١].

٢ ـ أخرج في كنز العمال، نقلاً من فتن نعيم، قال أخرج بسنده عن عمار بن ياسر، قال : . . . . وتقبل خيل السفياني كالليل والسيل، فلا تمرّ بشيء إلاّ أهلكته وهدّمته، حتى يدخلوا الكوفة، ويقتلوا شيعة آل محمد، ثم يطلبون أهل خراسان في كلّ وجه وجهة، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيدعون الله وينصرونه[٢].

تشير الرواية رقم (١) إلى أن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تسيطر علىٰ العراق، وتخضعه لإرادتها بالقوة الغاشمة ترسل فرقتين من جيوشها إلى الدول المجاورة للعراق للقيام بمهمات قتالية، الفرقة الأولى

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٣ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ .

ترسلها إلى الري، والمقصود بها إيران الحالية، والفرقة الثانية ترسلها إلى المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية.

إن الأحداث الجارية في العراق، وافتعال أزمات سياسية مع إيران والسعودية يشير إلى إمكانية حدوث ما أنبأت به هذه الرواية قريباً.

أما الرواية رقم (٢) فتنبئ بأن الولايات المتحدة الأمريكية تأتي إلى العراق بجيشٍ عظيم كالليل والسيل، وأن هذا الجيش يدمر كل شيء في العراق، ويهلك الإنسان والحيوان، وأنها بعد أن تتمكن من العراق تتوجه إلى إيران طالبة الإيرانيين بكلِّ وجه، أي بكل سبب أو ذريعة تبرر بها إعلان الحرب عليهم، ولكن الإيرانيين يخرجون لقتال الولايات المتحدة الأمريكية طلباً للإمام المهدي.

وفي هذا دليل علىٰ أن المهدي يكون ظهوره بعد حصول هذا الحدث قريباً.

٣ ـ أخرج في كنز العمال، بسنده عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أنه قال: إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، علىٰ مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسفياني بباب اصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه[1].

إن العبارة (فيلتقي هو والهاشمي برايات سود) مضطربة ولا تنسجم مع سياق العبارة التي قبلها، والتي بعدها.

ولما كنت متخصصاً في تحقيق المخطوطات فإنني أجد أنه قد حصل تحريف من قبل النُّساخ في لفظِ (فيلتقي) بسبب الاشتباه، أو عدم وضوح

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٧، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ٢٦٠.

الخط في المخطوط الذي نُقلت منه. واللفظة في الأصل ـ كما أعتقد ـ هو (فيأتي)، ثم نُسِخت إلى (فيلتقي)، و الضمير [هو] إضافة من الناسخ بعد أن حرّف (فيأتي) إلى (فيلتقي). وبناءً علىٰ هذا التحقيق يكون سياق الرواية كما يلي :

(إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيأتي الهاشمي برايات سود، علىٰ مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسفياني بباب اصطخر).

وقد وردت روايات في هذا المعنى، تذكر خروج الهاشمي من خراسان برايات سود علىٰ مقدمته شعيب بن صالح منها :

أخرج ابن طاوس في الملاحم والفتن، من فتن نعيم، قال: حدثنا نعيم، حدثنا سعيد أبو عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، ويأتي من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياني، فيهزمهم[1].

إن (الهاشمي) الذي يأتي من خراسان هو قائد سياسي إيراني من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد وصفته الرواية بأنه (في يده اليمنى خال).

والخال في اللُّغة: اللواء المعقود.

والخال: الشامة أو النقطة البيضاء[2].

والراجح الأول. ويدلّ (اللواء المعقود) علىٰ المنصب السياسي والعسكري الذي يتقلّده مَنْ يحمل ذلك اللواء. أي: يخرج قائد سياسي إيراني أصله من بني هاشم، يتقلَّدُ منصبًا سياسيًا وعسكريًا كبيراً.

---

(١) الملاحم والفتن: ٣٨ .

(٢) المعجم الوسيط: (خال).

أما شعيب بن صالح فهو يرمز إلى قائد عسكري ينفّذ أوامر القائد السياسي والعسكري الكبير.

واصطخر: مدينة قديمة في منطقة الأهواز، وبها مسجد يُعرف بمسجد سُليمان، وله قنطرة تُعرف بقنطرة خراسان، خارجة عن المدينة علىٰ بابها مما يلي خراسان[1].

إن الرواية السابقة تُنبئ عن حصول معركة فاصلة بين الجيش الأمريكي الذي يتوجه إلى إيران ويصل إلى الأهواز، وبين الإيرانيين بقيادة القائد الهاشمي، وتنبئ أن الولايات المتحدة الأمريكية ستنهزم في هذه المعركة.

وأعتقد أن معركة الأهواز هذه ستكون بداية لهزيمة الولايات المتحدة في العراق.

---

(١) معجم البلدان: ٢ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

السُفياني يحتل المدينة المنورة

ذكرت الرواية السابقة التي أخرجها في عقد الدرر أن السفياني بعد أن يسيطر علىٰ العراق يرسل فرقتين من جيشه: **الأولى**: يرسلها إلى إيران، **والثانية**: يرسلها إلى المدينة المنورة. إن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا المدينة المنورة؟

إن المحلل السياسي والخبير في الإستراتيجية يفهم أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تنجح في تحقيق أهدافها التي خرجت من أجلها ـ وهي السيطرة العسكرية المباشرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط، لإقامة إمبراطوريتها العالمية ـ إلا إذا حققت الأمور التالية :

الأول: احتلال العراق، واتِّخاذه طريقاً إلى السيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي.

الثاني: السيطرة علىٰ سوريا، وعلى كلّ منطقة بلاد الشام.

الثالث: تدمير القوة العسكرية في إيران، واستنزافها بشريًا واقتصاديًا، وصولاً إلى جعلها غير قادرة علىٰ الوقوف بوجه الولايات المتحدة الأمريكية، لمنعها من تحقيق أهدافها في المنطقة.

الرابع: القضاء علىٰ خطر التيار السلفي في المملكة السعودية، وعلى المتشددين من هذا التيار خاصة.

الخامس: تأمين المركزين المقدسين عند المسلمين، وهما مكة والمدينة المنورة من أن يخرج فيهما قائد إسلامي كبير، يتمكن من السيطرة عليهما، وجمع المسلمين والعرب، وتوحيدهم ضد الولايات المتحدة الأمريكية

وحلفائها الغربيين. وقد أنبأت عن خروجه في هذين المكانين المقدسين الروايات الإسلامية، وسمّته (المهدي)، وأنبأت عنه نصوص في العهد القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى.

هذه الأمور الخمسة إذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقها، فإنها تستطيع السيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي. وبناءً علىٰ هذا الفهم فإن الولايات المتحدة لا بدّ من أن تستهدف المملكة العربية السعودية، وخاصة المدينة المنورة، ومكة المكرمة، ضمن خطتها للسيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي. والروايات الإسلامية الواردة عن الرسولﷺ وأهل بيته وصحابته في هذا الشأن، تؤكّد أن السفياني يستهدف المدينة المنورة أولاً، ثم مكة المكرمة لاحقاً. وهنا يبرز سؤال جدير بالطرح، وهو :

ما هي الأسباب التي يمكن أن يتخذها السفياني مبرراً لزحفه إلى المدينة المنورة؟

قد يستبعد المرء أن تقدم الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ القيام بمثل هذا الأمر، لأنه ليس هناك أسباب تدعوها للقيام بذلك. ولكن الباحث في شؤون السياسة الأمريكية يجد أنّ الولايات المتحدة إذا أرادت أن تقوم بعمل ما فإنها تخلق لذلك أسباباً تتخذها مبرراً للقيام به، وخلق الأسباب أمر سهل في السياسة الأمريكية. هذا، وقد كتبتُ هذا البحث قبل مُدّةٍ طويلة، لكنّي كنتُ متردّداً في نشره، فتأخَّرَ نشرهُ بعض الوقت. ولمّا حصل الحدث الجلل الذي أبكى عيون المسلمين وأدمى قلوبهم، وهو تفجير مرقدي الإمامين العسكريين عليّ الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) في سامراء، وكان قبل هذا الحدث الإساءة إلى الرسول الأعظمﷺ، من قبل وسائل الإعلام التي يقف اليهود الصهاينة وراءها، رأيتُ أنْ أضيف إلى ما تقدّم التعليق التالي: ليست تلك الإساءة لشخص الرسولﷺ حدثاً عابراً قامت به صحيفة أو صحفٌ غير مسؤولة، وليس ذلك الحدث الجلل الذي حصل لقبّتي

الإمامين العسكريين عليهما السلام حدثاً عابراً نفَّذته جماعات تكفيرية غير مسؤولة، كما تشيع أبواق المحتلّ الأمريكي في العراق إنما حصلت تلك الإساءة لشخص الرسول، وذلك الحدث الجلل لحفيدَي الرسول في سامراء بتخطيط وتنفيذ من قبل السفياني وأجهزة مخابراته، للتمهيد لحدث أعظم وخطب أكبر سيصيب مدينة رسول الله ومسجده الشريف حين يتوجّه السفياني إلى المدينة المنورة، كما أخبرت عنه الروايات الإسلامية. وإذا اعتمدنا هذه الحقيقة فإن حدوث ما ذكرته الروايات من أمر زحف السفياني إلى المدينة المنورة، واحتلالها يصبح أمراً ممكناً بعد أن كان مستبعداً. ويستطيع مَنْ يقرأ العقلية الأمريكية، ويتابع سياساتها في العالم أن يفترض عدداً من الأسباب، فإذا حدث واحد منها اتّخذته مبرراً لتنفيذ خطتها في السيطرة على المدينة المنورة ومكة المكرمة. وهناك سبب مُحتمل، وهو أن تقوم الإدارة الأمريكية بإحداثه، ويرجح حدوثه وضع الجماعات الإسلامية المتشددة في السعودية. ويمكن عرض هذا السبب على النحو التالي :

إن بعض الأجهزة في الإدارة الأمريكية، التي تعمل في خدمة الصهيونية استطاعت أن تخترق بعض الجماعات الإسلامية المتشددة، وأن تزرع في جسدها أشخاصاً يحملون فكر تلك الجماعات، ويلبسون لباسها، ويعيشون ظروفها، ويمتلكون قدرة متفوقة على التنظير والتنظيم والتخطيط، ولكنهم في الوقت نفسه مرتبطون بتلك الأجهزة، وينفذون مخططاتها. وهؤلاء الأشخاص مدربون تدريباً عالياً على كسب ثقة الجماعات التي يعملون معها، وخاصة الجماعات الإسلامية المتشددة. وبالفعل استطاع هؤلاء الأشخاص أن يحوزوا على ثقة تلك الجماعات الإسلامية، وأن يصبحوا قادة وأمراء فيها، وأصبحت كلمتهم مقدّسة عندهم، وأوامرهم فرضاً واجب التنفيذ، فراحوا ينفخون فيهم روح التطرف، وأوحوا لهم أفكاراً تُحِلُّ لهم تدمير مجتمعاتهم، لأنها ـ حسب تلك الأفكار ـ مجتمعات كافرة، معادية لله تعالى.

إن الجماعات الإسلامية المتشددة يقعون بسبب تشددهم في أيدي أولئك الأشخاص، فيصبحون أدوات لتنفيذ مخططات أعداء الإسلام، وهم يحسبون أنهم يعملون في سبيل الله، ومن أجل الإسلام. إن المتشددين والمغالين في أمر من الأمور هم أكثر الناس استعداداً لأن يكونوا مطايا لتنفيذ مخططات جهات خاصة، إذا قدمت لهم تلك الجهات الأموال والمعدات والتدريبات اللازمة، لتحقيق الأمور التي يغالون أو يتشددون فيها، عن طريق أولئك الأشخاص. وينفّذ هؤلاء المتشددون ما يخططه لهم أولئك الأشخاص بكلّ عزم وإخلاص، لأنهم معتقدون أن ما يقومون به هو الجهاد المفروض عليهم.

ويبدو أن بعض المتشددين الإسلاميين في السعودية قد وقعوا في أيدي أولئك الأشخاص، لأن المسلم العاقل قد يسأل مثلاً عن الحكمة أو الفائدة من وراء قطع رأس أمريكي ليس جاسوساً يعمل لصالح المخابرات الأمريكية، ولم يقتل مسلماً، ولم يتعدّ علىٰ حرمات الإسلام والمسلمين، ولم يجاهر بالكفر. وحين يتأمل المسلم العاقل في هذه الحادثة مثلاً يجد أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المستفيدة من وراء تنفيذها، لأنها اتخذتها سبباً لإقناع الشعب الأمريكي بوجوب استمرار الإدارة الأمريكية في حملتها العالمية ضد الإرهاب، وللتأثير علىٰ مشاعره ليرضى بما تفعله الإدارة في البيت الأبيض بالمسلمين، تحت ما يسمّى القضاء علىٰ الإرهابيين، ولتعبئة الأمريكيين ضد الإسلام والمسلمين، وللتأثير علىٰ سياسة الحكومة السعودية تجاه شعبها، لزعزعة ثقة الشعب بحكومته. إن منفذي قطع رأس ذلك الأمريكي قد فعلوا ذلك، لأنهم اعتقدوا أنهم حققوا بهذا الفعل هدفاً دينياً، وهو مجاهدة الكفار، وإخراجهم من جزيرة العرب. إن هذا الهدف بحدِّ ذاته هو هدف أصيل للإسلاميين، ولكن طريقة تحقيقه بقطع رأس ذلك الأمريكي، والفوائد التي حصلت عليها الولايات المتحدة الأمريكية من وراء ذلك يدلّ علىٰ أن منفّذيه

تلقوا أوامرهم من أولئك الأشخاص، ونفذوا بتوجيه وتخطيط منهم أيضاً.

إن الإدارة الأمريكية برئاسة بوش الابن تولي مسألة خروج قائد إسلامي كبير في المدينة المنورة ومكة المكرمة أهمية كبيرة، وعناية عظيمة، وهي لهذا السبب تستخدم كل ما توصلت إليه من تكنولوجيا التجسس، وكل ما عندها من الجواسيس، وكل إمكانات الرصد والمتابعة، لمعرفة شخص ذلك القائد، وتحديد مكانه.

إن ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية في العراق وبلاد الشام وإيران وفلسطين من ظلم وقتل وسفك دماء وتخريب وتدمير، ولا أحد يستطيع أن يوقفها عند حدها، كل ذلك يجعل ذلك القائد الإسلامي الكبير يتحرك لأجل التهيئة لأمر خروجه، ويبدأ هذا التحرك في المدينة المنورة. ويعاونه في هذه الحركة قوة من الأصحاب المخلصين جداً، ذكرت الروايات أن عددهم ثلاثون رجلاً.

أخرج الطوسي في كتاب الغَيْبة، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: لا بدّ لصاحب هذا الأمر (أي المهدي) من عزلة، ولا بدّ في عزلته من قوة، وما بثلاثين من وحشة، ونِعْمَ المنزل طَيْبة. وأخرج الحديث النعماني في كتاب الغَيْبة، بإسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام[1].

إن هذه الحركة التي يقوم بها المهدي ذلك القائد الإسلامي الكبير هي مرحلة الظهور الخفي بعد الغَيْبة الكبرى التامة للمهدي. وهي المقصودة في حديث المفضّل عن الإمام الصادق عليه السلام، إذْ قال: يظهر (أي المهدي) في شُبهة، ليستبين، فيعلو ذكره، ويظهر أمره[2]. والمعنى: أنه يظهر بالتدريج، ثم يتضح أمره للناس ويستبين[3]. والشبهة :

---

(١) الغيْبة للطوسي: ١١٢، والغَيْبة للنعماني: ٩٩، وانظر بحار الأنوار: ٥٢ ـ ١٥٣، ١٥٧ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٣ ـ ٣ .

(٣) عصر الظهور: ١٩٠ .

الالتباس واختلاط الأمور بعضها ببعض.

ويظهر من الروايات أن الغَيْبة الكبرى للمهدي تنتهي في زمن ظهور السفياني، وأنه يخرج في هذا الزمن من مكانه السرّي للقيام بالتمهيد لظهوره العلني. ويشير إلى هذا المعنى التوقيع الذي خرج من الإمام المهدي إلى نائبه علي بن محمد السمريّ، الذي هو آخر النواب في فترة الغيبة الصغرى، وقال فيه: ... ولا توصي إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغَيْبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالىٰ ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلب، وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي من شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة، ألا فمَنْ ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم[1]. إن هذا التوقيع الصادر عن الإمام المهدي نفسه يدلّ علىٰ أن الغيبة التامة تنتهي بظهور السفياني وحدوث الصيحة، وأنه عليه السلام بعد ظهور السفياني يكشف عن نفسه لبعض أنصاره، للإعداد لمرحلة الظهور التام.

ويظهر من الروايات أن حركة الإمام المهدي التي يقوم بها في المدينة المنورة للإعداد لمرحلة الظهور التام تكون في زمن حصول أحداث عظيمة في المنطقة. ومن أبرز هذه الأحداث خروج جيوش الولايات المتحدة الأمريكية من العراق إلى سوريا، للسيطرة علىٰ كل بلاد الشام، واندلاع حرب شديدة بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية في إيران. أما الروايات التي أشارت إلى توجه جيوش الولايات المتحدة إلى سوريا وبلاد الشام فمنها:

١ ـ أخرج النعماني في كتاب الغَيْبة، بسنده عن عيسى بن أعين عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب، ومن أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ١٥١ .

فيها. فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً[1]. والكور الخمس هي: دمشق وحلب وحمص والأردن وفلسطين وأخرج الحديث بالسند المذكور عن الإمام الصادق عليه السلام في (إكمال الدين وإتمام النعمة)[2].

٢ ـ أخرج النعماني في الغَيْبة بإسناده عن خلاد الصائغ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: السفياني لا بدّ منه، ولا يخرج إلا في رجب. فقال له رجل: يا أبا عبد الله إذا خرج فما حالنا؟ قال: إن كان ذلك فإلينا[3]. ومعنى قوله: إن كان ذلك فإلينا:

إن حصل ذلك من أمر السفياني، فالأمر ينتهي إلينا بظهور قائمنا.

٣ ـ وأخرج في الكافي بإسناده إلى أبي القاسم عيص بن القاسم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: . . . إذا كان رجب فاقبلوا علىٰ اسم الله عزَّ وجلَّ. وإن أحببتم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضَيْر. وإن أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعلّ ذلك أن يكون أقوى لكم، وكفاكم بالسفياني علامة[4].

٤ ـ وأخرج النعماني في الغَيْبة بإسناده عن محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال: وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم، وهو من العلامات لكم، مع أن الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه، لم يكن عليكم بأس، حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم. فقال له بعض أصحابه: فكيف يُصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: يتغيّب الرجل منكم عنه، فإن حنقه وشرهه إنما علىٰ شيعتنا. وأما النساء فليس عليهنّ بأس إن شاء الله

---

(١) الغَيْبة للنعماني: ٢٠٢ .

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٦٠٩، ٦١٢ .

(٣) الغَيْبة للنعماني: ١٦٠ ـ ١٦١، وانظر: بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٤٩ .

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٠٢ .

تعالىٰ قيل :فإلى أين يخرج الرجال ويهربون منه؟ ومَنْ أراد أن يخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان؟ قال: ما تصنعون بالمدينة، وإنما يقصد جيش الفاسق إليها، لكن عليكم بمكة، فإنها مجمعكم. وإنما فتنته حمل امرأة، تسعة أشهر، لا يجوزها إن شاء الله[1].

٥ ـ وأخرج في البحار، بإسناده عن إسماعيل بن مهران، عن ابن عميرة، عن الحضرمي، قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: كيف نصنع إذا خرج السفياني؟ قال: تُغيِّب الرجال وجوهها منه، وليس علىٰ العيال بأس. فإذا ظهر علىٰ الكور الخمس ـ يعني كور بلاد الشام ـ فانفروا إلى صاحبكم[2].

إن هذه الروايات تتحدث عن أمر مشترك، وهو خروج السفياني، وذكر بعضها أن خروجه يكون في رجب، وذكر بعضها أن مدة خروجه في رجب إلى ظهور الإمام المهدي خمسة عشر شهراً، وأنه يقاتل مدة ستة أشهر حتى يحتل بلاد الشام بكورها الخمس، وأن مدة سيطرته علىٰ بلاد الشام من بداية احتلاله العسكري لها إلى ظهور المهدي تسعة أشهر. وإذا درسنا العلاقة بين ما ذكرته هذه الروايات فإننا نجد دليلاً يشير إلى أن المقصود بخروج السفياني هو خروج جيوشه لاحتلال سوريا وبلاد الشام (الكور الخمس)، وأن هذا الخروج يكون في رجب، وأن جيوشه تواجه مقاومة كبيرة في بلاد الشام، وأنه لا يستطيع السيطرة علىٰ بلاد الشام إلا بعد ستة أشهر من القتال.

وقد أشارت الروايات التي ذكرتها سابقاً في حديثي عن المواجهة التي تحدث بين جيش الجمهورية الإسلامية في إيران وبين جيش السفياني، أشارت إلى حصول قتال في هذه الفترة الزمنية أيضاً، أو بعدها بقليل، بين فرق من الجيش السفياني وجيش الجمهورية الإسلامية في إيران. ومن هذه الروايات الرواية التالية :

---

(١) الغَيْبة للنعماني: ٢٠٢ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٧٢ .

أخرج في عقد الدرر: ثم يغلب السفياني علىٰ الكوفة... فيصير ثلاث فرق: فرقة تسير نحو الري، وفرقة تبقى في الكوفة، وفرقة تأتي نحو المدينة المنورة[1]. وأخرج في عقد الدرر، عن كتاب الفتن، لأبي عبد الله نعيم بن حماد، عن عبد الله بن مسلمة، قال: سمعتُ أبا قبيل يقول: يبعث السفياني جيشاً إلى المدينة، ويأمر بقتل كل مَنْ كان من بني هاشم، حتى الحبلى، وذلك لما صنع الهاشمي الذي يخرج علىٰ أصحابه من

المشرق. فيقول (أي السفياني): ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلاّ من قبلهم، فيأمر بقتلهم... [2]

إن المعنى الذي يظهر من هذه الرواية أن السفياني يصبّ جام غضبه علىٰ بني هاشم في المدينة المنورة حين يستولي عليها، وذلك بسبب الخسائر التي يلحقها بجيشه الهاشمي في الحرب التي تحدث بين جيشيهما في المشرق (إيران)، فيأمر بقتل بني هاشم في المدينة المنورة بسبب ما يفعله الهاشمي في إيران بجيشه. وفي هذا دليل علىٰ أن السفياني يستولي علىٰ المدينة المنورة في الوقت الذي تخوض جيوشه قتالاً شديداً مع جيوش الهاشمي في إيران في هذه الفترة الزمنية، وفي خضمّ هذه الأحداث الكبيرة يبدأ الإمام المهدي حركته المباركة السرية في المدينة المنورة، إعداداً لمرحلة الظهور العلني التام. وعلى الرغم من السرية في حركة الإمام المهدي فإن أجهزة الرصد والمخابرات الأمريكية والدولية تكتشف حركته هذه، لأن ظهوره لبعض أصحابه يُعَدُّ حدثاً عظيماً في هذه الفترة الزمنية الحالكة في حياة الأمة التي هي بأشد الحاجة إلى ظهور قائد إسلامي كبير. ولابدّ لهذا الحدث العظيم من أن يتناقله الأنصار، ويخبر مَنْ رأى الإمام منهم أصحابه بهذا الأمر. والرواية التالية تؤكد هذا الذي ذكرته: أخرج النعماني في الغَيْبة، بإسناده إلى أبي عبد

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٧٧ .

الله الصادق عليه السلام، أنه قال: لا يقوم القائم حتى يقوم اثنا عشر رجلاً كلهم يجمع علىٰ قول، أنهم قد رأوه، فيكذبونهم[1]. فقوله: (كلهم يجمع علىٰ قول أنهم قد رأوه) يعني أن الرؤية قد حصلت، وأن الإمام المهدي قد ظهر لبعض أنصاره، ولكن الناس يكذبون هؤلاء الذين رأوه.

وكما ذكرتُ فإن الولايات المتحدة الأمريكية تتمكن بواسطة جواسيسها وأجهزتها المتطورة أن تعرف هذه الحركة، ولكنها لا تتمكن أن تعرف شخص ذلك القائد، أو تحدد مكان وجوده. وتتخذ الإدارة الأمريكية القرار بالقضاء علىٰ ذلك القائد الإسلامي الكبير قبل خروجه، وإظهار أمره في مكة المكرمة. وتبحث هذه الإدارة عن سبب تتخذه مبرراً للقيام بعملية عسكرية في المدينة المنورة، للقضاء علىٰ ذلك القائد الإسلامي.

إن هذه الإدارة تعثر علىٰ السبب الذي يفتح لها الأبواب للقيام بتلك المهمة، إنه يكمن في أن يقوم بعض المتشددين في السعودية بعملٍ خطير يؤدي إلى إغراق البلاد في فوضى عارمة، وارتباك شديد في جميع أجهزة الدولة، ومنها الأجهزة الأمنية والعسكرية. إن هذا العمل الخطير قد يكون اغتيال الملك أو ولي العهد. وهذا وإن يبدو أمراً غير ممكن بسبب إحكام السيطرة الأمنية علىٰ البلاد من قبل أجهزة الدولة الأمنية المدربة تدريباً عالياً، ولكنه يصبح ممكناً إذا كانت الأجهزة المرتبطة بالإدارة الأمريكية هي التي تتولى إعداد الخطط، وتقديم الدعم المالي واللوجستي لأولئك المتشددين عن طريق أولئك الأشخاص المرتبطين بها، فينفّذ المتشددون هذا العمل الخطير بأوامر من أولئك الأشخاص، وبتخطيط تلك الأجهزة التي تمتلك القدرة الكاملة علىٰ توفير لوازم التنفيذ. وهم يقومون بهذا العمل، لأن القيام به يجسّد الفكر الذي يحملونه في أحقية قتل المتعاونين مع الكفار قبل قتل الكفار، ولكنهم لا يشعرون أنهم إنما ينفذون خطط تلك الأجهزة التي تعمل

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٤٤ .

مع البيت الأبيض.

وعلى فرض حصول ذلك فإن ارتباكاً شديداً سيحصل في أجهزة الدولة كلها، ومنها الأجهزة الأمنية والعسكرية، ويؤدي هذا الأمر إلى حصول انشقاق واختلاف بين الناس والقبائل، وبين أفراد العائلة المالكة أيضاً، وتظهر في بلاد الحرمين جماعات وتكتلات وقد يحدث أن بعض الجماعات تبسط سيطرتها علىٰ بعض المدن المهمة في السعودية، وقد تكون منها المدينة المنورة. وفي هذا الوضع الأمني الحادث في السعودية تجد الولايات المتحدة الأمريكية سبباً يبرر لها القيام بعملية عسكرية في السعودية، تستهدف أولاً المدينة المنورة، بحجة أن سيطرة الإرهابيين علىٰ بعض المدن يهدد أمن الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه لا بدّ من القضاء علىٰ الإرهابيين قبل أن يتمكنوا من تهديد الولايات المتحدة. أما الدافع الحقيقي الذي تخفيه من وراء هذا العمل العسكري فهو القضاء علىٰ ذلك القائد الإسلامي الكبير الذي تمكنت أجهزتها من رصد حركته في المدينة المنورة.

إن كل ما تقدم هو أمر افتراضي، قد يحدث وقد لا يحدث، وقد يحدث أمر غيره، ولكن حدوثه مستوحى من الروايات الإسلامية. فقد أشارت تلك الروايات إلى حدوث موت خليفة، وإلى حدوث اختلاف شديد عند موته. ومن تلك الروايات :

١ ـ أخرج في الجمع بين الصحاح الستة، بإسناده عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من مكة، ويخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام. ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة**»[1].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٢٢ .

وأخرجه في عقد الدرر بإسناده عن أم سلمة، وفيه: (فيخرج المهدي) بدلاً من (فيخرج رجل)[1]. وورد الحديث بالإسناد المذكور في الصواعق المحرقة[2]، وفي كنز العمال أيضاً[3]. وأخرج أبو داود في سننه [٤: ١٠٧] عن أُمّ سلمة عن النبيّ ﷺ، قال: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكّة، فيأتيه ناس من أهل مكّة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكّة والمدينة..

وقد تقدم أن الشام في روايات السفياني ترمز إلى جهة الشمال الغربي من جزيرة العرب، أي أن مصدر الجيش الذي يأتي المدينة المنورة يكون من الجهة الواقعة في الشمال الغربي من جزيرة العرب، وهو ما ينطبق علىٰ جيش الولايات المتحدة الأمريكية. إن هذه الرواية جعلت خروج الرجل الذي هو من أهل المدينة هارباً إلى مكة مترتباً علىٰ موت الخليفة وحصول اختلاف، وكائناً بعدهما مباشرة، ثم ربطت مجيء الجيش الذي يكون مصدره جهة الشمال الغربي من جزيرة العرب إلى المدينة المنورة بذلك الحدث، وهو موت الخليفة.

٢ ـ أخرج في البحار، بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال: إن قدّام هذا الأمر ـ يعني خروج المهدي ـ علامات: حدث يكون بين الحرمين. قلتُ: ما الحدث؟ قال: عَضْبة تكون. ويقتل فلان من آل فلان خمسة عشر رجلاً[4].

٣ ـ وأخرج المفيد في الإرشاد، والطوسي في الغَيْبة، كلاهما عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، انه قال: إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٢ ـ ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢ ـ ١٤٨ .

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ١٨٤ .

الحرمين. قلتُ: وأي شيء يكون الحدث؟ قال عصبية تكون بين الحرمين. ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً[1].

والعَضْب في اللغة: القطع. ويقال في الدعاء: ما له؟ عَضَبه الله، دعاء عليه بقطع يديه ورجليه. والعضبة: الانشقاق والاختلاف. والعصبية: أن تلزم قومك، وتدافع عنهم، وتنصرهم، وتغضب لهم. ومعنى (عضبة تكون بين الحرمين): انشقاق واختلاف بين الناس في بلاد الحرمين، يؤدي إلى تقاتل بينهم. وقد يكون ذلك بسبب الأحداث التي تعقب موت ذلك الخليفة. ومعنى (عصبية تكون بين الحرمين): التفاف كل جماعة حول قائد أو قبيلة، وتعصبهم لهذا القائد أو تلك القبيلة بالدفاع عنهما ونصرتهما. وقد يكون ذلك بسبب موت ذلك الخليفة.

والمعنى الذي يؤديه الحديث بالروايتين المذكورتين هو حصول انشقاق واختلاف بين الناس في بلاد الحرمين، فيلتف كل جماعة منهم حول قائد أو قبيلة، ويتعصبون لهذا القائد أو تلك القبيلة، فيقتل بسبب ذلك أحد القادة أو رؤساء القبائل الذي ينتمي أو يتعصّب إلى آل فلان خمسة عشر رجلاً عظيماً من جماعة أخرى تُعْرَف بآل فلان. وقد يحدث ذلك بعد موت ذلك الخليفة.

إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تستغلّ أجواء الاضطراب السياسي، وسيطرة بعض الجماعات والقبائل علىٰ بعض المدن، فتوجّه جيشاً كبيراً نحو السعودية، وتكون وجهة هذا الجيش المدينة المنورة أولاً، بحجة القضاء علىٰ الإرهابيين ومساعدة الدولة في التخلص منهم. ويخرج هذا الجيش من العراق كما أشارت بعض الروايات، ومنها :

١ ـ أخرج مسلم في صحيحه، عن أنس أن رسول الله ﷺ كان نائماً في بيت أم سلمة، فانتبه وهو يسترجع، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، ممّ تسترجع؟ قال: من قِبَلِ جيش يجيء من العراق في طلب رجل من المدينة

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ .

يمنعه الله منهم، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خُسِفَ بهم. . .[1]

٢ ـ وأخرج نعيم في الملاحم والفتن، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله، بعد ما يعركها عَرْك الأديم، يأمره بالمسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة[2].

٣ ـ وأخرج في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بسنده عن أم حبيبة، قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**يأتي ناس من قِبَلِ المشرق يريدون رجلاً عند البيت، حتى إذا كانوا ببيداء الأرض، خُسِفَ بهم**»[3].

إن هذه الروايات تشير إلى أن الجيش الذي ترسله الولايات المتحدة الأمريكية يخرج من العراق. وهذا الأمر تؤيده طبيعة الأحداث الجارية في الوقت الحاضر، فإن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تتمركز الآن في العراق، وسيصل عدد تلك الجيوش مائة وخمسين ألفاً، وقد يزيد هذا العدد في المستقبل. وتقوم الولايات المتحدة في الوقت الحاضر ببناء قواعد عسكرية دائمة في العراق، لأنها اتَّخذت العراق طريقاً إلى السيطرة علىٰ منطقة الشرق الأوسط الإسلامي سيطرة عسكرية مباشرة، فإذا أرادت أن ترسل جيشاً إلى أي مكان في هذه المنطقة، فلا بدّ أن يخرج ذلك الجيش من العراق.

وفي مقابل هذه الروايات هناك روايات أشارت إلى أن الجيش الذي يرسله السفياني إلى المدينة المنورة يأتي من الشام، ومنها :

١ ـ أخرج نعيم في الملاحم والفتن، بسنده عن عبد الرزاق، عم معمر، عن قتادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُبْعَثُ إلى مكة بجيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم**»[4].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٣، نقلاً عن صحيح مسلم: ٢ ـ ٤٩٣ ـ ٤٩٤ .

(٢) الملاحم والفتن لابن طاوس: ٤١ .

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٧ ـ ٣١٤ .

(٤) الملاحم والفتن لابن طاوس: ٥٨ .

٢ ـ وأخرج في عقد الدرر، بسنده عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ويبعث السفياني إليه (أي المهدي) بعثاً من الشام، فيُخْسف بهم في البيداء بين مكة والمدينة[١].

٣ ـ وأخرج في كنز العمال، بسنده عن أم سلمة أيضاً، نقلاً من سنن ابن أبي شيبة، ومن المعجم الكبير للطبراني، ومن تاريخ ابن عساكر، أن رسول الله ﷺ قال: فيأتيه (أي فيأتي المهدي) جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم[٢] وإذا عرفنا أن (الشام) في هذه الروايات يرمز إلى جهة الشمال الغربي من جزيرة العرب، فإننا ندرك أنه لا خلاف بين روايات الطائفة الأولى والثانية، لأن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية القادمة من جهة الشمال الغربي من جزيرة العرب، تتخذ العراق طريقاً إلى منطقة الشرق الأوسط الإسلامي، ومنها السعودية وسوريا وإيران.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٧٠ .

(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ٢٧١ .

ما يفعله جيش السُفياني بالمدينة المنورة

يستولي جيش السُفياني علىٰ المدينة المنورة، ويرتكب بحق أهلها مجازر رهيبة بحثاً عن الإمام المهدي، ويستعمل مع الهاشميين الذين فيها خصوصاً أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، لحملهم علىٰ الإقرار بمكان وجود المهدي، ثم يزهق أرواحهم بطرق وحشية.

ويظهر أن الجيش الأمريكي الذي يدخل المدينة المنورة يحمل حقداً كبيراً توارثه عبر مئات السنين علىٰ مدينة رسول الله ﷺ، وكأنه يريد أن يثأر لما فعله رسول الله والمسلمون باليهود في المدينة. إن الروايات تشير إلى أن هذا الجيش يفعل بالمدينة وأهلها أفعالاً إرهابية لم تشهدها مدينة رسول الله ﷺ منذ وفاة الرسول إلى ذلك اليوم. ومن هذه الروايات :

١ ـ أخرج في عقد الدرر : . . . فيرحل جيشهم الثاني إلى المدينة المنورة، فينهبونها ثلاثة أيام بلياليها[١].

٢ ـ أخرج ابن طاوس في الملاحم والفتن: يقود السفياني جيشاً إلى المدينة المنورة، فيأمر بقتل كل مَنْ كان فيها من بني هاشم، حتى الحبالى، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج علىٰ أصحابه من المشرق، ويقول (أي السفياني): ما هذا البلاء وقتل أصحابي إلاّ من قِبَلِهم، فيأمر بقتلهم، فيُقْتَلون حتى لا يُعرَف بالمدينة أحد. ويفترقون منها هاربين إلى البوادي والجبال، وإلى مكة، حتى نساؤهم. ويضع جيشه فيهم السيف أياماً[٢].

---

(١) المصدر نفسه: ٢ ـ ٨٢ .

(٢) الملاحم والفتن: ٤٢ .

٣ ـ أخرج في مشارق الأنوار : . . . إن أصحاب السُّفياني (بعد دخوله العراق) يكونون ثلاث فرق. . . . وفرقة تأتي المدينة، فيحاصرون المدينة، فيدخلونها، فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة، حتى يبلغ الدم الرأس المقطوعة. .[١].

٤ ـ أخرج في كنز العمال: يبعث السفياني بجيش إلى المدينة المنورة، فيأخذون مَنْ قدروا عليه من آل محمد ﷺ. ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساء. .[٢].

أن النفوس البريئة التي يزهقها الجيش الأمريكي في المدينة المنورة بغير ذنب، وخاصة من بني هاشم، هي تلك النفوس التي ذكرتها الروايات باسم (النفس الزكية). إن النفس الزكية ليست نفس رجل واحد، بل هي جنس للنفوس البريئة التي يقتلها الجيش الأمريكي في المدينة المنورة بطريقة وحشية.

والملاحظ في الروايات التي ذكرت النفس الزكية أن بعضها ذكر أن السفياني يقتل النفس الزكية في المدينة المنورة، ومنها :

أخرج في كنز العمال، نقلاً من فتن نعيم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: إذا بلغ السفياني قتل النفس الزكية ـ وهو الذي كُتِبَ عليهم ـ فيهرب عامة المسلمين من حرم رسول الله ﷺ إلى مكة[٣].

ومعنى قوله: إذا بلغ السفياني قتل النفس الزكية: أي إذا وصل السفياني إلى حدّ قتل النفوس البريئة في حرم رسول الله ﷺ. والعبارة وهو الذي كُتِب عليهم عبارة معترضة، ومعناها: وهذا القتل مكتوب عليهم في علم الله تعالى.

وبعض الروايات ذكر أن السفياني إذا قتل النفس الزكية خرج المهدي،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٢ .

(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه: ٢ ـ ١٥٤، نقلاً عن كنز العمال: ٦ ـ ٦٨ .

ولم تُشر إلى المكان الذي تُقتل فيه النفس الزكية، ومنها :

أخرج ابن طاوس في الملاحم والفتن، فيما ذكره زكريا عن المهدي وخروجه، بإسناده إلى رسول الله ﷺ، أنه قال: «**لا يخرج المهدي حتى تُقتَل النفس الزكية. فإذا قُتِلت النفس الزكية غضب عليهم (أي علىٰ جيش السفياني) مَنْ في السماء، ومَنْ في الأرض، فيأتي الناس المهدي**»[1].

وبعض الروايات ذكر قتل نفس زكية في الحرم في مكة المكرمة، وأن هذه النفس هي رجل من بني هاشم من أصحاب المهدي، يُرسله المهدي إلى مكة، لإبلاغ أهلها بخبر المهدي، وحين يقف في الحرم ليخطب الناس باسم المهدي، يُقْتَل بين الركن والمقام[2].

إن الجمع بين هذه الروايات ممكن، فالروايات التي تذكر قتل النفس الزكية في المدينة المنورة تعني قتل السفياني النفوس البريئة في المدينة بغير ذنب. والروايات التي تذكر قتل النفس الزكية من قبل جيش السفياني، ولم تذكر مكاناً يحدث فيه هذا القتل، تعني أن جيش السفياني يقتل النفوس البريئة في العراق وبلاد الشام وإيران والمدينة المنورة. والروايات التي ذكرت قتل رسول المهدي في الحرم المكي، وسمته بالنفس الزكية، تعني أن هذا الرجل يُقتل ظلماً وعدواناً، بغير ذنب، وفي بيت الله الحرام. فكل هذه النفوس البريئة تُقتل بأمر السفياني.

وعلى الرغم مما يفعله الجيش الأمريكي في المدينة المنورة من مجازر رهيبة، وقتل النفوس البريئة، واستعمال أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي بحق أهلها والهاشميين خصوصاً، للكشف عن الإمام المهدي، وعلى الرغم مما تفعله أجهزة مخابراته المتطورة، فإنه لا يستطيع أن يمسك بالإمام المهدي، أو يقتله.

---

(١) الملاحم والفتن لابن طاوس: ١٥٤ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٠٧ .

وفي هذا الوقت يجتمع الإمام المهدي سراً بأصحابه وبعض أنصاره، ويبلغهم أنه خارج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة بأمر الله تعالى، لأن العدو مصمم علىٰ قتله، وأنه إن لم يخرج من المدينة فإن جيش السفياني يقتله. وإلى ذلك تشير الرواية التالية :

أخرج في البحار، بإسناده عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أنه قال: والله، لو لم يخرج لضُرِبَ عنقه[1]. وفي هذا دليل علىٰ أن العدو الذي اجتاح المدينة المنورة للقضاء علىٰ المهدي مصمم علىٰ قتله، وأنه لو لم يخرج من المدينة لقُتِل.

وفي الاجتماع الذي يعقده الإمام المهدي مع أصحابه وأنصاره يتم تدارس الخطط اللازمة للتعامل مع الجيش الذي يحتل المدينة المنورة، ويعطيهم المهدي التعليمات والتوجيهات بهذا الشأن، ثم يخرج من المدينة المنورة سرًّا متوجهاً إلى مكة المكرمة.

---

(١) المصدر السابق: ٥٢ ـ ١٢٠ .

الباب الرابع

ظهور المهدي وتحقيق الوعد الإلهي

ويشتمل علىٰ الفصول التالية :

الفصل الأول: وصول المهدي إلى مكة المكرَّمة

الفصل الثاني: الخَسْف بالجيش الذي يتوجَّه إلى مكة المكرَّمة

الفصل الثالث: البَيْعة الخاصَّة

الفصل الرابع: ساعة الصَفر

الفصل الأول
وصول المهدي إلى مكة المكرمة

يصل الإمام المهدي إلى مكة المكرمة بسلام، في الوقت الذي تكون فيه الأجهزة الحكومية والأمنية السعودية مضطربة، ويكون الجيش منقسماً، كل جماعة منه منحازة إلى كتلة أو قبيلة. وتكتشف أجهزة المخابرات الأمريكية والدولية أن القائد الإسلامي الكبير المسمّى بالمهدي قد وصل بسلام إلى مكة المكرمة، وأنه موجود فيها، ولكنها لم تستطع تحديد مكان وجوده في مكة.

وتقرر الإدارة الأمريكية في البيت الأبيض تعقب الإمام المهدي في مكة المكرمة والقضاء عليه، وتصدر أوامرها إلى قائد الجيش الأمريكي الموجود في المدينة المنورة، تأمره بالزحف نحو مكة المكرمة، والقضاء علىٰ المهدي. وإلى ذلك أشارت الروايات التالية:

١ ـ أخرج في عقد الدرر، بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة المنورة، فيفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً علىٰ أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقّب علىٰ سنة موسى بن عمران[1].

٢ ـ وأخرج في كنز العمال، قال: أخرج نعيم في الفتن، بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: يبعث السفياني بجيش إلى المدينة المنورة،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٧ .

فيأخذون مَنْ قدروا عليه من آل محمدﷺ، ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساءً. فعند ذلك يهرب المهدي والمنصور من المدينة إلى مكة، فيبعث السفياني في طلبهما، وقد لحقا بحرم الله وأمنه[1].

وفي هذا الوقت يُعْلَن عن الإمام المهدي، باسمه ونسبه، وأنه موجود في مكة المكرمة. وقد يكون في شكل خبر أو إعلان تتناقله وكالات الأنباء، والمحطات الفضائية في كلّ أنحاء العالم. وقد يكون هذا الخبر أو الإعلان صادر عن الإدارة الأمريكية، وتتناقله وكالات الأنباء العالمية.

وقد يكون الإعلان عنه والتعريف به بسماع صوت من السماء، يعرّف به في كل اللغات في معجزة إلهية، ثم تتناقل هذا الحدث الغريب كلّ وسائل الإعلام العالمية. وهذا هو الذي أشارت إليه الروايات بكلمة (الصوت).

١ ـ أخرج في عقد الدرر، بسنده عن شهر بن حوشب، قال: قال رسول اللهﷺ: سيكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تحارب القبائل، وينهب الحاج، وتكون ملحمة بمنى، ويكثر فيها القتل، ويسيل فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم علىٰ الجمرة[2]، (أي جمرة العقبة).

٢ ـ وأخرج في عقد الدرر، بسنده عن أبي هريرة: يُسمع في شهر رمضان صوت، وفي شوال همهمة، وفي ذي القعدة تحارب القبائل، وفي ذي الحجة يُسْلَبُ الحجاج، وفي المحرم الفرج[3].

٣ ـ وأخرج في كنز العمال بسنده من فتن نعيم، عن شهر بن حوشب، قال: يكون في رمضان صوت، وفي شوال همهمة، وفي ذي القعدة تتحارب القبائل، وفي ذي الحجة يُنْتَهبُ الحاج، وفي المحرم ينادي منادٍ من السماء:

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ١٥٤، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ٢٦١ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ .

(٣) المصدر السابق: ٢ ـ ٤٤ .

ألا إن صفوة الله تعالىٰ من خلقه فلان، فاسمعوا له وأطيعوا[1].

وأخرج الحديث ابن طاوس في الملاحم والفتن[2].

والمعمعة: صوت الحريق في القصب، ونحوه، وصوت الفرسان في الحرب. والهمهمة: كل صوت معه بحَحَ. والهمهمة: أصوات كأصوات البقر والفيلة وأشباه ذلك. وفي ذلك إشارة إلى الانشقاق والخلاف الذي يحصل بين الناس والقبائل والجماعات الدينية، وأن هذا الاختلاف يبدأ بالتلاسن بين تلك الأطراف، وتحدث بينهم جولات من المفاوضات، وتعلو أصواتهم تارة في تلك المفاوضات وتنخفض تارة أخرى، كأنها أصوات البقر أو الفيلة حين تتقاتل، أو أصوات الفرسان في الحرب.

٤ ـ وأخرج في عقد الدرر أيضاً، عن عبد الله بن عمر، قال: يحجُّ الناس معاً، ويُعَرِّفون معاً. فبينما هم نزول بمنى إذْ أخذهم كالكَلَب، فثارت القبائل بعضها علىٰ بعض، فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دماً، فيفزعون إلى خيِّرهم، فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي... [3]

وفي الرواية نقص. فقد أخرج الرواية ابن طاوس في الملاحم والفتن، عن عبد الله بن عمر، وفيها: يحج الناس معاً، ويُعَرِّفون معاً علىٰ غير إمام... [4]. ومعنى (يُعَرِّفون): يقفون بعرفات. ومعنى (على غير إمام): يكون موسم الحج في ذلك العام، والبلاد خالية من ملك أو خليفة يحكم.

ذكرنا سابقاً إن الإمام المهدي يبدأ حركته السرية المباركة في المدينة المنورة، تمهيداً للظهور العلني التام، وأن هذه الحركة تكون في خضمّ الأحداث العظيمة في المنطقة، وهي السيطرة علىٰ سوريا وبلاد الشام،

---

(١) المصدر نفسه: ٢ ـ ٣٧، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ١٨٩ .

(٢) الملاحم والفتن: ٤٦ ـ ٤٧ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٤٠ .

(٤) الملاحم والفتن، لابن طاوس: ٤٦ .

والمعارك الكبيرة التي تدور بين فرق من جيوش الولايات المتحدة الأمريكية وبين جيوش الجمهورية الإسلامية في إيران.

وإذا رجعنا إلى الروايات التي ذكرت أن جيوش السفياني تخرج إلى سوريا، وسائر بلاد الشام في شهر رجب، فإنه يمكن في هذه الفترة الزمنية أو بعدها بقليل أن تندلع المعارك بين الجيش الإسلامي في إيران، والجيش الأمريكي. وهذا يعني أن حركة المهدي في المدينة المنورة تكون في هذه الفترة الزمنية. ويمكن أن يكون موت الخليفة الذي أشارت إليه الروايات السابقة يكون في شهر شعبان، أو قريباً منه. ويمكن أن يكون اجتياح المدينة المنورة من قبل الجيش الأمريكي في شهر شعبان أيضاً أو أوائل رمضان. ويمكن أن يكون خروج الإمام المهدي من المدينة المنورة، ووصوله بسلام إلى مكة المكرمة، ثم حصول الصوت بالإعلان عنه باسمه ونسبه، وأنه موجود في مكة، يمكن أن يكون ذلك في منتصف شهر رمضان، أو في أواخره. وقد أشارت الروايات السابقة إلى ما يحدث في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة.

الفصل الثاني
الخسف بالجيش الذي يتوجه إلى مكة المكرمة

تصدر الأوامر إلى جيش الولايات المتحدة الأمريكية الذي يحتل المدينة المنورة أن يتوجه إلى مكة المكرمة، لقتل المهدي أو أسره، والقضاء علىٰ حركته بأقصى سرعة. ويخرج ذلك الجيش من المدينة المنورة، وهو جيش عظيم، مسلّح بكلّ أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة. وحين يصل إلى منطقة تُسمّى (البيداء)، تحلُّ بهذا الجيش كارثة لم يشهد لها العالم مثيلاً. و(البيداء) منطقة تقع بعد الميقات المسمّى بذي الحليفة، أو مسجد الشجرة، إلى الشرق منه، ولا تزال هذه المنطقة تسمّى البيداء إلى هذا اليوم. قال ياقوت الحموي: البيداء اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة، تُعَدُّ من الشرق أمام ذي الحليفة. وفي الحديث أن قوماً كانوا يغزون البيت، فنزلوا بالبيداء، فبعث الله جبرئيل، فقال: يا بيداء أبيديهم حين يصل ذلك الجيش العظيم إلى منطقة البيداء في طريقه إلى مكة المكرمة، تنشق الأرض في هذه المنطقة، فتبتلع ذلك الجيش بجميع أفراده مع أسلحتهم من دبابات ومدافع ثقيلة، وآليات وناقلات جند، وغير ذلك. ولا ينجو من ذلك الجيش إلا اثنان أو ثلاثة، وهم الذين يخبرون وسائل الإعلام بما حدث لهم. ويسمّى هذا الحدث بالخسف.

إنه مشهد رهيب، وحدث عظيم يشكل نقطة فاصلة في الحرب التي تشنّها الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ بلاد المسلمين، فقبل الخسف كانت الولايات المتحدة في شأن، وبعد الخسف تكون الولايات المتحدة في شأن آخر.

إن حدث الخسف يعطي رسالة واضحة للولايات المتحدة الأمريكية

وحلفائها وكل مَنْ يساندها في العالم، أنه لا يمكن أبداً الاقتراب من مكة المكرمة، وأن كل مَنْ يفكر أو يحاول غزو مكة أو احتلالها فإنه سيحلّ به كما حلّ بذلك الجيش العظيم. وبعد هذا الحدث تكون مكة المكرمة آمنة من جميع جيوش العالم. والروايات التي ذكرت الخسف كثيرة، منها :

١ ـ أخرج الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1]، قال: قال أبو حمزة الثمالي: سمعتُ عليّ بن الحسين عليه السلام، والحسن ابن الحسن بن عليّ عليهما السلام يقولان: هو جيش البيداء، يُؤْخَذون من تحت أقدامهم. قال: وحدّثني عمرو بن مرّة، وحمران بن أعين، أنهما سمعا مهاجراً المكيَّ يقول: سمعتُ أمَّ سلمة تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يعوذ عائذ بالبيت، فيُبعَثُ إليه جيش، حتى إذا كانوا بالبيداء، بيداء المدينة خُسِفَ بهم**»[2].

٢ ـ أخرج مسلم في صحيحه، في (باب الخسف بالجيش الذي يؤمّ البيت)، بإسناده عن عُبيد الله بن القبطيّة، قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان، وأنا معهما علىٰ أمِّ سلمة، أمّ المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يُخْسَفُ به ـ وكان ذلك في أيام ابن الزبير ـ فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يعوذُ عائذٌ بالبيت، فيُبْعَثُ إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِفَ بهم**». قال مسلم: حدثناه أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا عبد العزيز بن رفيع بهذا الإسناد، وفي حديثه قال: فلقيتُ أبا جعفر، فقلتُ: إنها إنما قالت: ببيداء من الأرض. فقال: كلاّ، واللهِ إنها لبيداء المدينة[3].

٣ ـ أخرج النعماني في الغَيْبة، بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر

---

(١) سورة سبأ: الآية ٥١ ـ ٥٣ .

(٢) مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: ٧ ـ ٦٢١ ـ ٦٢٢ .

(٣) صحيح مسلم، باب الخسف بالجيش الذي يؤمّ البيت، الحديث: (٢٨٨٢) .

الباقر عليه السلام، أنه قال: . . . ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة المنورة، فيفرُّ المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعثُ جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقّب على سنة موسى بن عمران. قال: وينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي منادٍ من السماء: يا بيداء أبيدي القوم، فيُخْسَفُ بهم، فلا يفلتُ منهم إلا ثلاثة نفر، يحوّل الله وجوههم إلى أقفيتهم. وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾[1] وأخرج الحديث بالإسناد المذكور في عقد الدرر[2].

٤ ـ أخرج السيوطي في العرف الوردي، بإسناده عن أمّ سلمة، وعن أنس، أن النبي صلى الله عليه وآله كان نائماً في بيت أم سلمة، فانتبه وهو يسترجع، فقالت له: يا رسول الله، مِمَّ تسترجع؟ قال: «**من قِبَلِ جيش يجيء من العراق في طلب رجل من أهل المدينة، يمنعه الله منهم، فإذا عَلَوا البيداء من ذي الحليفة خُسِفَ بهم، فلا يدرك أعلاهم أسفلهم، ولا يدرك أسفلهم أعلاهم**»[3].

إن حادثة الخسف تُعَدُّ من الأحداث العالمية الكبيرة، وإن وسائل الإعلام العالمية تظلُّ مشغولة بها مدة طويلة. كما أن الحكومات الرسمية في دول العالم تبقى مدة طويلة تتداول وتدرس أسباب هذا الحدث العظيم.

ومن نتائج هذا الحدث إحجام الحكومات في العالم عن القيام بأي محاولة جديدة لإرسال جيوش إلى مكة المكرمة، ومن نتائجه أن تنعم مكة وأهلها بالأمان الذي كتبه الله تعالى لهذه البقعة المقدسة من الأرض.

إن الروايات التي بين يديّ لم تذكر أيَّ شيء عما يفعله السفياني في بلاد الحرمين بعد حدث الخسف، وفي هذا إشارة إلى أن العدّ العكسي لانهيار قوة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة يبدأ بعد الخسف. ولعلّ

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٧، وانظر: بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) المصدر السابق: ٢ ـ ١٥٧ .

من أسباب هذا الانهيار الرعب والخوف الذي يسيطر علىٰ الجيش الأمريكي بعد هذا الحدث، وانهيار معنويات الجند النفسية. أما مَنْ يبقى من هذا الجيش فيبدو أنه يُحصِّنُ نفسه داخل معسكرات محميّة.

إن انهيار الجيش الأمريكي بعد حادث الخسف قد يفتح الباب أمام تداعيات أمنية خطيرة. فقد تتحرّك القبائل، والجماعات الدينية، وبعض الجماعات المنتمية إلى القوات المسلحة للحصول علىٰ مكاسب سياسية وإستراتيجية ومادية في بلاد الحرمين. وقد يحدث بسبب ذلك صراع بين تلك الأطراف، فتتقاتل علىٰ مراكز القوة والنفوذ. وكما ذكرت الروايات السابقة فإن ذلك قد يحدث في الفترة من شوال إلى ذي القعدة. أما الحج في ذلك العام الحافل بتلك الأحداث الجسام فيكون حجًّا متميزاً. فالذين ينتظرون ظهور المهدي في العالم، ويتابعون علامات ظهوره يعلمون أن هذا العام هو عام الظهور، فيحاولون بكلِّ الطرق حضور موسم الحج. والذين يرون أن الله تعالىٰ قد انتقم من الولايات المتحدة الأمريكية بما فعله جيشها في بلاد المسلمين يحاولون حضور موسم الحج ليشكروا الله تعالىٰ علىٰ ما فعله بعدوهم، ويشفوا صدورهم مما حملته من آلام وآثار الظلم الذي حلَّ بهم وبأهليهم من قبل الولايات المتحدة. وفئات أخرى تريد أن تحضر موسم الحج لأغراض أخرى، منها أغراض استخباراتية لصالح دولهم.

أما المهدي الذي وصل مكة المكرمة قبل موسم الحج فإنه يختفي في مكة لأسباب أمنية، ولكنه يتصل بأنصاره بصورة سرية، تمهيداً للظهور التام.

أخرج في عقد الدرر، بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: يكون لصاحب هذا الأمر (يعني المهدي) غَيْبة في بعض هذه الشعاب ـ وأومأ بيده إلى ناحية طُوَى ـ حتى إذا كان قبل خروجه انتهى المولى الذي يكون معه حتى يلقى بعض أصحابه...[1].

---

(١) المصدر نفسه: ٢ ـ ١٩٠ .

الفصل الثالث
البيعة الخاصَّة

الإمام المهدي في منى

الإمام المهدي حاضر في موسم الحج في ذلك العام، والحجاج بائتون في منى في الليالي الثلاث:

ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، والإمام المهدي موجود بينهم دون أن يعرفه أحد منهم.

وقد يكون وجود المهدي في منى للاجتماع بأنصاره الذين يحضرون حج ذلك العام، لإعطائهم بعض المعلومات والتعليمات، وتهيئتهم لساعة الظهور المبارك.

وبينما الحجاج بائتون في منى في ليلة من الليالي الثلاث: ليلة الحادي عشر، أو الثاني عشر، أو الثالث عشر من ذي الحجة، في موسم حج ذلك العام، إذْ حدث حَدَثٌ في منى، فيحصل بسبب ذلك اضطراب وهيجان بين الحجاج، يؤدي إلى تدافع بينهم، كتدافع الإبل الهائجة، ويدوس بعضهم بعضاً، كما تفعل الحيوانات التي يصيبها داء الكَلَب. ويتسبَّب هذا الحادث في موت أعداد كبيرة من الحجاج، وتسيل دماؤهم علىٰ جمرة العقبة. والروايتان التاليتان تشيران إلى ذلك :

١ ـ أخرج ابن طاوس في الملاحم والفتن، بسنده عن عمر بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: يحج الناس معاً، ويُعَرِّفون معاً علىٰ غير إمام. فبينما هم نزول بمنى إذْ أخذهم كالكَلَب... حتى تسيل العقبة دماً، فيفزعون إلى

خيِّرهم، فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي. . . [1].

٢ ـ أخرج في كنز العمال، بإسناده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**في ذي القعدة تجاذب القبائل. وعامئذٍ يُنْهَبُ الحجاج، فتكون ملحمة بمنى، حتى يهرب صاحبهم (أي المهدي)، فيُبايَع بين الركن والمقام، وهو كاره. يبايعه مثل عدة أهل بدر. . .** »[2]

ولم تُشر الروايات إلى سبب معيّن يؤدي إلى ذلك. وقد يكون ذلك الحدث مدبّراً لاغتيال الإمام المهدي، بتدبير عملاء الولايات المتحدة الأمريكية. وقد يكون بسبب حصول انفجار في منى، بتدبير أولئك العملاء، ثم يعقبها اضطراب الحجاج وهيجانهم.

---

(١) الملاحم والفتن: ٤٦، وانظر المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٤٠ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٣٣، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ١٨٨ .

الأنصار يبايعونه بين الركن والمقام

الإمام المهدي يدرك أن بقاءه في منى خطر عليه، لأن القوم يطلبونه ويريدون قتله، فيخرج سرًا من منى، ويذهب إلى المسجد الحرام، ويلصق وجهه بالكعبة، يدعو الله تعالىٰ أن يفرّج عن أمة رسوله محمدﷺ، ويخلصها من هذا البلاء العظيم، والكرب الجسيم.

وبينما هو كذلك يأتيه أولئك الأنصار الذين كان قد اجتمع بهم في منى، وعددهم ٣١٣ أو ٣١٤ رجلاً علىٰ عدد أهل بدر الذين خرجوا مع رسول اللهﷺ يوم بدر، فيجدونه علىٰ حاله السابقة، يتضرّع إلى الله ويبكي، فيأخذون بيده، ويبايعونه بين الركن والمقام، بيعة خاصة علىٰ الطاعة التامة، والنصرة والدفاع عنه حتى الموت.

أخرج في عقد الدرر، بإسناده عن شهر بن حوشب، قال: قال رسول اللهﷺ: سيكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تحارب القبائل، وعلامته يُنهب الحجاج، وتكون ملحمة بمنى، ويكثر فيها القتل، وتسيل فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم علىٰ الجمرة (أي جمرة العقبة).

ويهرب صاحبهم (أي المهدي)، فيُؤْتى بين الركن والمقام، فيُبايَعُ وهو كاره[1].

وأخرج الحاكم في المستدرك، بسنده عن عمر بن شعيب، عن أبيه،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤، نقلاً عن عقد الدرر، الحديث: ١٤١ .

عن جده، الرواية السابقة التي أخرجها ابن طاوس في (الملاحم والفتن)، وجاء فيها فيفزعون إلى خيِّرهم، فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي، كأني أنظر إلى دموعه تسيل، فيقولون: هلُمَّ فلنُبايعك[1].

وأخرج ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام[2].

وأخرج النعماني في الغَيْبة حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام، فيه إشارة إلى أن القتال في منى يتوقف حين يسمع المتقاتلون نداءً أو بياناً باسم الإمام المهدي، يدعوهم فيه إلى وقف القتال وسفك الدماء، والطاعة للإمام المهدي. أخرج النعماني في الغَيْبة، بإسناده عن علي بن الحسن التيملي، من كتابه في رجب سنة سبع وسبعين ومائتين، عن محمد بن عمر بن يزيد، ومحمد بن الوليد بن خالد الخزّاز، عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنه ينادي باسم صاحب هذا الأمر منادٍ من السماء: الأمرُ لفلان بن فلان، ففيمَ القتال؟[3]

وأخرج أيضاً بإسناده عن ابن عقدة، عن محمد بن المفضل، وسعدان ابن إسحاق، وأحمد بن الحسين، ومحمد بن أحمد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: يشمل الناس موتٌ وقتلٌ، حتى يلجأ الناس عند ذلك إلى الحرم، فينادي منادٍ من صادقٍ من شدة القتال: فيمَ القتل والقتال؟ صاحبكم فلان[4].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٣٤، نقلاً عن مستدرك الحاكم: ٤ ـ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ (ط حيدر آباد الدكن).

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٣٢، نقلاً عن الصواعق المحرقة: ١٠٢ (ط سنة ١٣٠٨هـ).

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٩٦ .

(٤) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

إن ذلك النداء الذي ذكرته الروايتان السابقتان يكون بأمر الإمام المهدي، ويُذاع على جميع الحجاج عبر مكبرات الصوت، وتتناقله جميع وسائل الإعلام، والمحطات الفضائية، وعند ذلك يتوقف القتال. أما الإمام المهدي فلا يراه أحد إلا الذين بايعوه البيعة الخاصة. وبعد هذه البيعة يتفرّق هؤلاء الأنصار في أزقة مكة وبيوتها، انتظاراً لساعة الصفر التي يحددها القائد الإسلامي الموجود في مكة. ويخرج الإمام المهدي بعد هذه البيعة من المسجد الحرام إلى مكانه السرّي.

وفي المصادر الإسلامية عدد كبير من الروايات التي تذكر أن البيعة الأولى، أو البيعة الخاصة للإمام المهدي تكون في المسجد الحرام، بين الركن والمقام، وفي ذي الحجة، ويؤديها ثلاثمائة وثلاثة عشر، أو أربعة عشر رجلاً، كعدد أهل بدر. وهؤلاء هم الذين يكونون مع الإمام في ساعة الصفر، وهي الساعة التي يُعلن الإمام فيها عن نفسه لجميع العالم في كلّ أنحاء الأرض. ومن تلك الراويات :

١ ـ جاء في (مشارق الأنوار) : . . . وإن الذين يبايعونه أولاً بين الركن والمقام بعدد أهل بدر، ثم تأتيه أبدال الشام، ونجباء مصر، وعصائب أهل العراق وأشباههم[١].

وأخرج الحديث ابن الصَّبان الشافعي في (إسعاف الراغبين) المطبوع بهامش نور الأبصار[٢].

٢ ـ أخرج الحاكم في مستدرك الصحيحين، في كتاب الفتن والملاحم، بسنده عن محمد بن الحنفية، قال: كنا عند عليّ (رضي الله عنه) فسأله رجل عن المهدي، فقال علي: هيهات، ثم عقد بيده سبعاً، فقال: ذلك يخرج في آخر الزمان. إذا قال الرجل اللهَ اللهَ قُتِلَ فيجمع الله تعالىٰ له قوماً، قُزَعٌ كقُزَعِ

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٦٣، نقلاً عن مشارق الأنوار: ١٠٦ .

(٢) نور الأبصار: ١٢٦ ـ ١٢٧ .

السحاب، يُؤلف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم، علىٰ عدّة أصحاب بدر. . . [1]

٣ ـ أخرج الشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) : . . . وإن الذين يبايعونه بين الركن والمقام بعدد أهل بدر، ثم يأتيه أبدال الشام، ونجباء مصر، وعصائب أهل العراق[2].

٤ ـ أخرج في كنز العمال، قال: أخرج نعيم بن حماد في الفتن، عن عمر بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**في ذي القعدة تتحارب القبائل، وعامئذٍ يُنهب الحجاج، فتكون ملحمة في منى، حتى يهرب صاحبهم، فيبايع بين الركن والمقام، وهو كاره، يبايعه عدّة أهل بدر**»[3].

٥ ـ وأخرج في كنز العمال أيضاً، نقلاً من تاريخ ابن عساكر، والمعجم الكبير للطبراني، وغيرهما، عن أمِّ سلمة، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يُبايَعُ لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدّة أهل بدر، فيأتيه عصائب العراق، وأبدال الشام**»[4].

٦ ـ أخرج السيد ابن طاوس في الملاحم والفتن، قال: حدثني نعيم، حدثنا عبد الله بن مروان، عن سعيد بن زيد، عن الزهري، قال: يخرج المهدي في مكة بعد الخسف في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر[5]

إن الذين يبايعون الإمام المهدي أول الأمر، ويكونون معه حين ظهوره هم رجال علىٰ مستوى عالٍ من الخبرات والتفكير والتخطيط، وهم الذين يتخذهم المهدي وزراء ومستشارين له. والرواية التالية تدلّ علىٰ ذلك :

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٦١، نقلاً عن مستدرك الحاكم: ٤ ـ ٥٥٤ .

(٢) نور الأبصار: ١٥٥ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٧٠، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ١٨٨ .

(٤) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٧٢ .

(٥) الملاحم والفتن: ٥٠ .

أخرج ابن الصَّبان في (إسعاف الراغبين) المطبوع بهامش نور الأبصار، قال: قال الشيخ محيي الدين في (الفتوحات): اعلموا أنه لابدّ من خروج المهدي، لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً. وهو من عترة رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة (رضي الله عنها)، جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الإمام الحسن العسكري، ابن الإمام علي النقي ـ بالنون ـ، ابن الإمام محمد التقي ـ بالتاء ـ، الجواد ـ ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب. يواطئ اسمه اسم رسول الله، يُبايَعُ بين الركن والمقام. يبايعه العارفون بالله، من أهل الحقائق، عن شهود وكشف بتعريف إلهي. رجال إلهيون يقيمون دعوته، وينصرونه. هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة، ويعينونه علىٰ ما قلّده الله تعالى، ثم قال: فإن الله يستوزر له طائفة خبّأهم في مكنون غيبه. أطلعهم الله كشفاً وشهوداً علىٰ الحقائق. قال: وهذا الخليفة يفهم منطق الحيوان، ويسري عدله في الإنس والجان[1].

(١) إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ١٣١، وانظر: المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٨٨.

الفصل الرابع
ساعة الصفر

بعد البيعة الخاصة التي تكون في أيام التشريق من ذي الحجة يختفي الإمام في مكان سري في مكة المكرمة. وقد يكون لاختفائه هذا أسباب لعلّ منها: أسباب أمنية. فمما لاشكّ فيه أن أجهزة المخابرات العالمية، ومنها الأجهزة التابعة للولايات المتحدة الأمريكية قد علمت بوجود المهدي في مكة، وكذلك الأجهزة التابعة لحكام الدول العربية، وأجهزة السلطة الحاكمة في بلاد الحرمين. وكلُّ هؤلاء الأجهزة يبحثون عن المهدي، لقتله أو أسره. ولعلّ منها أسباب تتعلّق باستكمال الاستعدادات اللازمة لساعة الصفر، ومن هذه الاستعدادات الاتصال بجهات معينة في بلاد الحرمين، لتوفير السلاح اللازم لأنصاره، ووصول الأشخاص من أتباع الثلاثمائة والثلاثة عشر الذين يلزم وجودهم لتأمين مكة المكرمة حين ظهور المهدي.

وحين يهلُّ هلال شهر محرم من ذلك العام يتطلّع هؤلاء الثلاثمائة والثلاثة عشر من أنصار الإمام المهدي إلى الرسول الذي يأتي من قبل الإمام، وهو يحمل توقيعه بتحديد ساعة الصفر. وفي كل يوم وليلة يخرجون في مجاميع إلى المسجد الحرام، وإلى شوارع وأزقة مكة، وعيونهم تتصفّح الوجوه بحثاً عن رسول المهدي. وكلما يُقبل شخص نحوهم تضطرب قلوبهم، وتتسارع دقاتها، أملاً في أن يكون هو الرسول.

وفي ليلة من الليالي العشر الأولى من شهر محرم من ذلك العام، ولعلّها الليلة الثامنة منه، يأتي رسول الإمام إلى جماعة منهم، وهم مجتمعون

في مكان في مكة، فيستطلع آراءهم، لاختبار مدى استعداداتهم، ومعنوياتهم النفسية. ولعلّ هذا الرسول يلتقي بكل مجموعات الأنصار المنتشرين في مكة، ويفعل معهم كما فعل مع المجموعة الأولى. ويؤكد الأنصار استعدادهم التام لنصرة المهدي، والسير معه إلى آخر الدرب، مهما كان وعراً، ويعاهدونه على الثبات معه، مهما كان عدوهم قوياً، ويحمّلون الرسول عهودهم ومواثيقهم للمهدي بأن لا يسلموه، ولا يخذلوه، ولا يخونوه، وأن يطيعوه في كلّ شيء، حتى لو طلب منهم إزالة الجبال عن مواضعها لفعلوا.

ويرجع الرسول إلى الإمام، ويخبره بخبر الأنصار، فيعلم الإمام صدق الأنصار فيما عاهدوا. ثم يعود الرسول إلى هؤلاء الأنصار في الليلة التالية، وهي الليلة التاسعة من المحرم ويطلب منهم أن ينتخبوا منهم عشرة رجال، لكي يلتقوا المهدي، ويستلموا منه آخر التعليمات والتوصيات، ومن ضمنها تحديد ساعة الصفر، وتحديد المكان الذي يتجمعون به.

أخرج في عقد الدرر، بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: يكون لصاحب هذا الأمر (يعني المهدي) غَيْبة في بعض هذه الشعاب، وأومأ بيده إلى ناحية طوى. حتى إذا كان قبل خروجه، انتهى المولى الذي يكون معه، حتى يلتقي بعض أصحابه، فيقول: كم أنتم ههنا؟ فيقول: كيف أنتم لو رأيتم صاحبكم؟ فيقولون: والله، لو ناوى الجبال لناويناها معه... قال: ثم يأتيهم في القابلة (أي في الليلة القابلة)، فيقول: استبرئوا إليّ من رؤسائكم أو من خياركم عشرة، فيستبرئون له، فينطلق بهم حتى يلحقوا صاحبهم... ويعدّهم لليلة التي تليها[1].

وتشير الروايات إلى أن هؤلاء الأنصار الثلاثمائة والثلاثة عشر يلتقون

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٩٠، نقلاً عن عقد الدرر.

الإمام المهدي ليلة العاشر من المحرّم، وفي ساعة من ساعات هذه الليلة يهبطون من مكانهم بذي طوى إلى المسجد الحرام.

أخرج في الكافي بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: إن القائم ينتظر من يومه بذي طوى في عدة أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، حتى يسند ظهره إلى الحجر، ويهزّ الراية المغلبة. قال علي بن أبي حمزة: ذكرتُ ذلك لأبي إبراهيم (أي الإمام الكاظم)، قال: وكتابٌ منشور ، أي: ومعه كتاب منشور. وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وآله له. توارثه الأئمة إماماً بعد إمام، حتى وصل إلى الإمام المهدي. فقد أخرج في الكافي، بإسناده عن ابن محبوب، رفعه إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: فيجمع الله له أصحابه، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيجمعهم الله على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف. ثم تلا هذه الآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[1]، فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد رسول الله، قد تواترت عليه الآباء. . . [2].

وأخرج في الكافي أيضاً بالإسناد المذكور، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر. حتى يأتي المسجد الحرام، فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات، ويسند ظهره إلى الحجر الأسود، ثم يحمد الله، ويثني عليه، ويذكر النبي صلى الله عليه وآله، ويصلي عليه، ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس[3].

وفي ساعة من ساعات الليلة العاشرة من المحرم يشعر الناس في مكة بحركة غير طبيعية، ثمّ يُفاجَؤون بدخول المهدي المسجد الحرام محاطاً بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أنصاره. ويتقدّم أحد أنصاره فيقدّمه للناس

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٨ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٠٦ .

(٣) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٣٠٧ .

قائلاً: أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم، يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله ﷺ، فيقوم الناس إجلالاً واحتراماً. وحين يقف الإمام ليُكلِّم الناس يتقدّم إليه جماعة من العملاء ليقتلوه، فيتصدّى لهم أنصاره، ويُفشلون محاولتهم، دون أن تُراق قطرة دم.

أخرج في الكافي، بإسناده إلى زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: . . . ثم يخرج (أي المهدي) إلى مكة، والناس مجتمعون بها، فيقوم رجلٌ منه فينادي: أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم، يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله ﷺ، قال: فيقومون. قال: فيقوم هو بنفسه، فيقول: أيها الناس أنا فلان بن فلان، أنا ابن نبي الله، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبي الله. فيقومون ليقتلوه، فيقوم ثلاثمائة أو نيّف علىٰ الثلاثمائة فيمنعونه منهم. . .[1].

وتعرض بعض الروايات وصول المهدي إلى المسجد الحرام في تلك الليلة في مشهد مثير، يأخذ بلباب العقول، ويدعها أسيرة ذلك المشهد. يدخل المهدي المسجد الحرام، وهو يحمل راية رسول الله ﷺ، ويلبس قميصه، ويمسك بسيفه، ومعه علامات وعهد من رسول الله ﷺ، وعليه نور وبيان، ويأتي من فوق رأسه من جهة السماء صوت، يقول في معجزة سماوية: هذا صفوة الله من خلقه، المهدي فلان بن فلان، فاسمعوا له وأطيعوا. ويقف خلف مقام إبراهيم، فيصلي صلاة العشاء، فإذا فرغ منها أسند ظهره إلى الحجر، وكلّم الناس.

أخرج في العرف الوردي، بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: يظهر المهدي بمكة عند العشاء، ومعه راية رسول الله ﷺ، وقميصه، وسيفه، وعلامات، ونور وبيان فإذا صلى العشاء نادى الناس بأعلى صوته، يقول:

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢ ـ ٣٠٦ .

(أذكّركم الله ـ أيها الناس ـ ومقامكم بين يدي ربكم. وقد أكّد الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب. يأمركم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا علىٰ طاعته وطاعة رسولهﷺ، وأن تُحيوا ما أحيى القرآن، وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً علىٰ الهدى، ووزراء علىٰ التقوى. وإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وأذنت بانصرام. وإني أدعوكم إلى الله، وإلى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل وإحياء السنة). يظهرعليه السلام ـ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر علىٰ غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف. رهبان بالليل، أُسدٌ بالنهار[1]، وأخرج الحديث في عقد الدرر بالإسناد المذكور عن أبي جعفر الباقرعليه السلام[2].

وأخرج الكنجي الشافعي في كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان، بسنده المتصل عن كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر بن العاص، قال: قال رسول اللهﷺ: يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إن هذا المهدي فاتبعوه. قال الكنجي: هذا حديث حسن رواته الحفاظ والأئمة من أهل الحديث، كأبي نعيم والطبراني، وغيرهما[3].

ويبسط أنصار الإمام سيطرتهم علىٰ مكة المكرمة، بما فيها المسجد الحرام. وتُمسي مكة كلها خاضعة لحكم الإمام المهدي، وسيطرة أنصاره، تُرفرف عليها راية الإمام. ويبيتُ أهل مكة ليلتهم في رعاية وحماية الإمام المهدي، تشملهم بركته ورحمته وعدله. وهي أول ليلة تمر علىٰ أهل مكة، تحت ظلال حفيد رسول اللهﷺ. فهنيئاً لأهل مكة، ومَنْ يكون فيها في تلك الليلة.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٦٤، نقلاً عن العرف الوردي، ٢ ـ ٧١ .

(٢) المصدر السابق: ٢ ـ ١٦٣، نقلاً عن عقد الدرر: ٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه: ٢ ـ ١٤، نقلاً عن البيان في أخبار صاحب الزمان: ٣٣ (ط إيران).

البيان الأول

ويطلع فجر اليوم العاشر من المحرم علىٰ أهل مكة، وهو يحمل للبشرية جمعاء نسمات الحرية والخلاص من الظالمين والمتجبرين في الأرض. وفي تلك الساعة يتنفس الناس عبق الرسالة المحمدية. وينطلق أذان الفجر في سماء مكة مع أنوار ملكوت الله الذي يملأ الأرض كلها بعد هذه الساعة. وتبدأ جحافل الطاغوت بالانكسار والانحسار أمام أنوار ملكوت الله... ويعلن المؤذّن أن الله أكبر من كل الطواغيت والجبابرة، وأن رسالة رسوله محمدﷺ قد آن أوان انطلاقها من مكة، لتعمّ الأرض كلها علىٰ يد حفيده المهدي، كما كان جده الرسولﷺ قد بدأها في مكة. ويتقدم الإمام المهدي للصلاة، ويؤمّ الناس لصلاة الفجر. ويشهد الناس أول صلاة بإمامة ابن رسول الله المهدي.

وحين تبدأ شمس ذلك اليوم ترسل أولى خيوطها الذهبية إلى الأرض، وهي تحمل بشائر عالم جديد، عالم السلام والأمان، عالم العدل والمساواة، عالم الحرية والإنسانية، عالم السعادة والغنى والرفاهية، عالم التحرر من عبودية الطاغوت، والخلاص من عبودية الشهوات. مع أول قبضة من أشعة شمس ذلك اليوم يقف الإمام المهدي وقد أسند ظهره إلى الحطيم، وأمامه لاقطات الصوت التابعة إلى جميع الفضائيات في العالم، يقف ليعلن للناس كافة بيانه الأول، فيسمعه كل إنسان في كل مكان، وبجميع اللغات.

أخرج في البحار بسنده إلى الإمام أبي جعفر الباقرعليه السلام، قال: كأني بالقائم يوم عاشوراء، يوم السبت، قائماً بين الركن والمقام، بين يديه

جبرئيل، ينادي: البيعة لله، فيملأها عدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً[1].

وأخرج في البحار أيضاً من طريق آخر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء، اليوم الذي قُتِل فيه الحسين عليه السلام[2].

وقد ذكرت بعض الروايات نماذج مما تتضمّنه خطبته التي تُعَدُّ أول بيان له إلى الناس كافة في ذلك اليوم. ومن هذه النماذج :

أخرج الشبلنجي في نور الأبصار: إذا خرج المهدي أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أتباعه، فأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] ثم يقول: أنا بقية الله وخليفته، وحجته عليكم... [4].

وأخرج في البحار، بسنده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: والله لكأني أنظر إلى القائم وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه، ثم يقول: يا أيها الناس مَنْ يحاجني في الله فأنا أولى بالله. أيها الناس مَنْ يحاجني بآدم فأنا أولى بآدم. أيها الناس مَنْ يحاجني في نوح، فأنا أولى بنوح. أيها الناس مَنْ يحاجني في إبراهيم فأنا أولى بإبراهيم. أيها الناس مَنْ يحاجني في موسى فأنا أولى بموسى. أيها الناس مَنْ يحاجني في عيسى فأنا أولى بعيسى. أيها الناس مَنْ يحاجني في محمد صلى الله عليه وآله فأنا أولى بمحمد. أيها الناس مَنْ يحاجني في كتاب الله، فأنا أولى بكتاب الله... [5]

وجاء في رواية أخرى زيادة على ما تقدّم: ألا ومَنْ حاجّني في سُنَّة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول الله وسيرته، وأُنشد الله مَنْ سمع

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٢٨٥ .

(٣) سورة هود: الآية ٨٦ .

(٤) نور الأبصار: ١٥٥ .

(٥) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣١٥ .

كلامي لما يبلّغ الشاهد الغائب[1].

إنه حدث عظيم أن يتحدث المهدي نفسه إلى الناس كافة من مكة المكرمة، ويسمع كلامه كل الناس في جميع أنحاء الأرض. المهدي الذي ينتظره كل المظلومين والمعذبين في الأرض. المهدي الذي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تقضي عليه، وتمنع ظهوره إلى الناس، هو نفسه يتحدث إلى الناس. إنه حدث عظيم. ومما يزيد عظمة هذا الحدث المعجزة التي تحدث بعد كلام المهدي إلى الناس كافة عبر الفضائيات العالمية. إنها معجزة الصوت المدوّي، المزلزل، الذي تهتزّ له الجبال والبحار والأنهار والأشجار، والطيور وجميع أصناف الحيوانات، وتنخلعُ له قلوب البشر، وتقشعرُّ له جلودهم، ويقف له شعرهم. الصوت الذي يأتي من السماء كالرعد القاصف، إنه صوت جبرئيل، يُعرّف الناس بالمهدي، وأنه ظهر في مكة، وأن عليهم السمع والطاعة له.

أخرج في عقد الدرر، بسنده عن شهر بن حوشب، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: في المحرم ينادي منادٍ من السماء: ألا إن صفوة الله من خلقه فلان (أي المهدي)، فاسمعوا له وأطيعوا. في سنة الصوت والمعمعة[2].

وأخرج الطوسي في الغَيْبة، بإسناده عن الفضل، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم: ينادي منادٍ من السماء باسم القائم، فيسمع ما بين المشرقِ إلى المغرب، فلا يبقى راقد إلا قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام علىٰ رجليه من ذلك الصوت. وهو صوت جبرئيل الروح الأمين[3].

---

(١) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٤٢، نقلاً عن عقد الدرر، الفصل الثالث، الحديث ١٣٩ .

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٩٠ .

وأخرج في فرائد السمطين، بسنده المتصل عن الحسين بن خالد، قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام... وهو (أي المهدي) الذي ينادي منادٍ من السماء، يسمعه جميع أهل الأرض، بالدعاء إليه، بقول: ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله الحرام فاتبعوه، فإن الحق فيه ومعه. وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾..[1] [2].

وأخرج الطوسي في الغَيْبة، بسنده المتصل عن الحسن بن زياد الصيقل، قال: سمعتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إن القائم لا يقوم حتى ينادي منادٍ من السماء تسمعه الفتاة في خدرها، ويسمعه أهل المشرق والمغرب، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾[3].

وأخرج المفيد في الاختصاص، بسنده عن حذيفة، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السماء: أيها الناس قُطِعَ عنكم مدة الجبارين ووُلِّيَ الأمر خير أمة محمد، فالحقوا بمكة...**»[4].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٤ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٣٠٠، نقلاً عن فرائد السمطين.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٨٥ .

(٤) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٣٠٤ .

ماذا تفعل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها بعد هذا الحدث؟

إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تعرف الكثير عن المهدي قد أعدّت خطة لمواجهة هذا الحدث إذا حصل. وتقتضي هذه الخطة أن تُهيِّئ الولايات المتحدة رجلاً من عملائها، وتدربه علىٰ أن يمثل دور المهدي في الملبس، والهيئة، والكلام، بناءً علىٰ ما ذكرته الروايات الإسلامية عن صفات المهدي وهيئته، وما يفعله عند ظهوره. فإذا ظهر الإمام المهدي وخاطب الناس في مكة، وسمع الناس الصوت العظيم، نفّذت الولايات المتحدة الخطة المذكورة، وظهر ذلك الرجل الذي أعدته لمثل هذه الساعة، وادّعى أنه هو المهدي الحقيقي. وتحشد الولايات المتحدة إعلامها، وجميع وسائل الإعلام في العالم، وتُظهر ذلك الرجل وهو يوجه بيانه إلى الناس كافة بجميع اللغات، ويدعوهم إلى نصرته، والقضاء علىٰ المهدي الحقيقي.

ويُصاب المسلمون بحيرة وارتباك شديدين، ويلتبس الأمر علىٰ كثير منهم. ولكن الذين كانوا يتابعون أخبار الإمام المهدي الحجة بن الحسن العسكري، ويقرؤون عنه، ويعرفون ماذا يحدث عند ظهوره، ويعلمون أن هذا الأمر الذي يدبّره الشيطان الأكبر سيحصل بعد ظهور الإمام المهدي، هؤلاء قد أعدّوا أنفسهم لمواجهة أمر الشيطان هذا. هؤلاء يميزون الحق من الباطل، ويعرفون الإمام الحجة ابن الحسن كما يعرفون أنفسهم، وكما تعرف الأم وليدها وإن غاب عنها زمناً طويلاً.

أخرج النعماني في الغَيْبة، بسنده المتصل عن ناجية العطار، قال:

سمعتُ أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: إن المنادي ينادي أن المهدي فلان بن فلان، باسمه واسم أبيه، فينادي الشيطان أن فلاناً وشيعته على الحق، يعني رجلاً من بني أمية[1].

وأخرج النعماني أيضاً بسنده المتصل عن زرارة، قال: قلتُ لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: عجبتُ ـ أصلحك الله ـ وإني لأعجب من القائم، كيف يقاتَلُ مع ما يرون من العجائب: من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء؟! فقال: إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي، كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة[2].

وأخرج النعماني أيضاً بسنده المتصل عن عبد الرحمن بن مسلمة، قال: قلتُ لأبي عبد الله الصادق: إن الناس يوبّخونا، ويقولون: من أين يُعْرَفُ المحقّ من المبطل إذا كانتا؟ فقال: ما تردّون عليهم؟ قلتُ: فما نردُّ عليهم شيئاً. فقال: قولوا لهم: يصدِّقُ بها ـ إذا كانت ـ مَنْ كان مؤمناً بها قبل أن تكون. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3] [4].

وبعد أن يُلقي الإمام المهدي بيانه الأول إلى الناس، ويُعرِّف نفسه إليهم، ويشرح لهم أهداف حركته، يقوم إليه أنصاره الذين كانوا معه ساعة ظهوره، ليجددوا البيعة له مرة ثانية ثم يقوم أهل الحق ممن كانوا في المسجد الحرام في تلك الساعة ويبايعون الإمام المهدي أيضاً في المكان نفسه.

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢ ـ ٢٩٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٢ ـ ٢٩٥ .

(٣) سورة يونس: الآية: ٣٥ .

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٩٦ .

الباب الخامس

المواجهة

بين المهدي والسفياني

ويشتمل علىٰ الفصول التالية :

الفصل الأول: تشكيل الجيش الإسلامي

الفصل الثاني: العراق.. الخطوة الأولى في المواجهة

الفصل الثالث: الشام.. الخطوة الثانية في المواجهة

الفصل الأول
تشكيل الجيش الإسلامي

وصول الأنصار إلى مكة

حين يسمع المؤمنون الذي أعدّوا أنفسهم لساعة ظهور المهدي في جميع أنحاء العالم الصوت العظيم من السماء معلناً ظهوره في مكة بكلّ لسان، ويسمعون البيان الأول الذي يلقيه المهدي في مكة عن طريق الفضائيات ووكالات الأنباء العالمية، حين يسمعون ذلك يتوجهون فوراً إلى مكة المكرمة من كلّ مكان، لا يؤخرهم عن الوصول أولادهم، ولا نساؤهم، ولا مصالحهم التي يسعون إلى تحقيقها، ولا تجاراتهم التي يديرونها، ولا أيّ شيء من أمور الحياة.. يأتون إلى مكة، وهم يحنون إلى إمامهم كما تحنُّ الأمُّ الرؤوم إلى وليدها الوحيد الذي كان غائباً عنها زمناً طويلاً. تأتيه عصائب أهل العراق، ونجباء مصر، وأبدال الشام. ويأتيه الأنصار من إيران وما جاورها من البلدان، ومن جزيرة العرب نفسها، ومن أوربا، وجميع أنحاء العالم. ويهيّئ الله تعالىٰ لهؤلاء الأنصار كلّ أسباب الانتقال إلى مكة، ليكوّنوا أول جيش إسلامي بقيادة المهدي.

وتشير الروايات إلى كيفية وصول الأنصار إلى مكة، فذكرت أن بعضهم يُفْقَدون من فُرشهم ليلاً، فحين يستيقظ أهلهم صباحاً لا يجدونهم. وأن بعضهم يأتون إلى مكة علىٰ متن السحاب ليلاً ونهاراً. وبعضهم يأتون سيراً، فتُطوَى لهم الأرض طيًّا. ويستمرّ وصول الأنصار من جميع أنحاء الأرض إلى مكة المكرمة، حتى يصل عددهم إلى عشرة آلاف رجل ومن تلك الروايات

التي أشارت إلى ذلك :

١ ـ أخرج في عقد الدرر، بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: يظهر المهدي يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قُتِل فيه الحسين بن علي عليه السلام... ويسير إليه شيعته من أطراف الأرض. تُطوَى لهم الأرض طيًا... [١].

٢ ـ أخرج الشبلنجي في نور الأبصار :... وإن الذين يبايعونه بين الركن والمقام بعدد أهل بدر، ثمّ يأتيه أبدال الشام، ونجباء مصر، وعصائب أهل المشرق، ويُبعَثُ إليه من خراسان برايات سود... [٢].

٣ ـ أخرج في كنز العمال، بسنده إلى أمّ سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدّة أهل بدر، فتأتيه عصائب العراق، وأبدال الشام...**»[٣].

٤ ـ أخرج في إكمال الدين وإتمام النعمة، بسنده عن عبد العظيم الحسني، عن محمد بن علي الجواد عليه السلام، قال: قلتُ لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل البيت، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظلماً وجوراً. فقال: يا أبا القاسم ما منا إلاّ قائم بأمر الله عزَّ وجلَّ، وهادٍ إلى ربه، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملؤها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى علىٰ الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، وهو سَمِيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكَنِيُّه، وهو الذي تُطْوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب. يجتمع إليه أصحابه عدة أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، من أقاصي الأرض. وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. فإذا اجتمعت

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٦٥، نقلاً عن عقد الدرر.

(٢) نور الأبصار: ١٥٥ .

(٣) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٧٢، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ١٨٨ .

هذه العدّة من أهل الأرض أظهر أمره، فإذا أُكْمِلَ له العقد، وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله تعالى[1].

٥ ـ وأخرج في إكمال الدين وإتمام النعمة أيضاً، بسنده عن المفضّل ابن عمرو، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾. إنهم لمفتقدون عن فرشهم ليلاً، فيصبحون بمكة. وبعضهم يسير في السحاب نهاراً، يُعرَف اسمه واسم أبيه، وحليته ونسبه... [2].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٢٨٦ .

كمال العدد وبداية التحرّك

إن أنصار الإمام المهدي الثلاثمائة والثلاثة عشر، الذين كانوا معه يوم ظهوره، هم أصحاب الألوية، أي القادة الذين يعهد إليهم المهدي قيادة ألوية الجيش الإسلامي الذي تمّ تشكيله من الأنصار الذين وصلوا مكة من جميع أنحاء الأرض. وتشير الروايات إلى أن المهدي يبدأ بالتحرّك من مكة المكرمة حين يبلغ عدد الأنصار عشرة آلاف مقاتل.

ولم تذكر الروايات المدة التي يبقى فيها المهدي في مكة المكرمة، سوى ما ذكرته من أنه يبقى في مكة مدة من الزمن بانتظار وصول الأنصار من جميع أنحاء العالم. وحين يبلغ عدد الجيش الذي يشكله المهدي من هؤلاء الأنصار عشرة آلاف مقاتل يكون المهدي قادراً من الناحية العسكرية علىٰ الخروج من مكة، والتصدّي لقادة الظلم والطغيان. ويبدأ المهدي بعد اكتمال العدد المذكور ببسط سيطرته علىٰ جميع أنحاء مكة وضواحيها، فيطهرها من الجواسيس، وممن لم يستجب لدعوته من رؤساء القبائل وأتباعهم، وقيادات الجيش السابق وأتباعهم. ثمّ يوسّع حركته لتشمل كلّ بلاد الحرمين، فتدين له القبائل، ويفتح كلّ السجون، فيطلق سراح كل المظلومين المسجونين بغير ذنب.

أخرج النعماني في الغَيْبة، بسنده عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: لا يخرج القائم من مكة حتى تكتمل الحلقة. قلتُ: وكم الحلقة؟ قال: عشرة آلاف... [1].

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

ثم يستمر تدفق الأنصار إلى مكة، حتى يزيد عددهم علىٰ عشرة آلاف رجل، فيخرج من مكة ليبدأ حركته المباركة في تأسيس عالم العدل والمساواة والحرية، عالم العبودية لله الواحد، عالم ملكوت الله القائم علىٰ دين الله الإسلام.

أخرج ابن طاوس في الملاحم والفتن بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: يخرج المهدي في اثني عشر ألفاً إنْ قلّوا، وخمسة عشر ألفاً إنْ كثروا. ويسير الرعب بين يديه، لا يلقاه عدوٌّ إلاّ هزمهم بإذن الله[1].

أخرج السيوطي في العرف الوردي، بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: . . . فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز، ويستخرج مَنْ كان بقي في السجن من بني هاشم[2] وأخرج الحديث أيضاً السيد ابن طاوس في الملاحم والفتن[3].

---

(١) الملاحم والفتن: ٤٨ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٦٤، نقلاً عن العرف الوردي: ٢ ـ ٧١ .

(٣) الملاحم والفتن: ٤٨ .

تحرير المدينة المنورة

يخرج الإمام المهدي من مكة المكرمة متوجهاً إلى المدينة المنورة، بجيش إسلامي قوامه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، ويتألف هذا الجيش من فرق وألوية يقودها أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر. وتشير الروايات إلى أن المهدي يُعرّج ـ وهو في طريقه إلى المدينة المنورة ـ علىٰ المكان الذي حدثت فيه معجزة الخسف بجيش السُّفياني، فيقول: هذا مكان القوم الذين خسف الله بهم، ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ . . .[1] [2].

وتشير الروايات أيضاً إلى أن معركة تحدث بين جيش الإمام المهدي وبقايا جيش الولايات المتحدة الأمريكية في المدينة المنورة. وتكون الدائرة علىٰ جيش الولايات المتحدة، فينتصر الجيش الإسلامي علىٰ هذا الجيش نصراً كبيراً، فيقتل مَنْ يقتُل، ويأسر مَنْ يأسر، ويهرب مَنْ بقي حيًّا طليقاً، عائدين إلى قواعدهم في العراق.

أخرج في عقد الدرر حديثاً عن السُّفياني أورده أبو بكر محمد بن الحسين النقاش المقري، في تفسيره، ومما جاء فيه: . . . فإذا فرغ (أي المهدي) من البيعة تبعه الناس. ثم يبعث دليلاً إلى المدينة المنورة عليهم

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) عصر الظهور: ٢٢٦ ـ ٢٢٧، نقلاً عن تفسير العياشي.

رجل من أهل بيته، فيقاتل الزهري، وهو رئيس جيش السُّفياني. ويقتل أصحابه... [1].

وأخرج السيد ابن طاوس في الملاحم والفتن، فيما ذكره نعيم في المهدي: ... يخرج المهدي من مكة... فيلتقي هو وصاحب جيش السُّفياني. وأصحاب المهدي يومئذٍ جُنَّتُهم البرادع... فتكون الدائرة علىٰ أصحاب السُّفياني [2].

والبرادع: جمع بردعة، وهي ما يوضع علىٰ الحمار أو البغل، ليركب عليه، كالسرج للفرس. والجُنَّة: كلُّ ما يقي به الإنسان نفسه، من سلاح وغيره. وقوله: جُنَّتُهم البرادع تعبير فيه إشارة إلى أن جيش المهدي يركبون مركبات تحميهم من أسلحة العدو.

ويحرر الإمام المهدي المدينة المنورة من الغزاة المحتلين، ويطهرها من رجسهم. أما الجواسيس والعملاء والذين ظلموا الناس فإن المهدي يستعمل الشدة والقسوة معهم، ولا يرحم أحداً منهم، حتى يتمنّى بعضهم أن علي بن أبي طالب موجود، لكي يستشفعوا به إلى المهدي، ليرحمهم. وينعمُ بعد ذلك أهل المدينة بأيام ولياٍل هانئة جميلة في ظلِّ رعاية المهدي وأكثر سعادتهم أن يُمتِّعوا أبصارهم برؤية حفيد رسول الله ﷺ، وهو يؤمُّ الناس في مسجد جدّه الرسول الأعظم. ويذوقون طعم الحياة الإسلامية الأصيلة التي تمنحهم الشعور بالأمن الشخصي والمعيشي والأخلاقي، والشعور بسعادة رضا الله عنهم، وهم في ظلِّ حكومة رسول الله ﷺ التي يمثلها حفيده المهدي.

أخرج العياشي في تفسيره، بسنده عن عبد الأعلى الحلبي، قال: قال

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٣، نقلاً عن عقد الدرر، الباب الرابع، الحديث ١٢٥.
(٢) الملاحم والفتن: ٥٠ .

أبو جعفر الباقر عليه السلام : . . . ثم يدخل (أي المهدي) المدينة، فتغيب عنهم قريش. وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام : والله لودَّتْ قريش أنّ موقفاً واحداً جزرَ جزور بكلِّ ما ملكت، وكلِّ ما طلعت عليه الشمس أو غربت. ثم يُحدثُ (أي المهدي) حدثاً، فإذا هو فعل ذلك، قالت قريش: اخرجوا بنا إلى هذا الطاغية، فوالله أنْ لو كان محمدياً ما فعل، ولو كان علوياً ما فعل، ولو كان فاطمياً ما فعل. فيمنحه الله أكتافهم، فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية. ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة، فيبلغه أنهم قد قتلوا عامله، فيرجع إليهم، فيقتلهم مقتلة، ليس قتل الحرة إليها بشيء. ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه. . . [1].

وقريش هنا رمز للطغاة، ولكل رموز الظلم وأتباعهم من الأفراد والقبائل في بلاد الحرمين. والمعنى: والله لتمنَّتْ قريش أنَّ موقفاً واحداً أكونُ فيه عندها مدَّةَ ذبح ناقةٍ، بكلِّ ما ملكت. . . .

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٤٢، نقلاً عن تفسير العياشي.

الفصل الثاني
العراقُ.. الخطوةُ الأولى في المواجهة

أحداثٌ في العراق قبل وصول المهدي

في الوقت الذي يكون فيه المهدي منشغلاً بتثبيت دعائم حكومته في بلاد الحرمين، وتوطيد قواعد الاستقرار والأمان فيها، تجري في العراق أحداث عظيمة تتسبَّب فيها جيوش الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الأحداث التي تحدث في العراق قبل توجه المهدي إليه:

حصول مقاومة شديدة من العراقيين ضدّ جيوش الولايات المتحدة الأمريكية في جميع أنحاء العراق، وحصول قتال عنيف بين المقاومين وبين الجيوش الأمريكية، فتُمنَى الجيوش الأمريكية بهزائم منكرة، وخسائر فادحة في بعض المناطق.

أخرج في عقد الدرر، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حديثاً طويلاً عن أحوال الجيش السُّفياني، وما يفعله في العراق، ثم قال: . . . فيخرج رجلٌ من موالي الكوفة في ضعفاء، فيقتله أمير جيش السُّفياني. .[1].

وذكر في عقد الدرر ما يفعله السُّفياني بنساء العراق، ومما جاء فيه: . . . فيفتضّ أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فعند ذلك كم من لاطمة خدّها، كاشفة شعرها بدجلة أو بشاطئ الفرات. فيبلغ الخبر لأهل البصرة،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٧ .

فيركبون إليهم في البر والبحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم[1].

وأخرج السيوطي في العرف الوردي حديثاً عما يفعله السُّفياني في أهل العراق عامةً، وأهل الكوفة خاصّةً، وجاء فيه: . . . ثم يخرج قوم من سواد الكوفة، يقال لهم العصب، ليس معهم سلاح إلا القليل، وفيهم بعض أهل البصرة، وقد تركوا أصحاب السُّفياني، فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة. . . [2].

ومن الأحداث التي تحدث في العراق قبل توجه المهدي إليه مجيء نجدة من المتطوعين الإيرانيين لإغاثة الشعب العراق ونجدته، وخاصة في النجف والكوفة وكربلاء، والدفاع عن مراقد الأئمة والأماكن المقدسة، ولدعم المقاومين الذين يقاتلون جيوش الولايات المتحدة الأمريكية في أنحاء العراق.

أخرج في عقد الدرر بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: . . . ويبعث السُّفياني جيشاً إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً. فبينما هم كذلك إذْ أقبلت رايات من خراسان، تطوي المنازل طيًّا حثيثاً، وفيهم نفر من أصحاب المهدي[3].

وتذكر إحدى الروايات أن فرقةً من أصحاب الرايات السود تستقرّ في الكوفة، بعد أن تهزم الجيوش الأمريكية في هذه المنطقة. أخرج الطوسي في الغَيْبة بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: . . . تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعثت إليه بالبيعة. . . [4].

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٢ ـ ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٢ ـ ٩٦ ـ ٩٧، نقلاً عن عقد الدرر: ١٣٦ .

(٤) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣١٧ .

ومن الأحداث التي تحدث في العراق قبل توجّه المهدي إليه حصول حرب تدور رحاها بين قوات من الجيش الأمريكي، وقوات الجمهورية الإسلامية في إيران، على الحدود الجنوبية الشرقية للعراق مع إيران، وخاصة في منطقة الأهواز.

جاء في مخطوطة ابن حماد، بسنده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: . . . إذا خرجت خيل السُّفياني إلى الكوفة، بعث في طلب أهل خراسان. ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي. فيأتي[1] الهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح. فيلتقي هو وأصحاب السُّفياني بباب إصطخر، فيكون ملحمة عظيمة. فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السُّفياني. فعند ذلك يتمنى الناس المهدي، ويطلبونه[2]. وإصطخر: مدينة قديمة في جنوب إيران في منطقة الأهواز.

---

(١) الخبر المنقول عن المخطوطة: (فيلتقي هو والهاشمي. . .)، وأحسبه تحريف، والصحيح ما أثبتُه.

(٢) عصر الظهور: ١٠٧ ـ ١٠٨، نقلاً عن مخطوطة ابن حماد: ٨٦ .

المهدي في العراق

وتحينُ ساعة الخروج من المدينة المنورة، ويتوجّه الإمام المهدي بجيش جرّار نحو العراق. وتصوّر بعض الروايات مشهد وصول موكب المهدي إلى الكوفة، فيظهر المهدي في موكب عظيم، يرافقه وزراؤه وأركان حكومته، ينزلون الكوفة في قِباب من نور، في إشارة إلى وسيلة نقل حديثة.

أخرج العياشي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾[1]، بسنده إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: ... ينزل (أي المهدي) في سبع قِباب من نور، لا يُعْلَمُ في أيّها هو حين ينزل في ظهر الكوفة... [2].

وأخرج في البحار، بسنده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: كأني بالقائم علىٰ ظهر النجف، لابساً درع رسول الله صلى الله عليه وآله، فيتقلّص عليه، ثم ينتفض بها، فيستدير عليه، ثم يغشّي الدرع بثوب إستبرق، ثم يركب فرساً له أبلق، بين عينَيْه شمراخ، لا يبقى أهل بلد إلا أتاهم نور ذلك الشمراخ، حتى يكون آيةً له، ثم ينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا نشرها أضاء لها ما بين المشرق والمغرب.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: كأني به قد عبر وادي السلام إلى مسيل السهلة علىٰ فرس محجّل، له شمراخ يزهر، يدعو ويقول في دعائه: لا إله إلا الله حقًّا حقًّا، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلا الله تعبّداً ورقًّا، اللهمّ معزَّ كلّ مؤمن وحيد، ومذلَّ كلّ جبار عنيد، أنت كَنَفي حين تُعْييني

---

(١) سورة الرحمن: الآية: ٣٣ .

(٢) عصر الظهور: ٢٣٢، نقلاً عن تفسير العياشي.

المذاهب، وتضيق عليَّ الأرض بما رحبت. اللهمَّ خلقتني، وكنتَ غنيًّا عن خلقي، ولولا نصرك إيّاي لكنتُ من المغلوبين. يا مُنشئَ الرحمة من مواضعها، ومخرجَ البركات من معادنها، ويا مَنْ خصَّ نفسه بشموخ الرفعة، فأولياؤه بعزِّه يتعزَّزون، يا مَنْ وضَعَ له الملوك نِير المذلّة علىٰ أعناقهم، فهم من سطَواته خائفون أسألك باسمك الذي فطرتَ خلقك، فكلٌّ له مذعنون. أسألك أن تصلّي علىٰ محمد وآل محمد وأن تُنجز لي أمري، وتُعجِّلَ لي في الفرَج، وتكفيني، وتعافيني، وتقضي حوائجي الساعةَ الساعةَ، الليلةَ الليلةَ، إنك عل كلّ شيء قدير[1].

والشمراخ الوارد في تلك الروايات هو: عِذْق النخل، عليه بُسْر، أو هو عُنقود العنب، أو مثل ذلك، ولعلّ الفرس الذي له شمراخ يُضيء يرمز إلى نوع متطور من وسيلة النقل، يوجدُ في مقدمتها جهاز مثل عِذق النخل، أو عنقود العنب، يُضيءُ لأهل الأرض جميعاً.

ويبدو من الروايات التي ذكرت الأحداث التي تقع في العراق قبل وصول الإمام المهدي إليه أن الكوفة تكون محرّرة من جيوش الاحتلال وقت وصول الإمام إليها، بفعل المقاومين العراقيين من أهل الكوفة، ومَنْ يساعدهم من أهالي المحافظات الأخرى، ومساعدة المتطوعين الإيرانيين الذين يصلون إلى الكوفة لنجدة أهلها، والدفاع عن المراقد المقدّسة. ولكن لا يعني هذا أن تكون الكوفة قد طُهِّرت من عملاء الولايات المتحدة من المنافقين والمنتفعين. ولا يعني أن الجيش الأمريكي قد خرج من الكوفة تماماً، فالقوات الأمريكية موجودة في قواعدها القريبة من الكوفة. ويظهر أيضاً أن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية في العراق تكون منهكة، ومعنوياتها هابطة، بسبب المعارك التي خاضتها مع الجيوش الأخرى للسيطرة علىٰ الثروة التي عبّرت عنها الروايات بالذهب الذي تتقاتل عليه الجيوش القادمة إلى العراق.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

المواجهة الأولى

إن أول شيء يقوم به الإمام المهدي بعد وصوله إلى الكوفة هو مواجهة جيوش الولايات المتحدة الأمريكية، وعملائها في العراق. فقد ذكرت بعض الروايات أن الجيش الأمريكي المتواجد في القواعد العسكرية القريبة من الكوفة يتصدّى للمهدي وجيشه، ومعه أعوانه ومساعدوه عملاء الولايات المتحدة، من المنافقين والمنتفعين، والذين ارتبطت مصالحهم بالوجود الأمريكي في العراق، كلُّ هؤلاء يخرجون للتصدي للمهدي، فيتقدّم إليه أولئك العملاء، وهم من أهل البلاد الذين يدّعون التشيّع لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيقولون له: ارجع من حيث جئت، لا حاجة لنا بك. فيقاتلهم المهدي، وينتصر عليهم، ثم يشنُّ حرباً شاملة على جميع جيوش الولايات المتحدة الأمريكية في جميع أنحاء العراق. فتنكشف تلك الجيوش أمام ضربات المقاتلين من جيش المهدي، كما تنكشف فلول الظلام أمام أنوار الفجر، وتفرُّ مذعورة أمامهم، كما تفرُّ الخراف والمعزى أمام الأسود الشرسة.

إن جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تنسحب من العراق هاربة، لا تلوي على شيء، وتتوجه إلى بلاد الشام، لأن بلاد الشام تكون محتلّة في ذلك الوقت من قبل جيوش الولايات المتحدة، ولأن إسرائيل توفر الإسناد والحماية لتلك الجيوش. إن بلاد الشام تكون المقرّ الجديد لجيوش الولايات المتحدة الأمريكية.

أخرج في البحار، بسنده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: يقدم

المهدي حتى يأتي النجف، فيخرج إليه من الكوفة جيش السُّفياني، وأصحابه، والناس معه، وذلك يوم الأربعاء. فيدعوهم، ويناشدهم حقّه... فيقولون: ارجع من حيث جئتَ، لا حاجةَ لنا فيك قد خبرناكم واختبرناكم، فيتفرّقون من غير قتال. فإذا كان يوم الجمعة يعاود، فيجيء سهم فيصيب رجلاً من المسلمين فيقتله.. فعند ذلك ينشر راية رسول الله ﷺ.. فيحمل عليهم هو وأصحابه، فيمنحهم الله أكتافهم، ويولّون، فيقتلهم حتى يدخلهم أبيات الكوفة. وينادي مناديه: ألاّ تتّبعوا مولّياً، ولا تجهزوا علىٰ جريح، ويسير بهم كما سار علي عليه السلام يوم البصرة[1].

وأخرج المفيد في الإرشاد، بسنده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: وإذا قام القائم سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر آلاف نفس، يُدْعَون (البُتريّة)، عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئتَ، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف، حتى يأتي علىٰ آخرهم. ثم يدخل الكوفة، فيقتل بها كلَّ منافق مرتاب... [2].

والبُترية: طائفة من طوائف الزيدية، وهم من فرق الشيعة. والبُترية في الحديث السابق رمزٌ لجماعات من الشيعة المنحرفين عن خطِّ عليّ والحسين، الذين آثروا الدنيا علىٰ الآخرة، وشايعوا وتابعوا الولايات المتحدة الأمريكية، وفيهم مَنْ تَسَمَّوا بعلماء الدين.

ويتحرر العراق من جيوش الشيطان التي أحالت نهار العراق ليلاً حالكاً، وتشرق علىٰ العراقيين شمس الخلاص من الشرّ والظلم والعذاب. ويفرح العراقيون بالمهدي ودولته، ويكون أهل الكوفة أكثر فرحاً به من غيرهم، بسبب ما لاقوه من ألوان العذاب علىٰ يد جيوش الولايات المتحدة وعملائها.. ويعيش العراقيون جميعاً في كنف الإمام المهدي في خير ونعمة

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

(٢) المصدر السابق: ٥٢ ـ ٣٣٨ .

ويزول عنهم الفقر، والأمراض. وتتطهّر أرض العراق من التلوثات والإشعاعات والأمراض التي نشرها المحتل الأمريكي عمداً في أرض العراق، حقداً علىٰ العراقيين، وبغضاً لهم.. وتطرح الأرض خيراتها، ويكون نهار العراقيين مليئاً بالأمل والعمل، وليلهم منيراً بأنوار الأمان والاطمئنان، فلا تفجيرات، ولا دماء، ولا دمار، ولا انقطاعاً في الكهرباء أو الماء.. وتتقدّم العلوم خلال هذه المدّة تقدّماً هائلاً في العراق، لأن العلماء من أصحاب المهدي يبذلون كلَّ جهدهم وطاقاتهم العلمية في إسعاد الناس، بعد أن يباركهم الإمام المهدي، ويفتح الله عليهم بكلِّ اختراع يفيد الناس ويُسعدهم.

أخرج في إكمال الدين وإتمام النعمة، بسنده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: إذا قام قائمنا وضع يده علىٰ رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم[1].

وأخرج في البحار، بسنده عن أبان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثَّها في الناس، وضمَّ إليها الحرفين، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً[2]، وأخرج في البحار أيضاً، بسنده عن أيوب بن نوح، عن العباس بن عامر، عن الربيع بن محمد، عن أبي الربيع الشامي، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريدٌ. يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه، وهو في مكانه[3].

ويتَّخذ الإمام المهدي الكوفة عاصمة له، ويعمل فيها أعمالاً رائعة.

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢ ـ ٣٢٨ .

(٢) نفسه: ٥٢ ـ ٣٣٦ .

(٣) نفسه: ٥٢ ـ ٣٣٦ .

ومن تلك الأعمال :

■ يأمر بتوسيع مسجد الكوفة، ليسع ملايين المصلين، فيكون مسجداً له ألف باب.

■ يأمر ببناء البيوت السكنية للفقراء والمساكين، ولمَنْ ليس لهم سكن أو بيت، حتى تتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء والحيرة.

■ يأمر بتوسعة الطرق، وخاصة الطرق السريعة التي تربط بين المدن.

■ يوسّع في العطاء، ويزيد في رواتب الناس، فلا يبقى محتاج، ولا فقير، ولا مسكين إلاّ صار مكتفياً بعطاء الإمام، حتى لا يحتاج أحد إلى الزكاة.

أخرج الطوسي في الغَيْبة، بسنده عن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ويبني في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب. وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء، وبالحيرة، حتى يخرج الرجل يوم الجمعة علىٰ بغلة سفواء، يريد الجمعة، فلا يدركها[1] (سفواء): أي سريعة. والبغلة السفواء ترمز إلى وسيلة نقل سريعة، كالسيارات وغيرها.

وأخرج الطوسي في الغَيْبة، بسنده عن أبي بصير، عن الإمام الصادق، قال : . . . ويوسّع الطريق الأعظم، فيصير ستين ذراعاً، ويهدم كلَّ مسجد علىٰ الطريق، ويسدُّ كلَّ كوَّة إلى الطريق، وكل جناح، وكل كنيف وميزاب إلى الطريق. . . [2].

وأخرج في البحار، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: . . . إذا ظهر القائم، ودخل الكوفة، بعث الله تعالىٰ من ظهر الكوفة سبعين ألف صِدِّيق، فيكونون في أصحابه وأنصاره، ويردُّ السواد إلى أهله ـ

---

(١) نفسه: ٥٢ ـ ٣٣٠ .

(٢) نفسه: ٥٢ ـ ٣٣٣ .

وهم أهله ـ ويعطي الناس عطايا مرّتين في السنة، ويرزقهم في الشهر رزقين، ويسوّي بين الناس حتى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة. ويجيء أصحاب الزكاة بزكاتهم إلى المحتاجين.. فلا يقبلونها... [1].

وقوله: (ويردُّ السواد إلى أهله ـ وهم أهله ـ). السواد: أرض العراق التي تخرج الخيرات. وأهل السواد هم أهل العراق. ومعنى ذلك أن الإمام المهدي يعطي خيرات العراق لأهل العراق، بعد أن كانت تُسْرَق منهم، من قبل الظالمين والمحتلين، والعملاء.

---

(١) نفسه: ٥٢ ـ ٣٩٠ .

الفصل الثالث
الشام.. الخطوة الثانية في المواجهة

التعبئة

يمكث الإمام المهدي في الكوفة مدة من الزمن، لم تشر الروايات إلى أمدها. وخلال هذه المدة يتوافد إلى العراق آلاف المتطوعين للانضمام إلى الجيش الذي يُعِدُّه المهدي للمواجهة المقبلة مع جيش الولايات المتحدة الأمريكية في الشام. يقبل هؤلاء المتطوعون إلى العراق من جميع بلدان العالم الإسلامي والأوربي، فقسم منهم يأتي من إيران بقيادة شخصية سياسية رُمِزَ لها في الروايات باسم السيّد الخراساني من بني هاشم، وشخصية عسكرية رُمِزَ لها في الروايات باسم شُعَيب بن صالح، ويأتي قسم منهم من الهند، وباكستان، وأفغانستان وآذربيجان، وغيرها من الجمهوريات الإسلامية التي كانت ضمن ما يُسمَّى بالاتحاد السوفيتي ويأتي قسم منهم من اليمن بقيادة شخصية رُمِزَ لها باسم الفتى اليماني، وتأتي جماعات منهم من جميع البلدان الإسلامية والعربية في عموم آسيا، ومن البلدان الإسلامية والعربية في عموم إفريقيا، ويأتي قسم منهم من عموم أوربا، من المسلمين المقيمين فيها، ومن الأوربيين الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام. كلُّ هؤلاء يتوافدون إلى العراق، وأمنيتهم الوحيدة أن يكونوا جنوداً تحت راية الإمام المهدي، وأملهم أن يسمعوا كلمة من الإمام، وأن تكتحل عيونهم بنظرة إلى حفيد الرسول الأعظم ﷺ.. عيونهم مشدودة نحو العراق، وقلوبهم تخفق شوقاً للوصول إلى العراق، ثم ملاقاة الإمام المهدي في الكوفة.. وخيالهم يذهب بعيداً،

ويحلّق في أجواء الأيام التي وصل فيها رسول الله محمدﷺ إلى المدينة المنورة، وبداية توافد المؤمنين إلى المدينة، ليفوزوا بشرف الجهاد تحت راية رسول اللهﷺ.

الإمام المهدي يستقبل الوافدين بالحب والرعاية، ويأمر بتوزيعهم إلى وحدات قتالية. ويصدر أوامره إلى قادة الوحدات برفع مستوى التدريب والإعداد للمتطوعين الجدد، وتدريبهم علىٰ أنواع جديدة من الأسلحة التي ابتكرتها عقول أصحابه الذين باركهم الإمام، ودعا الله أن يفتح عليهم بأنواع العلوم والاختراعات.

إن الإمام المهدي يشكل جيشه من هؤلاء القادمين إلى العراق من جميع أنحاء العالم، إضافة إلى العراقيين الذين يشكلون قواعد هذا الجيش. إن هذا الجيش الذي يُعِدُّه المهدي لم يشهد له التاريخ مثيلاً، بسبب تنوع أجناسه، وكثرة عدده، وتسلّحه بأسلحة لم تتوصّل إليها عقول أعدائه. وهو من أفضل جيوش العالم عدداً، وعُدَّةً، وتدريباً، ومعنوياتٍ. ويتميَّزُ أفراده بشجاعة كبيرة، وبطولة ليس لها نظير، وصلابة لا تلين، وعزم لا تقف أمامه الجبال الراسيات.

وفي هذا الوقت الذي يُعَبِّئ فيه الإمام المهدي جيشه، ويُعدّهم للمواجهة المقبلة، ينتفض الإسلاميون في تركيا، ليخلّصوا تركيا من أيدي العلمانيين، ويعودوا بها إلى حاضرة الإسلام، فيعلنون ثورتهم علىٰ النظام العلماني. وينضمُّ إليهم أعداد من الجيش التركي النظامي. ولكنّ العلمانيين الذين يحكمون البلاد لا يسلّمون الأمر بسهولة للإسلاميين، ويجمعون ما بقي من وحدات الجيش التركي، لمواجهة الإسلاميين. وحينئذٍ يستنجد الإسلاميون في تركيا بالإمام المهدي، فيستجيب المهدي لهم، ويرسل لواءً من جيشه لنجدتهم، وهو أول لواء يعقده المهدي للقتال خارج العراق قبل المواجهة مع جيوش الولايات المتحدة الأمريكية في بلاد الشام. ويستطيع الإسلاميون في تركيا بمساعدة الجيش الذي يرسله الإمام المهدي لنجدتهم أن

ينتزعوا البلاد من أيدي العلمانيين، ويعلنوا للناس جميعاً أن تركيا أصبحت إسلامية، وأنها تدين بالولاء والطاعة للإمام المهدي.

أخرج السيوطي في العرف الوردي، قال: أخرج نعيم، عن الحكم بن نافع، قال: . . . وأول لواء يعقده المهدي، يبعثه إلى الترك. . [1].

وتكون جزيرة العرب، واليمن، وإيران ـ حتى ذلك الوقت ـ تدين بالولاء والطاعة للإمام المهدي، دون قتال، ثم تدخل في طاعة الإمام تركيا أيضاً. أما دول الخليج العربي فالظاهر أن حكامها يقررون أن يبايعوا الإمام المهدي، ويدخلون في طاعته. وتشير الروايات إلى أن الكويت يكون لها وضع خاص من مسألة البيعة للمهدي والدخول في طاعته فالأمراء والطبقة الحاكمة فيها، ومَنْ يتبعهم، يعلنون عصيانهم وعدم مبايعتهم المهدي، وعامة الناس ـ وفيهم الإسلاميون ـ يبعثون بالبيعة له. ويذكر الأستاذ محمد عيسى داود، بناءً علىٰ ما نقله من مخطوط قديم بدار الكتبخانة بتركيا، أن صراعاً يحدث بين الفريقين في الكويت، ولكن النصر يكون حليف الفريق الثاني، بمساعدة الإمام المهدي. وإليك النص الذي نقله من ذلك المخطوط :

وحرب في بلد أصغر من عجب الذنب، يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون. وأميرٌ فيها سلَّم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة الغربيّة بدايةَ آخر الزمن، فتجمع لها صريخها من كل الدنيا، وتردّ له عرش الملك، ويُخرَّبُ عراق في ملاحم آخر الزمن. ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي. وحان خراب البلد مرة أخرى، لأن أميرها سر. . . . .[2]. والفساد. والمهدي يقتله، ويعود الذنب إلى جسد. . . [3]

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٠٦، نقلاً عن العرف الوردي.

(٢) مكان النقط مطموس في أصل المخطوط بمقدار نصف سطر.

(٣) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٩٤ ـ ٢٩٧، نقلاً عن المخطوط الموسوم (أسمى المسالك لأيام المهدي المالك لكل الدنيا بأمر الله المالك).

وخلال هذه الفترة يبعث الإمام المهدي من الكوفة برسائل إلى جميع رؤساء وقادة الدول في العالم، شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، يدعوهم فيها إلى عبادة الله الواحد، وإلى إعلان الدخول في طاعته، أو يواجهون هم وشعوبهم مصيراً مرعباً. ويستجيب له بعضهم، وبعضهم يتحفظ، ويسكت بانتظار ما تسفر عنه الأيام المقبلة، وبعضهم يعلن عليه الحرب.

التوجُّه إلى الشام

بلاد الشام في تلك الفترة الزمنية تصبح كلها معسكراً لجيوش الولايات المتحدة الأمريكية بعد هزيمتها في العراق علىٰ يد جيش الإمام المهدي. وتنظمُّ إلى جيوش الولايات المتحدة في بلاد الشام جيوش بعض الدول الغربية التي تعلن الحرب علىٰ الإمام المهدي.

وتشير الروايات أن الإمام المهدي يأمر باستعمال وسائل الإعلام لشنّ حرب نفسيَّة ضدَّ جيوش الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، ومن أنواع تلك الحرب النفسية إشاعة استعمال أنواع جديدة من الأسلحة المدمرة، لم يعرفها أحد من قبلُ، تزلزل الأرض، وتفجّر الجبال.

جاء في الجفر المنسوب لمولانا وسيدنا الإمام علي عليه السلام: وينذر الروم بإطلاق سراح موت فتّاك محبوس بقنّينة عجيبة، فينذرهم المهدي بسلاح اسمه الصارخ، له صوتُ الزلزال، ويأكل هام البشر، كقذف البركان، لمن رأى البركان. نار هائلة من باطن الأرض تخرج من مكمن ومخبأ، وتطير في السماء عالياً جداً، ثم تهبط بموت ينزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر. وله نار لا تبقي ولا تذر...

وتحين ساعة التحرك لملاقاة الولايات المتحدة الأمريكية في بلاد الشام، ويخرج الإمام المهدي بهذا الجيش العظيم من العراق متوجهاً إلى بلاد الشام. وتصف بعض الروايات ساعة خروج المهدي بجيشه، فقد أخرج في عقد الدرر، بسنده عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ... ثم يخرج المهدي متوجهاً إلى الشام، وجبرئيل علىٰ مقدّمته، وميكائيل علىٰ ساقته،

فيفرح به أهل السماء وأهل الأرض والوحوش والحيتان في البحر. . . [1].

وتشير الروايات إلى أن الإمام المهدي يقسّم جيشه المتوجّه إلى الشام إلى قسمين رئيسين: الأول يدخل بلاد الشام من محور العراق ـ سوريا. والثاني يدخلها من محور العراق ـ الأردن. ويظهر من الروايات أن الجيش الذي يتوجه إلى بلاد الشام من محور العراق ـ سوريا يكون علىٰ رأسه الإمام المهدي، أما قيادته العسكرية فتكون للفتى اليماني. أما الجيش الذي يتوجه إلى بلاد الشام من محور العراق ـ الأردن فيكون علىٰ رأسه الشخص الذي رُمِزَ له باسم الخراساني، أمّا قيادته العسكرية فتكون للرجل الذي رُمِزَ له باسم شُعَيب بن صالح.

وتصلُ أخبار تحرك جيوش الإمام المهدي إلى البيت الأبيض والبنتاجون في الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى عواصم الدول الأوربية، وإسرائيل. . . وتعقد الولايات المتحدة وحلفاؤها اجتماعاً علىٰ أعلى المستويات، لبحث الأمر الخطير. . ويقف بعض قادة هذه الدول في الاجتماع، ويتكلمون عن جيش الإمام المهدي قائلين :

أيها السادة، إن هؤلاء الأعراب لا يملكون القوة التي نملكها، وليس عندهم السلاح الذي عندنا، وإننا أولو القوة والبأس، وسننتصر عليهم في هذه الحرب.

وتُكتَبُ الغَلَبةُ لهذا الرأي، فيكون رأي الأغلبية في ذلك الاجتماع، ثم يتَّخذ المجتمعون قرار الحرب ضدَّ المهدي.

أخرج في عقد الدرر، بسنده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال : . . . وتقعُ الضجَّةُ في الشام: ألا إنَّ أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم. فيقول السُّفياني لأصحابه: ما تقولون في هؤلاء القوم،

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٤٠ .

فيقولون: هم أصحاب نبل وإبل، ونحن أصحاب القوة والسلاح، أُخرجْ بنا إليهم. فيرونه قد جَبُنَ ـ وهو عالم بما يُراد منه ـ فلا يزالون به حتى يُخرجوه. فيخرج بخيله ورَجِلِهِ بمائتي ألف وستين ألفاً (٢٦٠٠٠٠) حتى ينزلوا بحيرة طبرية[١] والشام في هذا الحديث يُرادُ بها الجهة الشمالية الغربية من الأرض، حيثُ تقع الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الأوربية.

إن الرقم الذي ذكرته الرواية السابقة في عدد الجيوش التي يقودها السُّفياني ليس هو العدد النهائي لعدد تلك الجيوش، بل يدلُّ علىٰ كثرة تلك الجيوش التي قد تصل إلى الملايين. وتتألف من جيوش تابعة للدول التي أعلنت الحرب علىٰ المهدي، وأغلبها من دول الاتحاد الأوربي، ومن دول أخرى في أمريكا الجنوبية، وغيرها، إضافة إلى الكيان الإسرائيلي في فلسطين. كلُّ هذه الجيوش تكون بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هذا العدد الضخم من الجيوش يحتشد في بلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها، خاصة في الأرض الممتدّة من الأردن إلى فلسطين، وعند بحيرة طبرية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط داخل فلسطين المحتلة، ولكن الجيوش التابعة للولايات المتحدة الأمريكية يحتشد أكثرها في سوريا. وتصف لنا إحدى الروايات تواجد تلك الجيوش في مناطق سوريا فتذكر أنها تتواجد في منطقة دمشق، وفي مناطق أخرى تمتدُّ من حلب إلى الحدود السورية التركية عند إنطاكية.

إن الجيش الأول الذي يقوده الفتى اليماني، ويكون علىٰ رأسه الإمام المهدي، يدخل الأراضي السورية دون أيّ مقاومة، ثم يندفع سريعاً نحو دمشق. ويلقي الله الرعب في قلوب الجيوش الأمريكية المحتشدة في سوريا. وعند أول مواجهة تتكبَّد الجيوش الأمريكية خسائر فادحة علىٰ يد المقاتلين المسلمين الذين يتمتعون بهمم عالية تطال الثريا، وعزائم ماضية تستجيب لها

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ .

الجبال العاتية، ويحملون بين جوانحهم قلوباً كزُبُر الحديد، لا تعرف الخوف أو الوجل أو التردد. وتنهزم الجيوش الأمريكية أمام ضربات المقاتلين المسلمين، وتخرج من سوريا سريعاً نحو فلسطين، لا تلوي علىٰ شيء. ويفتح الله دمشق للمهدي وقائده اليماني بيسر وسهولة، وسرعة مذهلة.

أخرج في كنز العمال، بسنده عن محمد بن الحنفية، عن الإمام عليّ عليه السلام، قال: ويسير السفاح وفتى اليمن حتى ينزلوا دمشق، فيفتحونها أسرع من التماع البرق[1]. والمراد بالسفاح في هذه الرواية الإمام المهدي.

إن تمكين الله تعالىٰ لوليّه المهدي من فتح دمشق بهذه السرعة المذهلة أوجد ارتباكاً شديداً بين صفوف الجيوش الأمريكية، كما أن انهزام الجيش الأمريكي الذي كان متمركزاً في منطقة دمشق أوجد انقطاعاً بين تلك الجيوش، وخاصة الجيوش المنتشرة في المناطق الممتدة من حلب إلى الحدود السورية ـ التركية، عند مدينة إنطاكية، فقد بقيت هذه الجيوش معزولة عن الجيش الأمريكي الذي انهزم من منطقة دمشق نحو فلسطين، ومقطوعة عن مصادر إمداداتها. وهاهو جيش المهدي يفرض عليها طوقاً شديداً من الحصار.

ويبدأ جيش الإمام المهدي يشنُّ هجوماً عنيفاً علىٰ ثلاث مراحل علىٰ الجيوش الأمريكية في تلك المنطقة، حتى يتمَّ القضاء علىٰ الجيوش الأمريكية في تلك المناطق قضاءً تامًّا. وتُعَدُّ هذه المعركة من أهم المعارك التي يُمنى فيها الجيش الأمريكي بهذه الخسارة الفادحة، والهزيمة الفاضحة، فقد أُبيدت جيوش بأكملها في هذه المعركة.

أخرج في العرف الوردي، قال: أخرج الحاكم، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: يجلبنَّ الروم علىٰ والٍ من عترتي، اسمه يواطئ اسمي، فيقتتلون بمكان يُقال له العُماق، فيقتتلون... ثم يقتتلون اليوم

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٩٧، نقلاً عن كنز العمال: ٧ ـ ٢٦٢، الحديث (٢٩٦٧).

الثالث، فيكون على الروم[1]. والعُماق: كورة قرب دابق، بين حلب وإنطاكية.

وأخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذٍ. فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سَبَوا منّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلوهم...»**[2].

وحين يصل الإمام المهدي إلى إنطاكية بعد انتصاره على الجيوش الأمريكية في تلك المنطقة، يقوم بكشف تراثي وآثاري كبير، يكون له أثر إعلامي عظيم، يُسهم في تغيير نظرة اليهود في العالم نحو الإمام المهدي والمسلمين.

يأتي الإمام المهدي إلى جبل في إنطاكية، يعرفه الإمام بالعلم المتوارث عن رسول الله ﷺ، وفي صحبته نفر من العلماء، ومراسلو وكالات الأنباء، والفضائيات العالمية. ويأمر الإمام بإزالة صخرة كبيرة في ذلك الجبل، فإذا بكهف واسع. يدخل المهدي ذلك الكهف، ومعه العلماء ومراسلو وسائل الإعلام العالمية، وأمام الأنوار الكاشفة يستخرج الإمام تابوت السكينة الذي يحتوي على عصا موسى عليه السلام، وبقيّة مما ترك آل داود.

إنه سبقٌ آثاري، وكشف تراثي يحققه المهدي، ويكون له أثر كبير على اليهود خصوصاً، وعلى العالم المسيحي عموماً. إن العالم يعرف أنه قد بُذِلت جهود كبيرة، وأموال طائلة للبحث والتنقيب عن تابوت السكينة، فقاموا بحفريات وتنقيبات تحت المسجد الأقصى وحوله، ولكنهم لم يفلحوا في العثور عليه. كما أن اليهود يعرفون أنه لا يستخرج تابوت السكينة إلاّ مَنْ

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٦، نقلاً عن العرف الوردي: ٢ ـ ٦٥ ـ ٦٧.

(٢) صحيح مسلم، الفتن وعلامات آخر الزمان، الحديث: (٢٨٧٩).

جعله الله خليفته في الأرض. وبهذا الكشف يعلم اليهود أن الإمام المهدي هو خليفة الله في الأرض حقاً حقاً، فيدخل قسم كبير منهم في الإسلام.

أخرج ابن الصبّان في إسعاف الراغبين حديثاً مفصلاً في المهدي، ومما قال فيه : . . . وإن المهدي يستخرج تابوت السكينة من غار إنطاكية، وأسفار التوراة من جبل بالشام، يحاجُّ به اليهود، فيسلم كثير منهم[1].

أما جيش الإمام المهدي الثاني الذي يدخل الشام من محور العراق ـ الأردن، ويكون على رأسه الشخصية التي رُمِزَ لها باسم الخراساني، ويكون قائده العسكري الرجل الذي رُمِزَ له باسم شُعَيب بن صالح، فإنَّ هدف هذا الجيش هو القدس. وحين تصل أخبار هذا الجيش إلى فلسطين المحتلة، تبيتُ القدس تتطلّع لهذا الجيش بعيون ملؤها الأمل بفكِّ أسرها، وتحريرها من آسريها، وإعادة ابتسامة الحرية إلى شفاه أهلها.

يدخل هذا الجيش الأردن، ويتقدم فيها دون مقاومة. ويرحب به الناس في ذلك البلد، لأنهم يعلمون أن هدف هذا الجيش هو تحرير القدس الشريف. وحين يصل الجيش الإسلامي إلى مشارف القدس ينضمُّ إليه كثير من أهل فلسطين المظلومين.

وفي هذا الوقت تكون جيوش الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها منشغلة بإعداد نفسها للمعركة الكبيرة مع جيوش المهدي، فيجد الإسرائيليون أنفسهم غير قادرين وحدهم على حماية القدس، وأنهم لا قِبَلَ لهم في مواجهة هذا الجيش العظيم الزاحف إلى القدس، فيخلونها وينسحبون منها إلى معسكراتهم داخل فلسطين المحتلة.

يندفع الجيش الإسلامي نحو القدس كالسيل، فيدخلها دون مقاومة، ويطهرها، ويطهر مسجدها من دنس المحتلين. . ويدخل عباد الله الصالحين

---

(١) إسعاف الراغبين، المطبوع بهامش نور الأبصار: ١٢٧ .

المسجد الأقصى مكبّرين مهللين، ذاكرين الله تعالى، شاكرين نعمائه، تالين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].

وتتنفس القدس ومسجدها المبارك نسائم الحرية تحت ظلال جيش الإمام المهدي، ويحتضن مسجدها آلاف المصلين والزائرين.. وتغفو المدينة الجليلة عدة ليالٍ في أحضان العدل، حالمةً بأيام ولياليٍ بيضٍ سعيدة.

وفي هذا الوقت يكون الإمام المهدي قد عاد بجيشه من إنطاكية إلى دمشق. وفي الوقت نفسه تكون جيوش الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها محتشدة في المنطقة الممتدة من بحيرة طبريَّة إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، عبر سهل مجيدو. وتصل تعزيزات كبيرة إلى هذه المنطقة من أوربا وبقية أنحاء العالم، لمواجهة جيش الإمام المهدي، والاستعداد للمعركة القادمة التي ستكون معركة نهاية الزمن بين الحق والباطل.

---

(١) سورة الإسراء: الآية: ٧ .

ما هي منطقة مجيدو؟

يقع سهل مجيدو على بُعد عشرين ميلاً جنوب شرقي حيفا، داخل فلسطين المحتلة. ومجيدو هي (هرمجدون)، ذلك المكان الذي أشار إليه سفر الرؤيا من الكتاب المقدس، حيث جاء فيه: . . . وسكب الملاك السادس كأسه على نهر الفرات الكبير، فجفَّ ماؤه، ليصير ممراً للملوك القادمين من الشرق، وعند هذا رأيتُ ثلاثة أرواح نجسة، تشبه الضفادع، تخرج من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبيّ الدجال. وهي أرواح شيطانية، قادرة على صنع المعجزات، تذهب إلى ملوك الأرض جميعاً، وتجمعهم للحرب في ذلك اليوم العظيم، يوم الله القدير على كلّ شيء. . . وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يُسمَّى بالعبرية (هرمجدون). . . [1].

جاء في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك: وتقع مجيدو في مرج ابن عامر. وزاد في قيمتها الإستراتيجية أنها كانت على خط المواصلات بين القسمين الشمالي والجنوبي من فلسطين، وأنها كانت على طريق الفاتحين المصريين، وغيرهم من الفاتحين[2].

وجاء في تفسير الكنز الجليل: هرمجدون: أي جبل مجدون، وهو جبل مجاور ليزرعيل، المعروف اليوم بمرج ابن عامر. اشتهر في تاريخ الإسرائيليين بالوقائع العظيمة. وأشهرها ما كان في أيام قيادة دبورة وباراق،

---

(١) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٦: ١٠ ـ ١٦ .

(٢) معركة هرمجدون بين النفي والإثبات في التوراة والإنجيل والقرآن: ٩٩.

بدليل ما جاء في سفر القضاة، وهو قوله: حارب ملوكُ كنعان في تعنك علىٰ مياه مجيدو (قضاة: ٥: ١٩). ولا نعلم أيَّ حرب سُمِّي بها، إنما نعلم أنه يشير إلى وقائع قوية، وهلاك سريع للمحاربين[١].

إن حكومات الولايات المتحدة الأمريكية التي تعاقبت علىٰ البيت الأبيض ترسم سياساتها الخارجية والدفاعية علىٰ أساس هذه النبوءة التي جاءت في الكتاب المقدس. وأصبحت هذه النبوءة نظرية قال بها (فال ويل) أحد الأعمدة التي تقوم عليها حكومة بوش الابن.

ويعتقد القائلون بنظرية (هرمجدون) أن هذا المكان كان دائماً مسرحاً للقتال، وأن أيّ قائد يستولي علىٰ هذا المكان هو الذي يربح المعركة. وقد شهد سهل مجيدو معارك مهمة في الحرب العالمية الأولى، فقد حقق الجنرال البريطاني (ألنبي) انتصاراً مهماً علىٰ الأتراك في سهل مجيدو.

إن منظري نظرية هرمجدون يعتقدون أن حرباً نووية تكتيكية سوف تحصل في هذا المكان بين جيوش الرجل القادم من الشرق، الذي يعبر نهر الفرات متوجهاً إلى إسرائيل، لتدميرها. ويصف منظرو هرمجدون هذا الرجل وجيوشه بأنهم أعداء المسيح، ويصفون المعركة بأنها معركة رهيبة لم تشهد البشرية مثيلاً لها منذ أن خلق الله الإنسان، فجلود البشر تتآكل وهم واقفون في هذه المعركة، وعيونهم تتآكل في مآقيها، وألسنتهم تتآكل في أفواههم، وأن الصخور تذوب، وتندك الجبال والجدران علىٰ الأرض، في مشهد رهيب. وهذا الوصف لهذه المعركة جاء بناءً علىٰ ما جاء في زكريا وحزقيال من العهد القديم.

جاء في سفر زكريا: في ذلك اليوم يكون النواح في أورشليم مماثلاً للنواح في هَدَدَرِمّون في سهل مجيدو... [٢].

---

(١) المصدر السابق: ٩٩ .

(٢)العهد القديم، سفر زكريا: ١٢: ١١ .

وجاء فيه أيضاً : . . . يقول الرب: فيفنى ثلثا شعب أرضي، ويبقى ثلثهم حيًا فقط. . . [١].

وجاء فيه : . . . في ذلك اليوم يتلاشى نور الكواكب، ولا يكون بردٌ ولا صقيع. ويكون يوم متواصل معروف عند الرب، لا نهار فيه ولا ليل، إذْ يغمر النهار ساعات المساء. . . . وهذا هو البلاء الذي يعاقب به الرب جميع الشعوب الذين اجتمعوا علىٰ أورشليم، تتهرّأ لحومهم وهم واقفون علىٰ أرجلهم، وتتآكل عيونهم في أوقابها، وتتلف ألسنتهم في أفواههم. . . [٢].

وجاء في سفر حزقيال: ويقول السيد الرب: في ذلك اليوم عندما يزحف جوج علىٰ أرض إسرائيل يحتدم غضبي في وجهي. وفي خضمّ غيرتي واتّقاد سخطي، أقول: إنه في ذلك اليوم تحدث هزّة عظيمة في أرض إسرائيل، فيرتعش من حضرتي سمك البحر وطيور السماء ووحوش البرية، وجميع الحيوانات الدابّة علىٰ الأرض، وكل الناس الذين علىٰ وجه المسكونة، وتندكُّ الجبال، وتسقط المعاقل، وتنهار كل أسوار الأرض[٣].

إن منظري هرمجدون يعتقدون أن جوج الواردة في النص السابق تعني الروس والشيوعيين، بناءً علىٰ العبارة القائلة: يا بن آدم التفت بوجهك نحو جوج أرض ماجوج، رئيس روش ماشِك وتوبال[٤]. قال (فال ويل) منظّر هرمجدون في محاضرة له سنة ١٩٨٤ م: في الفصل ٣٨ و ٣٩ من حزقيال نقرأ أن اسم هذه الأرض التي تأتي منها جيوش الشرق هو روش. ويذكر اسم مدينتين هما: ماشك وتوبال. إن الأسماء هنا تبدو مشابهة بشكل مثير إلى موسكو وتيبولسك العاصمتين الحاكمتين في روسيا اليوم. كذلك كتب حزقيال

---

(١) العهد القديم، سفر زكريا: ١٣: ٨ .

(٢) المصدر السابق، سفر زكريا: ١٤: ٦، ٧، ٨، ١٢ .

(٣) العهد القديم، سفر حزقيال: ٣٨: ١٨ ـ ٢٠ .

(٤) المصدر السابق، حزقيال: ٣٨: ١ .

أن هذه الأرض ستكون معادية لله، وأنه من أجل ذلك سيكون الله ضدها. . إن روسيا أو روش سوف تغزو إسرائيل في الأيام الأخيرة. . . إن هذا الغزو سيتم بمساعدة حلفاء مختلفين لروش. وسمَّى فال ويل هؤلاء الحلفاء فقال: هم إيران التي كنا نسميها فارس، وأثيوبيا في جنوب قارة إفريقيا، وليبيا في شمال إفريقيا، وأوربا الشرقية التي تُدعى في حزقيال (كومر)، والقوقاز في جنوب روسيا، والذين يُدعون في حزقيال (توغارما). ثم قرأ مقاطع من سفر زكريا، وقال: إن ساحة معركة هرمجدون سوف تمتدّ من مجيدو في الشمال إلى أيدوم في الجنوب، مسافة حوالي ٢٠٠ ميل، وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى تلال موهاب في الشرق، مسافة ١٠٠ ميل تقريباً.

وقال فال ويل أيضاً: ستتجمّع في هذه المنطقة الملايين من الرجال، بحيث يصل عددهم إلى ٤٠٠ مليون، من أجل المأساة الإنسانية. وجاء في سفر زكريا: إن الملوك في جيوشهم سيأتون من الشمال والجنوب، ومن الشرق والغرب، وبشكل درامي مثير سيكون هذا الوادي وادي القرار حول مصير الإنسانية.

وتابع فال ويل كلامه قائلاً: إن كل صقور السماء سوف تنهش من لحوم الملوك، ومن لحوم القادة، ومن لحوم الرجال الأشداء، ومن لحوم الأحصنة وفرسانها، ومن لحوم كل الرجال، الأحرار منهم والعبيد، الكبار والصغار. . . . وفيما تقترب هرمجدون من نهايتها وملايين الأموات على الأرض، فإن الإله المسيح سيضرب الوحش والنبي الكذاب المعادي للمسيح، ويلقي بهما في بحيرة نار تغلي فيها الحجارة، وسيذبح المسيح كل أعدائه الآخرين الذين ينجون من هرمجدون.

ثم يقول: إن هذا اليوم مقبل، وستكون أنت وأنا جزءاً منه. ولكن حتى ذلك الوقت لن يكون هناك سلام على هذه الأرض، حتى يعود أمير السلام ومخلصنا. . . وعلى الرغم من الآمال الوردية وغير الواقعية تماماً، التي أيدتها

حكومتنا حول اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، فإن هذه الاتفاقية لن تدوم. إننا نصلي بالفعل من أجل السلام في القدس. إننا نحترم احتراماً كاملاً رئيس حكومة إسرائيل، ورئيس جمهورية مصر. إنهما من الرجال الكبار بلا شك، وهما يريدان السلام بالتأكيد، ولكن أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط، إلى أن يأتي يومٌ يجلس فيه الإله المسيح علىٰ عرش داود في القدس[1].

وقال ليندسي ـ وهو أحد المبشرين بهرمجدون ـ: الجيل الذي ولد منذ عام ١٩٤٨ سوف يشهد العودة الثانية للمسيح. ولكن قبل هذا الحدث علينا أن نخوض حربين، **الأولى**: ضدّ يأجوج ومأجوج، و**الثانية**: في هرمجدون. والمأساة سوف تبدأ هكذا: كل العرب بالتحالف مع السوفيات سوف يهاجمون إسرائيل.... [2].

إن كل ما قاله فال ويل وليندسي مستند إلى ما جاء في الإنجيل (العهد الجديد)، في سفر الرؤيا، وما جاء في التوراة (العهد القديم)، في سفر زكريا وحزقيال. ولكن التفسير الذي قدّماه لتلك النبوءات غير صحيح، ويدلّ علىٰ قراءة ناقصة، وتفكير هزيل. إن تفسيرهما للعبارة الواردة في حزقيال: جوج أرض ماجوج، رئيس روش، ماشك وتوبال بأن المقصود بها الروس أو الشيوعيون، وأن ماشك يُقصد بها موسكو، وأن توبال يُقصد بها تيبولسك، هذا التفسير لا ينطبق علىٰ واقع الحال، لأنه تفسير كان قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفككه إلى دويلات، ثم تفكك حلف وارشو بعد ذلك. أما الآن وبعد الذي حصل للاتحاد السوفيتي فماذا يقولون؟ هل بقي ما كان يُعرف بالاتحاد السوفيتي؟ وهل بقيت الشيوعية نظاماً سياسياً واقتصادياً فيما كان يُعرف بالاتحاد السوفيتي؟ وهل سيغزو الروس إسرائيل؟ وماذا يقول فال ويل

---

(١) هل ينتهي العالم عام ٢٠٠٠: ٤٧ ـ ٥٣.

(٢) المصدر السابق: ٥٤.

في دول أوربا الشرقية بعد انضمام أكثرها إلى حلف الناتو، وبعد أن أصبح أكثرها عضواً في الاتحاد الأوربي؟ هل ستكون أوربا الشرقية ضمن الجيش الذي يأتي لتدمير إسرائيل؟

وأيضاً فإن تفسير فال ويل للوحش والنبي الكذاب اللذين وردا في سفر الرؤيا غير صحيح. فليس المقصود بالوحش والنبي الكذاب هما اللذين يقودان الجيوش القادمة لتدمير إسرائيل. ويبدو أن فال ويل لم يفهم لغة النصوص في سفر الرؤيا، وفي زكريا وحزقيال. والعجب كلّ العجب أن تبني حكومة الولايات المتحدة الأمريكية رسم سياساتها الخارجية والدفاعية علىٰ أساس ما يقوله فال ويل ولينديسي، وأمثالهما من تفسيرات لنبوءات الكتاب المقدس.

وأريد في هذه المناسبة أن أنقل للقارئ النصوص من الكتاب المقدس بخصوص هذا الأمر، ثم مناقشة عباراتها، بقصد معرفة ما تنطوي عليه من المعاني. جاء في سفر الرؤيا من العهد الجديد :

وسكب الملاك السادس كأسه علىٰ نهر الفرات الكبير، فجفَّ ماؤه، ليصير ممرّاً للملوك القادمين من الشرق. وعند هذا رأيتُ ثلاثة أرواح نجسة، تُشبه الضفادع، تخرج من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب. وهي أرواح شيطانية قادرة علىٰ صنع المعجزات، تذهبُ إلى ملوك الأرض جميعاً، وتجمعهم للحرب في ذلك اليوم العظيم، يوم الله القدير علىٰ كل شيء. . . . وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يُسمَّى بالعبرية هرمجدون[1].

وسأعتمد في تفسير عبارات النص علىٰ تفسيرات علماء الكتاب المقدس الشرقيين، أمثال الأنبا موسى، الأسقف العام في بطريركية الأقباط الأرثوذكس في جمهورية مصر العربية، وعلى تفسيرات نخبة من علماء الإنجيل الآخرين.

---

(١) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٦: ١٢ ـ ١٦ .

قوله: وسكب الملاك السادس كأسه على نهر الفرات الكبير، فجفَّ ماؤه، ليصير ممراً للملوك القادمين من الشرق .

قال الأنبا موسى: وجفاف النهر علامة انهيار مملكة بابل، رمز الشرّ... أما ملوك الشرق القادمون فإشارة إلى حروب رهيبة تحدث آخر الأيام الأخيرة[1].

ويبرز هنا سؤال مهم: لماذا صار نهر الفرات دليلاً على انهيار مملكة بابل رمز الشر؟ وإلى أيّ شيء ترمز مملكة بابل؟ ولماذا تحدث الحروب الرهيبة في هذه المنطقة؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة يتوقف على ما جاء في الروايات الإسلامية عن السُّفياني، والتي تقدم ذكرها من قبل. وتشير تلك الروايات إلى مجيء جيوش السُّفياني إلى العراق. وقد ذكرتُ أن المقصود بالسُّفياني هو الولايات المتحدة الأمريكية، وجيوش السُّفياني هي جيوش الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها. وتذكر تلك الروايات أن الولايات المتحدة تحتلّ العراق، وتفعل في هذا البلد أفعالاً شنيعة، خصوصاً في المناطق التي يجري فيها نهر الفرات، من قتل الرجال والنساء والأطفال، وسفك الدماء، واغتصاب النساء، وغير ذلك من الأفعال.

وبالفعل فقد جاءت جيوش الولايات المتحدة الأمريكية إلى العراق، فاحتلّت هذا البلد، وفعلت بأهله وبيوتهم كلّ ما ذكرته تلك الروايات عما يفعله السُّفياني بالعراق. وقد تركزت عمليات تلك الجيوش في المناطق التي يجري فيها نهر الفرات، من الأنبار إلى كربلاء، فالنجف، فالكوفة، فالحلة، فالديوانية، فالسماوة، فالناصرية، إلى البصرة. وأصبح في منطقة الفرات مجتمع عظيم من الجيوش التي سُمِّيت بجيوش الائتلاف، أو الجيوش

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأنبا موسى: ٩٦ .

المتعددة الجنسيات.

وتشير تلك الروايات أيضاً إلى حصول مقاومة يقوم بها العراقيون ضدّ تلك الجيوش، خصوصاً في المناطق التي يجري فيها نهر الفرات. وتذكر أيضاً أمراً عظيماً يحدث بين تلك الجيوش، وهو حدوث صراع بينها علىٰ الكنز أو جبل الذهب الذي ظنوا أنهم سيقتسمونه مع الولايات المتحدة الأمريكية، لأنهم حين يجدون أن الولايات المتحدة تريد التفرّد بالغنيمة وحدها، مع ما يتكبدونه من خسائر في العراق، فإن الخلاف سيحدث بينهم وبين الولايات المتحدة، وسيتطور إلى قتال شديد بينها. وقد تدخل أطراف خارجية أخرى من دول الجوار، ومن غيرها في هذا القتال.

أخرج في عقد الدرر، بسنده عن كعب الأحبار، قال: يكون بناحية الفرات، في فتنة الشام، أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتتلون علىٰ الأموال، فيُقْتَل من كل تسعة سبعة، وذلك بعد الهدّة الواقعة في رمضان[1].

إن هذا الاقتتال سيتركز في المناطق التي يجري فيها نهر الفرات. وسوف تتسبب شدة المعارك في هذه المناطق بانكسارات وانهيارات في نهر الفرات، ويؤدي ذلك إلى جريان مياهه في الصحارى والقفار، مما يتسبب في جفافه. أو يكون جفافه ناتجاً عن قطع مياهه من المصدر في تركيا، بسبب المعارك.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تكون طرفاً رئيساً في هذا القتال، وسوف تكون معركة منطقة الفرات، وما يحدث لنهر الفرات خلال هذه المعركة، علامة كبيرة علىٰ انهيار الولايات المتحدة الأمريكية التي رُمِزَ لها في نصّ سفر الرؤيا بـ(بابل) رمز الشر، وسوف تكون منطقة نهر الفرات ممراً لجيوش الإمام المهدي نحو بلاد الشام، لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، وتحرير القدس الشريف. فأين هذا من قول فال ويل: إن روسيا

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٤٧ .

أو روش سوف تغزو إسرائيل. . . ؟!

قوله: وعندها رأيتُ ثلاثة أرواح نجسة تشبه الضفادع، تخرج من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب، وهي أرواح شيطانية قادرة علىٰ صنع المعجزات تذهب إلى ملوك الأرض جميعاً، وتجمعهم للحرب في ذلك اليوم العظيم، يوم الله القدير علىٰ كلّ شيء. . . وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يُسمَّى بالعبرية (هرمجدون) .

يقول الأنبا موسى في تفسير هذا المقطع: ثم رأى يوحنا ثلاثة أرواح نجسة تشبه الضفادع خرجت من فم ثلاث قوى، هي: التنين (أي الشيطان)، والوحش (أي الدجال)، والنبي الكذاب (أي خدام الدجال). . إنها أرواح شريرة تقفز هنا وهناك، وتملأ الدنيا نقيقاً كالضفادع، داعية الجميع إلى القتال، ليشتبك هذا مع ذاك، ويأتي الدمار علىٰ الجميع في موقعة هرمجدون التي كانت ساحة حرب عبرانية شهيرة[1].

ويرى نخبة من خدام الإنجيل أن التنين يرمز في العهد الجديد للشيطان الذي هو أول شخصية للثالوث الأنجس. وقالوا: إن الوحش والنبي الكذاب شخصان مختلفان. فقد أُشير إلى الوحش بالقرن الصغير في سفر دانيال، وذلك قوله : . . . وشهدتُ بعد ذلك في رؤى الليل، وإذا بحيوان رابع هائل وقويّ وشديد جداً، ذي أسنان ضخمة من حديد، افترس وسحق وداس ما تبقّى برجليه. وكان يختلف عن سائر الحيوانات التي قبله، وله عشرة قرون. وفيما كنتُ أتأمّل القرون، إذا بقرن آخر صغير نبت بينها[2]. وفسّروا الحيوان ذا الأسنان الضخمة من الحديد، الذي ورد في سفر دانيال بأنه يرمز إلى الإمبراطورية الرومانية. وفسروا القرن الصغير الذي نبت بين قرونه بأنه يرمز إلى المملكة التي سوف تتكون من البلدان التي كانت تكوّن الإمبراطورية

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٩٦ .

(٢) العهد القديم، سفر دانيال: ٧: ٨ .

الرومانية، تخرج في آخر الأيام وتعيد المجد والحياة إلى الإمبراطورية الرومانية. وهذه المملكة هي المعبّر عنها بالوحش، الذي وصفه دانيال بأنه يُعيِّر العليّ، وينكّل بقدسيه، ويحاول أن يغيّر الأوقات[1]. وقالوا: إن الوحش قد أُشير إليه في سفر الرؤيا أيضاً في قوله: وإذا بوحش خارج من البحر، له سبعة رؤوس وعشرة قرون، علىٰ كل قرن منها تاجٌ. وقد كُتِبَ علىٰ كل رأس اسم تجديف... وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطة عظيمة.. وسجد الناس للتنين، لأنه وهب الوحش سلطته. وعبدوا الوحش، وهم يقولون مَنْ مثل هذا الوحش؟ ومَنْ يجرؤ علىٰ محاربته؟[2].

وقالوا: أما النبي الكذاب فقد أُشير إليه في سفر الرؤيا بالوحش الطالع من الأرض، وهو قوله: ثم رأيتُ وحشاً آخر خارجاً من الأرض، له قرنان صغيران كقرني خروف، ولكنَّ صوته كصوت تنين، وقد استمدَّ سلطته من الوحش الأول الذي خرج من البحر، ليعمل بها في حضوره، فجعل سكان الأرض يسجدون للوحش الأول... [3].

وقالوا في الفرق بين الوحش والنبي الكذاب: نجد فرقاً في الصورة التي يرمز بها الكتاب إلى الوحش والنبي الكذاب. فالوحش له عشرة قرون، وسبعة رؤوس، وهو يخرج من البحر. أما النبي الكذاب فهو وحش ثانٍ، له قرنان فقط، ويخرج من الأرض. وبالنسبة لتوقيت ظهورهما علىٰ مسرح الأحداث نجد أن الوحش سيظهر أولاً، بينما النبي الكذاب سيظهر بعده. كذلك أيضاً يختلف الشخصان في السلطة والمركز العالي الذي يحتله كل منهما فالوحش رجل سياسي حربي عظيم، أما النبي الكذاب فرجل ذو سلطة دينية عالية. وبالنسبة لجنسيتهما، فالوحش أممي الجنسية [لأنه خارج من

---

(١) المصدر السابق، دانيال: ٧: ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٣: ١ ـ ٤ .

(٣) المصدر السابق، الرؤيا: ١٣: ١١ ـ ١٣ .

البحر]، أما النبي الكذاب فهو يهودي الجنسية [لأنه خارج من الأرض].

قالوا: وكما يرمز البحر للأمم، ترمز الأرض لشعب إسرائيل، لأنه قبل مجيء المسيح كانت البشرية تنقسم إلى يهود وأمم. إذاً نفهم من النبوءات إن ذلك الوحش الثاني الطالع من الأرض هو شخص يهودي، مرتدٌّ عن الله الحي، ويدّعي لنفسه الملك (دانيال: ١١: ٣٦)، كما يدّعي النبوّة (رؤيا: ١٩: ٢٠)، والكهنوت، إذْ تصوره لنا النبوءات حاملاً للعمامة التي يلبسها الكهنة... فسيأتي ذلك النبي الكذاب، ويظهر في صورة حمل، بينما من الداخل يكون تنيناً. ويقول الرسول بولس: إن مجيئه سيكون بعمل الشيطان، بكلّ قوة بآيات وعجائب كاذبة، وبكلّ خديعة الإثم في الهالكين (تسالونيكي، الرسالة الثانية: ٢: ٩ ـ ١٠). سينجح النبي الكذاب في إقناع اليهود بنبوته، لكن بقية قليلة وأمينة ستميّز نبوته الكاذبة من كلماته وأفعاله، إذْ إنها تعرف صوت الراعي الحقيقي من صوت الغريب (يوحنا: ١٠: ٥)[١].

وقالوا عن العلاقة بين النبي الكذاب والوحش: يقول دانيال: إن الوحش سوف يثبّت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد، وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة (دانيال: ٩: ٢٧). أي يبرم الوحش في أول أسبوع معاهدة مع الشعب اليهودي عن طريق النبي الكذاب، لحمايتهم في بلادهم وفي عبادتهم... ونتيجة لهذا التحالف الشيطاني سيعمل النبي الكذاب بكل سلطان الوحش الروماني، ويكون له بمثابة نبيّ وكاهن... هذا الوثن الموضوع في هيكل الله في أورشليم هو رجسة الخراب التي قال عنها دانيال، والسيد يسوع (دانيال: ١٢: ١١، ومتّى: ٢٤: ١٥)، إذْ يجعل النبي الكذاب اليهود يسجدون للوحش، كما يعبدونه هو شخصياً، كنائبه، وممثله (تسالونيكي، الرسالة الثانية: ٢: ٤)[٢].

---

(١) هل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ٩١ ـ ٩٥ .

(٢) المصدر السابق: ٩٥ ـ ٩٦ .

ولكن هل هناك من تشابه بينهما؟ قالوا: نعم، هناك نقطتا تشابه بين الوحش والنبي الكذاب، فعلى الرغم من اختلاف الشخصين اختلافاً جوهرياً في كلّ شيء، إلا أنهما يتفقان في طبيعتهما الشريرة، ومصيرهما الأبدي. فالاثنان يعرفان بشرهما المتناهي، ومقاومتهما لله، ولشعبه أكثر من أي شخص عاش يوماً علىٰ هذه الأرض[1].

وأُشير إليه أيضاً في سفر الرؤيا بالوحش الذي تركب عليه المرأة، وهو قوله: تعال فأريك عقاب الزانية الكبرى الجالسة علىٰ المياه الكثيرة، والتي زنى معها ملوك الأرض، وسكر أهل الأرض من خمر زناها. وحملني الملاك بالروح إلى البريّة، فرأيتُ امرأة راكبة علىٰ وحش قرمزي، له سبعة رؤوس، وعشرة قرون، وقد كُتِبَ علىٰ جسمه كله أسماء تجديف. وكانت المرأة تلبس ملابس من أرجوان وقرمز، وتتحلّى بالذهب والحجارة الكريمة واللؤلؤ، وقد أمسكت كأس ذهب مملوءة بزناها المكروه النجس، وعلى جبينها اسم مكتوب: سرٌّ: بابل العظمى، أمّ زانيات الأرض، وأصنامِها المكروهة...[2].

قال الأب الأنبا موسى في تفسير هذا المقطع: الملاك يطلع يوحنّا علىٰ صورة بابل الزانية قبل تدميرها... لقد دعاها الملاك (عظيمة) من فرط تأثيرها الشرير علىٰ الناس، و (الزانية)، لأنها تنحرف بالناس بعيداً عن الله، و (جالسة علىٰ مياه كثيرة) رمز الشعوب الكثيرة الخاضعة لسلطانها الشرير، وغوايتها المدمرة، و (زنى معها ملوك الأرض) إشارة للبذخ والغنى المادي. (المرأة) هي بابل، رمز قوى الشر المتعاقبة ضدّ أولاد الله، و(وحش قرمزي) رمز الدجال الذي يعطيه الشيطان كلّ قوته الدموية[3].

---

(١) المصدر نفسه: ٩٢ .

(٢) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٧: ١ ـ ٦ .

(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتي: ١٠٠ .

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن يوحنا قد عاش في أواخر القرن الأول الميلادي، ولم تكن في ذلك العصر إمبراطورية بابل، أو مملكة بابل، كما لم تأت مملكة أو إمبراطورية تحمل اسم بابل بعد هذا العصر، إلى يومنا هذا، فإننا ندرك أن المرأة التي سماها يوحنا بـ(بابل) ترمز إلى إمبراطورية الشيطان التي تظهر في آخر الزمان. أما الوحش الذي تركبه فهو يرمز إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي تقيمها، وترسم نظامها السياسي، بوحي من الشيطان.

قال نخبة من علماء الإنجيل: في تفسير النص السابق: يذكر الكتاب المقدس أن في الأيام الأخيرة ستظهر من بين الأمم شخصية سياسية تكون علىٰ رأس الإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة. هذا الشخص ليس من سلالة ملكية أصلاً. فهو لم يعتل عرشه بحق الوراثة، إذْ لم يكن له إكليل، بل قد أُعطيَ له إكليلاً (رؤيا: ٦: ٢). ويطلق عليه اسم الوحش، لأن حكمه سيتصف بالوحشية والتجديف... يظهر هذا القائد في فترة الضيقة، ويكون ممتلكاً للشيطان بالتمام، إذْ إنه يكون آلته البشرية التي ستمكنه من السيطرة عليها (أي الأرض)، تماماً عندما يشنّ هجومه الأخير علىٰ هذه الأرض... سيأتي الوحش فاتحاً فمه بتجاديف علىٰ الله، علىٰ اسمه الكريم، وعلى مسكنه، وعلى الساكنين في السماء، مضطهداً القديسين، ومتسلطاً علىٰ العالم كله (رؤيا: ١٣: ٤ ـ ٧). وإذْ يُسلّم نفسه تماماً للشر، يعطيه الشيطان قدرته وعرشه، وسلطاناً عظيماً (رؤيا: ١٣: ٢)[1].

إن الوحش ـ كما ورد في تفسير علماء الإنجيل ـ ينطبق تماماً علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية التي تربعت علىٰ عرش هذه الإمبراطورية التي رُمِزَ لها ولرئيسها باسم (بابل الزانية). وإن النبي الكذاب ـ كما ورد في تفسير علماء الإنجيل ـ ينطبق تماماً علىٰ اليهود الذين استطاعوا بدجلهم وكذبهم أن ينجحوا في إقامة إسرائيل في قلب فلسطين، وعلى رئيس إسرائيل المتحالف

---

(١) هل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ٩٢ ـ ٩٣ .

مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وبهذا يتبين لنا أن ما قاله فال ويل عن الوحش والنبي الكذاب غير صحيح. إن الشيء الوحيد الصحيح الذي قاله فال ويل هو أن الوحش والنبي الكذاب معاديان للمسيح، لأن ما تفعله أمريكا وإسرائيل في العالم وفي فلسطين لا يرضى به السيد المسيح عليه السلام، الذي يدعو إلى محاربة الشيطان، ونشر الفضيلة، والأمان والسلام في العالم.

وبكوني باحثاً عن الحقيقة مخلصاً في إيصالها إلى الناس، فإني أوجّه نصيحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى رئيسها: أنْ لا يصدّق بما يقوله فال ويل وأمثاله الذين ينظّرون لهرمجدون، وأن لا ينساق وراء ادعاءاتهم الباطلة. وأقول: إنْ لم توقف اندفاع أمريكا في طريق الشيطان قبل فوات الأوان، فإن الكتاب المقدّس ينذرها بمصير أسود على يد حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهدي عليه السلام، وأخيه السيد المسيح عليه السلام، فإنهما سيدمران كل البنى الشيطانية في إمبراطورية الشر (بابل الزانية)، وسينتقم الله بهما من كل الجبارين في الأرض.

إن الأرواح الشيطانية النجسة التي تخرج من فم التنين والوحش والنبي الكذاب، هي رمز للمحاولات والجهود الشيطانية التي تخرج من الشيطان، عدو الله والإنسان، ومن تابعَيْه الولايات المتحدة الأمريكية، واليهود في إسرائيل والعالم، فتقفز هنا وهناك، وتملأ العالم نقيقاً، كالضفادع حتى تنجح في جمع جيوش العالم في هرمجدون لمواجهة الإمام المهدي.

المواجهة الكبرى..معركة سهل مجيدو

يتحرك جيش المهدي الموجود في سوريا متوجهاً نحو المنطقة التي تحتشد فيها جيوش الولايات المتحدة الأمريكية، وجيوش الدول التي اتخذت قرار الحرب علىٰ المهدي بفعل جهود ومحاولات الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، ويهود العالم. ويلتحق بجيش المهدي آلاف المقاتلين الشرفاء من لبنان وسوريا. ويتخذ جيش الإمام مواضع له علىٰ حدود بحيرة طبرية من ناحية الشرق، استعداداً للمعركة الكبرى.

أما جيش المهدي الثاني الذي دخل بلاد الشام من الحدود العراقية الأردنية، وحرر القدس، فإن قائده يصدر أوامره إليه بالتحرك نحو بحيرة طبرية، لوصل جناح الجيش الأول الذي يكون علىٰ رأسه الإمام المهدي، فيتحرك هذا الجيش من القدس، وقد التحق به آلاف المقاتلين من فلسطين والأردن. ويصل هذا الجيش إلى بحيرة طبرية من ناحية الجنوب.. ويتواصل جيشا الإمام المهدي علىٰ شكل نصف قوس، من شمال شرق بحيرة طبرية إلى جنوبها. ويستعد الجميع للمعركة الرهيبة، معركة نهاية الزمن التي لم تشهد لها السماوات والأرض مثيلاً في تاريخ الإنسانية. والروايات التي تحدثت عن هذه المعركة كثيرة، أذكر منها :

١ ـ أخرج في العرف الوردي، عن أبي عمرو الداني في سننه، بسنده إلى رسول الله ﷺ، قال: إذا خرجت الرايات السود طلبت الغرب، حتى يلحقوا ببطن الأردن... [١].

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١١٤ .

٢ ـ أخرج السيد ابن طاوس في الملاحم والفتن، عن محمد بن الحنفية، قال: تخرج رايات سود لبني العباس. ثم تخرج من خراسان رايات أخرى سود، قلانسهم سود، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم، يهزمون أصحاب السُّفياني، حتى ينزلوا بيت المقدس[١].

وأخرج الحديث نفسه السيوطي في العرف الوردي، بسنده إلى محمد ابن الحنفية[٢] وأخرج السيد ابن طاوس في صفة شعيب بن صالح، بسنده عن نعيم، عن الحسن البصري، قال: يخرج بالري رجل ربعة، أسمر، مولى لبني تميم، كوسج، يقال له: شعيب بن صالح، في أربعة آلاف، ثيابهم بيض، ورايتهم سود، يكون مقدمة للمهدي، لا يلقاه أحد إلا قتله[٣].

٣ ـ ذكر ابن حجر الهيتمي في القول المختصر، من علامات خروج المهدي، قال: الرابعة: أنه يخرج قبله رايات سود لبني العباس، ثم أخرى من خراسان، قلانسهم سود، وثيابهم بيض، يقدمهم شعيب بن صالح التميمي، يهزمون أصحاب السُّفياني، حتى ينزل بيت المقدس[٤].

٤ ـ اخرج السيد ابن طاوس في الملاحم والفتن، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، ويأتي من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السُّفياني، فيهزمهم[٥].

٥ ـ وأخرج السيد ابن طاوس، بسنده عن عمرو بن مرة الجهني،

---

(١) الملاحم والفتن: ٣٧ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠، نقلاً عن العرف الوردي: ٢ ـ ٦٦ .

(٣) الملاحم والفتن: ٣٨ .

(٤) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٥٨ .

(٥) الملاحم والفتن: ٣٨ .

صاحب رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: لَتخرُجَنَّ من خراسان راية سوداء، حتى تربط خيولها بالزيتون الذي بين (بيت لاهيا) و(خرستا). قلنا: ما نرى بين هاتين زيتونة، قال :

سيصير بينهما زيتون، حتى تنزلها تلك الراية، فتربط خيولها بها[1].

إنَّ الأحاديث السابقة تشير بوضوح إلى جيش الإمام المهدي الذي يتوجه إلى بلاد الشام من ناحية الحدود العراقية الأردنية، لمواجهة جيوش الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، ويكون علىٰ رأسه السيد الخراساني القادم من إيران، وتكون قيادته العسكرية للرجل الذي رُمِزَ إليه باسم شعيب ابن صالح.

الجيش الإسلامي يحتشد في مواجهة جيوش العالم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وينتشر حول بحيرة طبرية من شمال شرق البحيرة إلى جنوبها. قيادة الجيش الإسلامي بيد الإمام المهدي، وقيادات الألوية والكتائب بيد رجال قلوبهم أشد صلابة من زُبُر الحديد. عزمهم يفلُّ الجبال العاتية. غضبهم لأجل الله، وحقدهم وكرههم للولايات المتحدة الأمريكية، والمتحالفين معها، لأجل الله والمستضعفين من النساء والولدان.

الإمام المهدي قائد الجيش الإسلامي يقف في قلب الجيش، وجبرائيل علىٰ مقدمته، وميكائيل علىٰ ساقته، والملائكة حافين به، وهو ينظر إلى الجموع المحتشدة لحربه بعينين مملوءتين بلهيب غضب الله الجبار علىٰ الظالمين، وكله عزم وتصميم علىٰ تطهير الأرض من كل الطواغيت والظالمين والمفسدين. إن أحسن وصف لمشهد الإمام المهدي قُبيل المعركة ما جاء في سفر الرؤيا :

ثم رأيتُ السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض، يُسمَّى راكبه (الصادق

---

(١) المصدر السابق: ٣٩ .

الأمين) الذي يقضي ويحارب بالعدل.

عيناه كلهيب نار،

وعلى رأسه أكاليل كثيرة،

وله اسم مكتوب، ليس أحد يعرفه إلا هو،

وكان يرتدي ثوباً مغمَّساً بالدم،[1].

أما اسمه فهو كلمة الله[2]، وكان الأجناد يتبعونه راكبين خيولاً بيضاء، ولابسين كتاناً نقياً، ناصع البياض[3]، وكان يخرج من فمه سيف حاد، ليضرب به الأمم، ويحكمهم بعصا من حديد، وهو يدوسهم في معصرة غضب الله القدير علىٰ كل شيء[4].

الجميع يعلم أن المعركة رهيبة جداً، ولكن المؤمنين يعلمون أنها معركة غضب الله علىٰ إمبراطورية الشيطان، التي تجسَّد فيها خلاصة الظلم، وخلاصة الشر والفساد في الأرض. إنها معركة غضب الله علىٰ كل الظالمين والطواغيت في الأرض المحتشدين في وادي مجيدو بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي أرادت أن تكون جباراً في الأرض، وأن تنازع الله عزَّ وجلَّ جبروته وكبرياءه. إنها معركة جبروت الله علىٰ الجبابرة والظالمين، ومعركة كبرياء الله علىٰ المستكبرين.

يقول يوحنا في وصف هذه المعركة :

ثم رأيتُ ملاكاً واقفاً في الشمس، ينادي الطيور الطائرة في وسط

---

(١) إشارة إلى قتله أعداء الله والإنسانية بلا رحمة.

(٢) أي (بقيَّة الله) . قال تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون﴾: الزخرف: الآية: ٢٨ .

(٣) إشارة إلى الملائكة الحافين به.

(٤) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٩: ١٧ ـ ١٨ .

السماء بصوت عالٍ: هلمّي، اجتمعي معاً إلى وليمة الله الكبرى! تعالي والتهمي لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول وفرسانها، ولحوم البشر جميعاً من أحرار وعبيد، وصغار وكبار[1].

وكما تقدّم من الحديث عن معركة قرقيسيا أنَّه يمكن أن تكون (قرقيسيا) في الروايات الإسلامية هي (هرمجدون) في سفر الرؤيا، فيجوز أن يعنيها الإمام الباقر عليه السلام بقوله: إنها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض. ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض.. مأدبة للطير، تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء[2].

---

(١) المصدر السابق، الرؤيا: ١٩: ١٧ ـ ١٨ .

(٢) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٨٦ .

وبدأت المعركة

يوم وادي مجيدو قد لاح فجره. وهاهي معركة هرمجدون قد بدأت.. الأرض تتزلزل.. الجبال تندك.. الجدران تتحطم.. الآليات من دبابات وناقلات جند ومدرعات تذوب بفعل النار العظيمة... جلود الجند تذوب وهم واقفون.. أصوات انفجارات تهزُّ الدنيا، ويسمعها سكان المعمورة على بعد مئات الأميال.

ويصف سفر الرؤيا هذه المعركة: وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يسمَّى بالعبرية هرمجدون... فحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزال عنيف، لم تشهد الأرض له مثيلاً منذ وُجِدَ الإنسان على الأرض... [1].

وهناك رسالة فيما جاء في سفر الرؤيا بخصوص هرمجدون، وهذه الرسالة منسوبة إلى مليطون السرديسي، الذي كان يلقب بالفيلسوف، وكان من أبرع الكتاب القدماء الذين ينتمون إلى كنيسة آسيا الصغرى. وقيل إنها مفقودة، ولكنها موجودة في المكتبة القومية بإسطنبول، وهي شديدة التهالك، إلا أن فيها حديثاً واضحاً عن نبوءات نهاية الزمان. ومما جاء فيها في وصف معركة هرمجدون:

يوم معصرة الدماء بين الذين يعبدون الإله الواحد، ويرفضون الأوثان. والرب لا يحب عابد الوثن إن كان صنماً أو ملكاً.. والمسيح أنذر أن الرب يغضب على الذين جمعوا الجيوش والجند، وأشعلوا النار العظيمة، لتأكل

---

(١) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٦: ١٦ ـ ١٩ .

رجلاً اسمه: (الصادق الأمين) العابد لله، وله اسم كاسم نبي الحمد المشهور في كل السماوات. وهو أمين، ولو علىٰ حبة رمل.

وشرح لنا المسيح العزيز بالله أن مراكب كثيرة تأتي كطيور السماء من بعيد وقريب، تغلظ قلوبهم بدعوة الكذاب الذي يملك المدينة الصغيرة التي تحكم المدن الكبيرة، وهو يقول: إن المسيح ابن الله. والمسيح حقاً ابن الله، كما أنتم أبناء الله بالحب والسجود لله بقلوب لا تأثم.

والمسيح قال: الله يرسل ريحاً تكسر السفن، ويمنح العابد لله الصادق الإنجيلَ المكتومَ، ويفتح له ختمه. لكن لا يشرق نور في ظلمة قلوب لا تعرف مجد الله.

تتزعزع الجبال فوق ألوف ألوف ملؤوا كلَّ سهول ومرتفعات مجيدو، يريدون مدينة مقدّس الله، فتعجّ السماء عجيجاً، وتكسر أقواس الظالمين. والمركبات يحرقها الله بالنار، وينادي ملائكة الله: لتعلموا أنها قوة الله المتعالي بين الأمم، المتعالي في الأرض والسماء، الذي لا يهزم جنوده.

ويساق الجنود مثل الغنم إلى المذبح والهاوية، ويهبط عليهم رعب وزلزال، وتنسحق الأرض انسحاقاً، وتشقَّقُ شقاً، وتترنّح الأرض كالسكران، ويخجل القمر، وتخزى الشموع، ويصبح النهار كالليل ظلاماً من دخان وغبار وموت كثيف، ويأتي الليل بخوف وموت يسهر علىٰ أعداء الله بالاقتلاع والإهلاك.

ويبشّر المسيح أن العابد الصالح عند الله سيرى المسيح، ويكونان في جيش وجند معاً ضدَّ الكذاب الكبير، الذي يعلن الكذب، وأن المسيح والعابد يقهرانه، ليمضي مجد الله في الشعوب كلها والمسيح يقول: مبارك مجد الرب، وإن كل ما أراده الله سيحدث، وإنه سيهديه العابد الصالح سيف النصر ورمح قتل الدجال، هدية من محمود الله في السماوات والأرض كلها، وإن الرب لم يحب مثله منذ خلق السماوات والأرض. ومن يطيعه يحبه الله، ويقدّس اسمه. وهو مذخور فيه جميع كنوز الحكمة والعلم، ومعه كتاب فيه

كل الكتب. ابنه يملك أركان العالم، محبوباً لطفاً وتواضعاً وطول أناة، ولا يحابي الظالم.

قلتُ لكم: بأمر المسيح، لكي تثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله عندما يأتي المسيح مرة أخرى في زمن الفجور والشهوة التي تملأ العالم، ويأتي قبله العابد الصالح، مظهراً مجد الله، مطهّراً للشعوب من الإثم.

سلموا علىٰ الذين يحبوننا في الإيمان، ويفهمون منا الكلام، غير مناقضين، وغير مختلسين منه، بل مقدّمين كل أمانة صالحة، لكي تزينوا تعاليم الله. والنعمة مع جميعهم آمين.

ويصف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما يلحق بجيوش السُّفياني والجيوش المحتشدة معه في هرمجدون : . . . يخرج السُّفياني بخيله ورَجِلِهِ حتى ينزلوا بحيرة طبرية، فيسير إليه المهدي، لا يحدث في بلد حادثة إلا الأمن والإيمان والبشرى. . . والناس يلحقونهم من الآفاق، حتى يلحقوا السُّفياني علىٰ بحيرة طبرية. ويغضب الله تعالىٰ علىٰ السُّفياني وجيشه، ويغضب سائر خلقه عليهم، حتى الطير في السماء، فترميهم بأجنحتها، وإن الجبال ترميهم بصخورها. فتكون وقعة يُهلك الله عزَّ وجلَّ فيها جيش السُّفياني. فيمضي هارباً، فيأخذه رجل من الموالي اسمه صباح، فيأتي به إلى المهدي. . . [1].

وفي حديث لأمير المؤمنين علي عليه السلام: فيخرج السُّفياني بخيله ورجله، فينزل بحيرة طبرية. فيسير إليه المهدي. عن يمينه جبرائيل، وعن شماله ميكائيل، وعزرائيل أمامه، حتى يواقع السُّفياني علىٰ بحيرة طبرية، فيغضب الله علىٰ السُّفياني، فترشقهم الطير بأجنحتها، والجبال بصخورها، والملائكة بأصواتها. ولا تكون ساعة حتى يهلك الله أصحاب السُّفياني كلهم، ولا يبقى علىٰ الأرض غيره وحده، فيأخذه المهدي، فيذبحه تحت الشجرة التي

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ .

أغصانها مدلاة علىٰ بحيرة طبرية[1].

وجاء في مخطوط لعالم من المدينة المنورة، اسمه: كلَدَة بن زيد بن بركة المدني، كان يعيش في المدينة في القرن الثالث الهجري، واسم المخطوط: (أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك)، وهو محفوظ في بدار الكتبخانة بتركيا ـ الدار القومية بالعاصمة أنقرة، وتحت تصنيف: (٣٦٦٤ / تراث المدينة المنورة) :

وفي عقود الهجرة الألف وأربعمائة، واعقد اثنين أو ثلاثاً... يخرج المهدي الأمين، ويحارب كل الكون. يجمع له الضالون، والمغضوب عليهم، والذين مردوا علىٰ النفاق في بلاد الإسراء والمعراج، عند جبل مجدون. وتخرج له ملكة الدنيا والمكر، زانية اسمها أمريكا. تراود العالم يومئذٍ في الضلال والكفر. ويهود الدنيا يومئذٍ في أعلى عليين، يملكون كل القدس، والمدينة المقدسة. وكلُّ البلاد تأتي من البحر والجو إلا بلاد الثلج الرهيب، وبلاد الحر الرهيب. ويرى المهدي أن كل الدنيا عليه بالمكر السيّئ، ويرى الله أشدَّ مكراً، ويرى أن كلَّ كون الله له، إليه المرجع والمصير، وكلّ الدنيا شجرة له، أنْ يملكها له فرعاً وجذراً....[2]. فيرميهم الله بأكرب رمي، ويحرق عليهم الأرض والبحر والسماء، وتمطر السماء مطر السوء، ويلعن أهل الأرض كلّ كفار الأرض، ويأذن الله بزوال كل الكفر[3].

وجاء في مخطوط موجود عند ملك السويد كارل جوستاف السادس عشر، وكان قد اشتراه من مكتبة بإنجلترا، خاصة بأحد المفكرين الإنجليز، والمخطوط لعالم عربي اسمه: جاد المولى خير الدين الأمين، كان موجوداً في القرن الرابع الهجري :

---

(١) المصدر السابق: ٢ ـ ١١٣ .

(٢) مكان النقط مطموس في المخطوط.

(٣) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢١٦ .

صرخة في مكة ـ كرمها الله ـ تهزُّ الدنيا. والكرب العظيم يعمّ المدينة التي أسري بالنبيّ إليها... وكلٌّ حاشد جيوشاً، أخزى سرهم ابن الحسن المهدي الأمين[1] وجاء في المخطوط نفسه: حرب سرها في ستر. الجاني فيها سرُّه الشرُّ، وأكبر حلمه جبل المجدون، ولكن الشرَّ خاب وانقهر..[2]. رحاه دارت، فطحن الشرَّ. والمرام لا يكون ليهود. وملك الدنيا مهدي المسلمين ابن الحسن. وكل راية لجبار نزلت[3] إن النص السابق يشير إلى أن الحرب التي تجمع لها الولايات المتحدة الأمريكية لها دوافع وأهداف سرية، يُراد بها الشر للعالم، وتحقق حلم المتطرفين في الإدارة الأمريكية في استعجال هرمجدون، ولكن الله يردُّ كيدهم إلى نحورهم، ويجعل الشرَّ الذي أرادوه للبشرية يحيق بهم، ويدمرهم.

ونقل محمد عيسى داود نصاً من مخطوط قديم، كتبه أحد اليهود الربانيين، عن أحد أجداده الذي كان واحداً من السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام، واسمه: (شاس بن كربل بن أسير الرب السامر)، ونقله إلى العربية أحد اليهود بجزيرة العرب، اسمه: (أخطب بن آدسر)، والنص يكشف أن الحرب التي جمعت لها الولايات المتحدة الأمريكية، واليهود في إسرائيل والعالم لها دوافع وأهداف سرية يُراد بها الشر للبشرية، وهو كما يلي :

حرب دمار من بحرٍّ وبرٍّ، وحربٌ سرّ وسحر. سرها في جبار دجال حكم أسرة من نجوم، بحرها كان أشرَّ بحر، وبرها كان أشرَّ بر، ونساؤهم عُهر وسكر، ورجالها أشرار... أسرة من نجوم نأى بحرهم، حان سرها بخروج فتى البيت... [4]

---

(١) المصدر السابق: ٢٢٦ .

(٢) أثر شطب لكلمة، لعلّها (المهدي).

(٣) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٢٧ .

(٤) المصدر السابق: ٣٣٨ .

لغة هذا النص قديمة، وهي تتناغم مع لغة النص السابق. والحرب التي أشار النص إليها هي الحرب التي تجمع لها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق حالياً، باسم الحرب علىٰ الإرهاب، وتجمع لها في بلاد الشام ووادي مجيدو وقت خروج الإمام المهدي. وأهداف هذه الحرب ودوافعها سرية، وأهدافها المعلنة هي الحرب علىٰ الإرهاب. سرها (في جبار دجال حكم أسرة من نجوم). وهذا التعبير واضح في أنه يعني أنَّ سر هذه الحرب عند رئيس دولة تتألف من أسرة من نجوم. أي أنها تتألف من ولايات عديدة، يُرمَزُ لكل ولاية بنجمة.

إن هذه الدولة قد دنا وقتُ زوالها ودمارها علىٰ يد (فتى البيت)، أي الرجل الذي يخرج في بيت الله الحرام بمكة المكرمة. جاء في كتاب الجفر المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

يجمع الروم رايات غدر لولدنا المهدي، لكنَّ الله عزَّ وجلَّ راعيه، وهو يده التي يبطش بها. يستدرج الروم، مَنْ أساء منهم وخان الأمانة. ومَنْ أحسن أحسن الله إليه. يجازون بنياتهم. ويسلّط الله غضبه يوم وادي مجيدو علىٰ جمع مهزوم. يولون الدبر بعدما يعذبهم الله شهراً بالموت الأحمر، والموت الأسود. بأيديهم زرعوه، وبدمائهم رووه، فأكلهم وتتغير الأرض من دمائهم. طيور كالجبال ترمي بالنار، وبيوت من زبُر الحديد لها طاقات وثقوب ترمي قدر ميل ونصف ميل، وربع ميل. هم صنعوها، ويسلطها الله عليهم الملايين المحتشدة في هرمجدون يفرون من شدة النيران، ولكن لا مهربَ لهم، ولا منجى لهم، لأن البحر أمامهم، وجيوش المهدي خلفهم، تُبادُ جيوش الولايات المتحدة الأمريكية عن آخرها، ولا ينجو منها أحد، ويُباد ثُلثا جيش إسرائيل، كما ورد في زكريا :

يقول الرب: فيفنى ثلثا شعب أرضي، ويبقى ثلثهم حيًّا[1]. وتُباد

---

(١) العهد القديم، سفر زكريا: ١٣: ٨ .

الجيوش الباقية عن آخرها. إنها معصرة الرب القدير على كل شيء. وتتكدّس ملايين الجثث في بحيرة طبرية، وحولها، وعلى طول وادي مجيدو، في منظر رهيب، لم يشهد العالم له مثيلاً، منذُ أن خلق الله الإنسان على الأرض. ويُلقى القبض على رئيس الجيوش الأمريكية، وعلى تابعه اليهودي، رئيس إسرائيل. وهذا هو مصداق قول أمير المؤمنين علي: فيغضب الله على السُّفياني... حتى يهلك الله أصحاب السُّفياني كلهم، ولا يبقى على الأرض غيره وحده، فيأخذه المهدي، فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلاة على بحيرة طبرية. وهو مصداق ما جاء في سفر الرؤيا: ... ورأيتُ الوحش وملوك الأرض وجيوشهم، وقد احتشدوا ليحاربوا الفارس وجيشه. فقُبِضَ على الوحش، وعلى النبي الكذاب الذي قام بالمعجزات في حضور الوحش، وأضلَّ بها الذين قبلوا إشارة الوحش، وسجدوا لتمثاله. وطُرِحَ كلاهما في بحيرة النار والكبريت المتّقدة. وقتل السيف الخارج من فم الفارس جميع الباقين. وشبعت الطيور كلها من لحومهم[1] وفي نهاية المعركة تبشّر الملائكة بهزيمة الظالمين، وسقوط أمريكا أمّ الظلم والفساد في الأرض... وتبدأ الملائكة بالترانيم:

هلّلويا.. الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، فإن أحكامه حقٌّ وعدلٌ، لأنه عاقب الزانية الكبرى التي أفسدت الأرض، وانتقم لدم عبيده منها...[2]

وبعد هذا النصر الذي تحقق للإمام المهدي وجيشه، ومجّدته الملائكة يندفع المسلمون في كلّ ناحية من كيان دولة إسرائيل التي اغتصبت فلسطين، وظلمت أهلها، وسفكت دماءهم، أطفالاً ونساءً وشيوخاً ورجالاً، وأفسدت

---

(١) العهد الجديد، سفر الرؤيا: ١٩: ١٩ ـ ٢١.

(٢) المصدر السابق، الرؤيا: ١٩: ١ ـ ٢.

في الأرض، وصنعت المعجزات لتمكين أمريكا من إقامة إمبراطورية الشر في الأرض.

ويدمّر المسلمون كلّ شيء يصلون إليه، عائد إلى كيان إسرائيل، ويحيلونه إلى فتاتٍ يشبه برادة الحديد. ويتحقق وعد الله في قوله: وليُتَبِّروا ما عَلَوا تَتْبيراً. ولا يبقى شيء يحتمي به إسرائيلي، فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: . . . فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به اليهود إلا أنطق الله ذلك الشيء، فيقول: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلاّ الغرقد فإنه شجرهم[1].

القدس تحررت قبل المعركة، والآن فلسطين كلها قد تحررت. مآذنها كلها تنطلق بالتكبير والتهليل، معلنة نهاية الظلم والطغيان والجبروت. . . وها هو الإمام المهدي يتوجه إلى القدس في موكب جليل مهيب. التكبير والتهليل والتحميد يسبقه، وينطلق حواليه.

ويتوجه الإمام إلى المسجد لإقامة صلاة الفجر فيه. إنها أول صلاة يقيمها حفيد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أُسريَ برسول الله ﷺ إليه من المسجد الحرام.

إن هذه الصلاة صلاة تاريخية، ولاشكَّ أن المسجد يكون ممتلئاً بالآلاف من المصلين وشوارع القدس وساحاتها تكون ممتلئة بمئات الآلاف من المصلين رجالاً ونساءً. . إنها صلاة مليونية. ويتابع هذه الصلاة المليونية التاريخية ملايين البشر في العالم عبر المحطات الفضائية. وكل إنسان من المصلين والمتابعين لا تفارق شفتيه ابتسامة الفرح والسرور.

وينطلق صوت المؤذّن بالأذان، يشقُّ عنان السماء، والملايين تردد خلفه، فتملأ أصواتهم جنبات القدس الشريفة. . الله اكبر. . أشهد ألاّ إله إلاّ

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢ ـ ٢٢١ .

الله.. أشهد أن محمداً رسول الله...

ويُقامُ للصلاة.. فيتقدّم الإمام المهدي ليُكبِّر.. وإذا بمشهد تنخلع له القلوب، وتتجمَّد لأجله العيون في محاجرها..

ويتسمَّرُ الناس في مواضعهم.. وتنفتحُ أفواههم بالكلام، ولكن الكلمات لا تخرج لهول المشهد.. ويقف لأجله شعر أجسادهم.. وتنحبس أنفاسهم لحظات.

ها هو نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء في موكب من الملائكة.. إنه يوم المعجزات.. وأيُّ معجزة أكبر من هذه..

ويتقدّم نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، وشعر رأسه الأسود يلتمع بالزيت، وكأنما يقطر منه الماء.. يتقدم في خطوات معدودات نحو وليّ الله وحجته في أرضه، المهدي عليه السلام.. وكل خطوة يخطوها عيسى المسيح يكبِّر جموع المصلين هاتفين: الله أكبر..

ويستقبله حفيد رسول الله محمد ﷺ بالسلام، ويقول له: تقدَّم، صلِّ بالناس..

يقول عيسى المسيح: إنما أُقيمت الصلاة لك... إن بعضكم علىٰ بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة..

ويصلّي الإمام المهدي بالناس إماماً.. ويصلي نبي الله عيسى إلى يمينه مأموماً..

إقامة ملكوت الله في الأرض

وبعد هذا الحدث العظيم ينطلق الإمام المهدي عليه السلام وعيسى ابن مريم عليه السلام لإقامة ملكوت الله تعالىٰ في الأرض كلها. جاء في كتاب الجفر المنسوب للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

فتنحدر رؤوس أقوام للمهدي من كل بلاد الروم. ويقرأ عليهم كلام وحي الله إلى عيسى عليه السلام من صحائف خبيئة في خزانة، يهدي الله مهديه إليها دون هادٍ من الإنس أو الجن فتكون ليلة الإسلام والإيمان تروي خبرها كلّ بلاد الله في الأرض. يرون المهدي وجداله بالحسنى أهل الكتاب في ساعة واحدة، فيدخل ألوف ألوف في دين الله أفواجاً. ولا يبقى علىٰ الناقوس إلا مَنْ كبس عليه الكابوس. يُشرب الله حبه القلوب، فلولا الصلاة ما وقف عن خطاب الناس، حتى وراء الجبال والبحار. يراهم ويرونه، كأنه لا مانع بينهم.

ويتوجه إلى الآفاق. لا يتجبّر جبار علىٰ قوم إلاّ هلك علىٰ يديه، ولا تكون مدينة وَطِئها ـ ورب محمد ـ عبدُه ذو القرنين إلا وطئها المهدي، بعزّ عزيز، وذلّ ذليل.

ويشفي الله عزَّ وجلَّ قلوب أهل الإسلام، فيتعلمون من أسرار القرآن وأنوار الحروف ما يبني مدناً من علوم لا تعلمونها، كان يظنُّ أهل أورب[1] أن فيهم العلم، فيندمون علىٰ ما فاتهم، ويسجدون لله عزَّ وجلَّ بالتوبة عمّا حاربوا المهدي عليه، فمنعوا أولادهم نور الحق زمناً.

---

(١) هكذا وردت، وتعني: أوربا.

ويبعث الله المهدي إلى أمرائه بسائر الأمصار والبلاد بالقرآن، وخُلُق سيد ولد آدم محمدﷺ، وبالعدل بين الناس، مَنْ آمن منهم. ومَنْ كفر ما سالم وعاهد، حتى ترعى الشاة والذئب في مكانٍ واحدٍ. فورب محمدﷺ إن الصبيَّ ليلعب بالحيّة والعقرب، لا تضرهم بشيء. ويذهب الشرُّ، ويبقى الخير، ويزرع الإنسان مداً، فيخرج له سبعة أمداد، والله أكبر وأكثر خيراً، واقرؤوا إن شئتم: كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

ويقبل الناس علىٰ الدين، والتعبّد، وصلاة الجماعة. وتطول الأعمار بالبركة، وتؤدّى الأمانة، وتحمل الأشجار ضعف حملها، وتبقى الأخيار، وتُنبَذُ الأشرار، وتحب الناس كلّ آل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. فوالله الذي بعث محمداًﷺ بالحق، بنا يفتح الله الدنيا بالإسلام، حتى لا يبقى حجر إلاّ سجد لله، فما تقولون في عقول تعقل؟! فوالله الذي لا إله إلاّ هو، بنا يختم الله، وبنا يمحو الله ما يشاء، وبنا يثبت، وبنا يدفع الله عن كلّ بني آدم الزِّمان والكَلَب، وبنا ينزل الغيث، فلا تهجروا وليَّ الله، فإنه يحمل ثقل الجبال علىٰ كتفه، وليبلغنَّ دينُ سيدنا محمدﷺ ما يلج الليل والنهار، ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين.

ويستطيع الإمام المهدي ونبي الله عيسى ابن مريم أن يقيما دولة الحق والعدل في الأرض كلها، بالدعوة الحسنة، أو بالحرب لمَنْ يمتنع عن قبولها. ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، حتى لا يبقى أحد في الأرض إلاّ وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وجاء في كتاب الجفر أيضاً :

يركب المهدي الهواء، لا بسحر، ولا بفتنة عين، بل بعلم يعرفه ممن سبقوه، فيعمل منه أمثال الجبال تسبح في بحر السماء. ويرقى في أسباب السماوات والأرضين، ويعرف من الله ما لا يعلمه أحد من كل أهل الأرض

في أيامه. ولا تمرُّ أيام الله حتى يقطع كل الأرض من أعلاها وتحتها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وحوضاً بحوض.

وتؤمن بالله ورسولهﷺ أمم أراضٍ واسعة، هاجرت إليها خلائق كثيرة، في بلد كنيسة المسيحيين ليس بعيداً عن مجمع البحرين العظيمين المحيطين بالأرض. وتعظم راية المهدي عالياً في أرض تسمى أرض (الأوك)، أهلها أعاجم فيهم خير، يقرؤون الكتاب، تشطر بلدهم جبال عظيمة. يرقى المهدي أسبابها، ويفتح كل الجزائر الكبيرة والصغيرة في بحريها، وهي فوق المئات.

ويقوم أطيب عترتنا، وأبرّ ذريتنا في بلد الزلزال الذي يستيقظ قروناً، ولا ينام إلا في زمن ولي آل البيت، فيعرف أكثرهم فضله، بسبب صحف عدله. وجوههم كالمجان المطرقة. ومثلهم بلاد الصين البعيدة، وبلاد وراء البحر الأصفر، اسمها كاسم ملكها (كوريو). ترى الظلم أهوالاً وزماناً. وهان نهرها الرجل الصنم المعبود من دون الله. يتعلمون الإسلام في جزيرتكم هذه قبل قيام ولينا بزمن ليس كبيراً. لكن أكثرهم يركبون ركب المسيخ الدجال إلا مَنْ رحمه الله. ويغري الدجال بالخبز والذهب مَنْ ليس عنده حكمة من بلاد الحكمة، كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يزرعون أرزاً وحباً...

ويغزو الهند والتبت، ويعيد بالعدل حق رجال اسمهم (خام با) أهلكهم الوثن بالقتل والظلم. ويخاطب بالحق بلاداً تقول: ما يهلكنا إلا الدهر، اسمهم كلمتان (فان نان)، ومثلهم شعب اسمه (تاي) يسبق المهدي إليه مسلمون كثيرون، لكن الشعب يعبد صنماً مثل (ذي الخلصة)، ثلاثة حروف مثل هبل. والنصف الأسفل من هذا البلد يرفع راية الإسلام قبل المهدي بزمان، لكنهم مستضعفون في الأرض، يرون موتاً وذبحاً وهولاً، حتى يخرج إليهم وليّ الله، فيكونون جنوداً يحبون الحق، ويحبهم الحق.

وينقذ المهدي من القتل والظلم مستضعفين آخرين، يوحدون الله،

لكنهم فقراء كأهل الصُفَّة، في بلاد عندها جبل كبير مثل حرف (شين)، ومن ظلم عُبّاد الوثن والاكاذبين على الله..

وترسو مراكب.. وأقرب سفينة قبل المهدي عند أرض نخيل ومياه وتلال، اسمها (سنغافور). يركب لها المهدي جباله الطائرة، وأهلها طيّبون هادئون، يحبون السلام، ويرونه حقاً في الإسلام.

ويعزّ الله بالمهدي مستضعفين كثيرين في أرض السند والهند، ذبحهم قاتل اسمه (ابن سنك). وقد سبقه الدين منصوراً، بصوت طائر، غرَّد لهم بالقرآن.

وينال بعث المهدي أهل نيبال بين ثنايا أوعر الجبال، فلا يبقى سهل ولا جبل، ولا وادٍ ولا حَزَن... إلا وللمهدي لها بعوث أو سبح وضيافة. فمن صدّق سلم وغنم، ومن كذبه جادله بأعذب الحجة والكلمة، فلا يأبى إلا رجل سيسمع ابن مريم، أو عبد حقت عليه الكلمة، فلا ربح دنيا، ولا في الآخرة سلم .

ومن عجيب ما جاء في كتاب الجفر المنسوب للإمام علي عليه السلام النص التالي:

... معشر آل البيت، إني أبيّن لكم وأفهمكم. يبعث الله مهدينا عدواً لمَنْ ذمه الله ولعنه. ألا إنه المنتقم من الظالمين، فاتح الحصون، وغالب كل قبيلة من أهل الشرك، وهاديها لدين الله، ولا غالب له، ولا منصور عليه، فافهموا. إنه سديد، مشيّد لأمر الله آياته. يزلزل الله له الأرض زلزالاً عظيماً، ويقذف باطنها ناراً، وترمي السماء شهباً وجبالاً ونحاساً وحديداً ويلٌ يومئذٍ للمكذبين بالجانب الغربي، من مشرق الإسلام. يرى أهل المغرب هولاً، وتسمع الجن والإنس قرقعة وصداماً تهتزّ له الدوائر، وتنحرف المحاور، وتخرج العذراء من خدرها، ويبكي الجنين في جوف أمه، وتُصمّ أسماعها، وتنشق طبولها، وتحتشد نساؤها، وتهرب رجالها، فقد أعذر الله الأرض إعذارها، وأنذرها إنذارها....

هنالك يخنس المجادل الكذاب، ويتحير أولو الألباب، فلا تشكّوا ولا تجحدوا، فقد جاءكم الفرج. يمحو الله بالمهدي كل الهرج والمرج. ومن بايع فإنما يبايع الله. تراه الأرض في كل زواياها في وقتٍ واحدٍ، ليلاً أو نهاراً. وتُطوى له الأرض ولأصحابه. يرفع الله له كل منخفض من الأرض، ويخفض له كل مرتفع، حتى النملة في جحرها تعلم أنه جاء زمن وليّ الله.

وما يكون من باب مغلق إلا يفتحه الله للمهدي، ولو كانت وراء الباب بحار وأنهار وجيوش وقعاقع سلاح. لا تعرفون مثله اليوم. أترون النسر والصقر والبوم وكلّ الطير؟ مثلها وبأسمائها. تقذف السحاب ناراً وأهوالاً. وما كان من سحاب صعب، فيه رعد وبرق فصاحبكم المهدي يركبه. يُعلّمه الله فوق ما تعلمه الذي عنده علم من الكتاب.

ويكذب الكذاب في الكتاب، ودعاوى رؤوس علىٰ أبواب جهنم. وكلام كثير يسمعه الناس في كل مكان، ويرون المتكلم به.

وقائل يقول: العالم الجديد، وما هو بجديد. وَداعٌ من الأرض يقال له الجديدة، وما هي بجديدة، لكنها قديمة، سكنها أصحاب الوجوه الحمراء، واسم الرجل منهم: أحمر. يعرفهم بعوثٌ، يسلم ملوكهم لله. يعبرون بحر الظلمات، ويزرعون الشجرة الطيبة التي يحرق فروعها المسيح الدجال، ولا يقلع جذورها، ولكن يحارب من الأرض العظيمة كلَّ بذور غرسها صالحون إلا ما شاء الله... وإن الأمر لله جميعاً، لكنه جلَّ جلاله يضلّ مَنْ يشاء، فيَعْلَمُ أقواماً، لا يتأثّم أحدهم من الذنب، ولا يتحرّج من لمس العورة، وعمل صنم لها. يسيرون وراء كذاب إسرائيل، ويكون منهم أئمة الضلالة، والدعاة إلى جهنم. يركب مركبهم ملوك وأمراء، جعلوهم حكاماً علىٰ رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، والله لو شئتُ لسميتهم بأسمائهم...

ولا تتفرق الأرض الجديدة، وما هي بجديدة، إنما تعتصم بالمسيح ابن مريم، لتنتظره. ويكذبون علىٰ الله، فما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من

إله. ولكنّ الكذاب الدجال يدجّل تدجيلاً، ويزيّن القواطع الخمسين بزهرة الحياة الدنيا، ويربط المدائن الخمسين بحبل بني إسرائيل. يبغي الفساد في الأرض وعلوّاً للظالمين. ويسمونها: (بلاد الأمارك)، ويكون قائدها مع بني إسحاق وبني إسرائيل. يجمع أمشاج الناس علىٰ لغتهم، ويدعوهم بدعوتهم.

وتتمّ ببلاد الأمارك الفتنة، بعدما نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم الدنيا جداول نعمتها، ورتع إبليس في مدائنها وأزقتها، وشعّب شعابها، وهتك عرضها. ويظهر عندهم دين إبليس، شهوات وغرور... فيصبحون في النعمة غارقين، وفي خضرة عيشها فكهين، بعلومهم فرحين، قد تربعت الأمور لهم في ظلّ سلطان خبيث، وآوتهم الحال إلى كنف غير غالب، للدنيا فقط مطالب، راغب لا ذاهب. فهم حكام علىٰ أطراف الأرض، يعرفون ما يجري فيها في مسارات الطول والعرض، وتكون لهم عيون تتلصص من فوق السحاب، وجوارٍ بالبحار كالأعلام. يخزنون النار بهيئة ماء وتراب، تنشر نشراً، وترمي كالقصر لهباً، وتفرق الأمر فرقاً، وتطمس الخير طمساً. فتنة وقدراً، تهلك بشراً، وتهدد غضباً المستضعفين في الأرض، غير مسلم، أو مسلم حقاً.

ويجعل الله حجته علىٰ بلاد الأمريك، فيلعنهم بما عصوا وكانوا يعتدون، ولا عن منكر يتناهون، وفي الأرض يفرحون. عتوا وغلوا، ولا ينتهون. وتعلو إسرائيل برجال منهم يملكون العرش الأبيض، يبغون الفساد في الأرض. منهم الأشدّ بغياً علىٰ مَنْ يقول: محمد رسول الله ﷺ....

وينزل المهدي في بلاد الأمريك من فوق السحاب في بضع قباب من نور الشمس، لها نور في الظلام كالقمر والنجوم. ويهدُّ الله بلاد الأمريك هدًّا، وخسفاً. تأكل الأرض في جوفها، والطوفان في أمواهها بلاداً وشعوباً، الجديد اسم كثير عندهم، ويبقى منهم جديد وجديد وجُدد، عبرةً لمن يصنع الكذب...

ويسير الرعب بين يدي مهدينا، لا يلقاه عدو إلا هزمهم بإذن الله، فتخرج إليه أربعون راية من أربعين والٍ، قلوبهم محشوة إيماناً حشو الرمانة من الحب، ينشدون العدل والصدق، فيدفعون له الولاية، وينصرهم الله علىٰ من عاداهم. فيملك الأرض الأم كلها، وما بعدها ألف ميل، وفي جبال عظيمة الثلوج، وابنها التائه في قلب الماء، كلقمة الخبز المحبوبة...

ويسبق منادي السماء بالمهدي قوم من مصر ومن بيت المقدس، يرفعون منارة في أرض واسعة الخير، كأنها النهر في الجود، اسمها حروف قبيلة كندة. فيها كنوز عظيمة مثل كنوز بلاد الأمريك. أرضها مقطّعة مثل قواطع بلاد الأمريك. في كلّ اتجاه تذهب بعدما يحاربون المهدي في مجدون، ولا يذهب عنهم الروع إلا بعد الفتح من رجال آل محمدﷺ.

وعند قوم يقال لهم (الأزتك) يكون للمهدي رايات هدى. ويغدو إلى الوادي المالح.... ويكون له بعوث هدى ونور إلى جيرانهم في جبال البركان، وفي الشاطئ الغني. ويعرفه كل شعوب وقبائل الجزائر الكثيرة في بحر كبير بين البحرين المحيطين عند بلاد الأمريك الذين يعبدون العذراء، وكنوزهم عذراء، لكن أخلاقهم تعصي البتول.

ولا تمضي ساعات الليل والنهار حتى يشرق أمر الله في جزائر كثيرة، وناس كثيرة... ولا غالب لأمر الله عند قوم لهم نهر عظيم اسمه أمزون، يدعو للحق فيها مغاليس. والظلم يفتن دهراً، ينشر في أرضهم فقراً، ولا يعلو لهم اسم إلا باللعبة السارحة، يمرح رجالها خلف مثل أضعاف بيضة نعامة، كرة من جلود، ينصبون لأجلها الرايات، ويعزفون المعازف، ويرقصون رقص الأحباش... ويكون القوم هؤلاء أصحاب بواكي ومصائب، يدفعها الله ببيعتهم لولي الله الذي يعزّه الله في أرض الإسراء، وفي أرض الاستواء، وأرض مثل الآنك، والأرض التي لا ساحل لها، وهي أرض النهر المزدان، وبلاد نهر الفضة، وكل جيرانهم بالله يؤمنون. ولو كان رجل في

جحر ضب لهبط عليه المهدي بقلاع من نور، يحمل لهم النور. وكأني أرى كل أرض الله تعبد الله، ولله هم مسلمون...

وهكذا يمكن الله تعالىٰ لوليه المهدي مشارق الأرض ومغاربها. جاء في مخطوط كتبه العلامة المناوي بن عرفة، المكنى بـ(ابن السر الأمين)، وهو موجود في دار المخطوطات الكبرى ببغداد :

وكل المشرق والمغرب يخضع للمهدي، والله ينصره علىٰ البلاد التي رايتها ورقة من شجرة وشلال، وينصره علىٰ البلاد التي رايتها نجوم تحرس اليهود، والبلاد التي رايتها الكأس والرأس، والبلاد التي رايتها أدكن من السواد، سلّمت له بلا قتال، والبلاد التي رايتها سرّ وأمر، تسلم للمهدي راياتها، وبلاد راياتها سلام وصليب، مسالمون، العرب لم يقولوا لهم شيئاً عن القرآن، وبلاد راياتها الصلبان، فوقها علامة رفض ومحو بشري لمن استبشر والبلاد التي راياتها دب وشعر، المهدي يروحها أمره بعد أن تفتّت ملكها، والمهدي يملكها أذلّ بلاد. وله فيها جند كالأسود والحديد، يعزّ الله بهم الإسلام، والبلاد التي راياتها الكرة الحمراء، والشمس الصفراء، والأسد الأشر من الحمى، تكون بلاد الدجال، والمهدي يملكها بالحرب، وله فيها مسلمون... [1].

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا، رسوله محمد، وعلى آله وصحبه. اللهمّ اجعلنا من أنصار وليّك وحجتك المهدي ابن الحسن العسكري، ولا تستبدل بنا غيرنا... آمين رب العالمين.

---

(١) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أئمَّتنا، علي محمد علي دخيل، دار مكتبة الإمام الرضا ـ دار المرتضى، بيروت

٣ ـ إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، الشيخ أحمد بن محمد ابن الصديق الشافعي المغربي، مطبوع ضمن موسوعة الإمام المهدي عند أهل السنة

٤ ـ الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي الشافعي

٥ ـ الاحتجاج، الشيخ الطبرسي

٦ ـ أخبار الدول وآثار الأول، أحمد بن يوسف أبو العباس القرماني الحنفي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع

٧- الاختصاص، الشيخ المفيد

٨- الإرشاد، الشيخ المفيد

٩ ـ إسعاف الراغبين، الشيخ محمد علي الصبان، مطبوع بهامش نور الأبصار

١٠ ـ أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب، محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي، هذبه وعلّق عليه محمد باقر المحمودي، بيروت ١٩٨٣

١١ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي

١٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغَيْبة، وكشف الحيرة، محمد بن علي ابن بابويه (الصدوق)

١٣ ـ الإمامة والتبصرة، علي بن بابويه القمي

١٤ ـ بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٥ ـ البداية والنهاية، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير

١٦ ـ البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي
١٧ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
١٨ ـ تاريخ بغداد، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
١٩ ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر
٢٠ ـ تاريخ دول الإسلام، الذهبي
٢١ ـ تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي الحنبلي، دار العلوم للتحقيق والنشر والتوزيع
٢٢ ـ التشريف بالمنن في التعريف بالفتن، السيد ابن طاوس، مؤسسة صاحب الأمر، أصفهان
٢٣ ـ تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة
٢٤ ـ تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية
٢٥ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت
٢٦ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ جمال الدين المزّي
٢٧ ـ الجامع الصغير، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي
٢٨ ـ الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي
٢٩ ـ الحروب المقدسة، ياسر حسين ومحمد بسيوني، دار البروج، القاهرة
٣٠ ـ الدرر البهية في الأنساب الحيدرية والأويسية، طبع حلب ـ سوريا ١٤٠٥ هـ
٣١ ـ دفاع عن الكافي، ثامر العميدي
٣٢ ـ دلائل الصدق، الشيخ محمد حسن المظفر
٣٣ ـ رؤيا يوحنّا اللاهوتي، الأنبا موسى، مكتبة أسقفيّة الشباب، القاهرة
٣٤ ـ روضة الكافي، الكليني
٣٥ ـ روضة الألباب لمعرفة الأنساب، أبو الحسن محمد الصنعاني

٣٦ ـ السُّفياني وعلامات الظهور، محمد فقيه، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
٣٧ ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين السويدي
٣٨ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة
٣٩ ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت
٤٠ ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو داود
٤١ ـ سنن أبي عمرو الداني
٤٢ ـ سنن البيهقي
٤٣ ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي
٤٤ ـ شبهات وردود، السيد سامي البدري، مطبعة الهادي
٤٥ ـ شرح العقيدة الطحاوية، سفر بن عبد الرحمن الحوالي
٤٦ ـ شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني
٤٧ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد
٤٨ ـ صحيح البخاري، كتاب الفتن، محمد بن إسماعيل البخاري
٤٩ ـ صحيح مسلم، كتاب الفتن، مسلم بن الحجاج النيسابوري
٥٠ ـ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي
٥١ ـ العِبَر في خَبر من غبر، الذهبي
٥٢ ـ عصر الظهور، الشيخ الكوراني، دار الهدى للطباعة والنشر، قم
٥٣ ـ عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر، الشيخ يوسف بن يحيى المقدسي
٥٤ ـ العهد الجديد، الكتاب المقدس، القاهرة ١٩٨٨م
٥٥ ـ العهد القديم، الكتاب المقدس، القاهرة ١٩٨٨م
٥٦ ـ عيون الأخبار، ابن قتيبة

٥٧ ـ عون المعبود في شرح سنن أبي داود، شمس الحق العظيم أبادي
٥٨ ـ غرائب اللغة العربية روفائيل نخلة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠م
٥٩ ـ الغَيْبة، النعماني
٦٠ ـ الغَيْبة، الشيخ الطوسي
٦١ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني
٦٢ ـ الفتن، نعيم بن حماد
٦٣ ـ الفصول المهمة، ابن الصبّاغ المالكي، طبع النجف
٦٤ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام عبد الرؤوف المناوي
٦٥ ـ الكافي (الأصول)، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني
٦٦ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري
٦٧ ـ كنز العمال، المتقي الهندي
٦٨ ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي
٦٩ ـ لسان العرب، ابن منظور
٧٠ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي
٧١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي
٧٢ ـ محمد كما ورد في كتب اليهود والنصاري، عبد الأحد داود، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٢م
٧٣ ـ المحاسن والمساوئ، البيهقي، دار إحياء العلوم
٧٤ ـ مختصر سنن أبي داود، المنذري
٧٥ ـ المختصر، ابن عبد البر
٧٦ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمني اليافعي، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٢٨ هـ

٧٧ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت
٧٨ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل
٧٩ ـ مصابيح السنة، البغوي
٨٠ ـ المصنّف، ابن أبي شيبة، تحقيق مختار أحمد الندوي، بومباي ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م
٨١ ـ معجم الألفاظ الفارسية المعربة، أدّي شير، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٠م
٨٢ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي
٨٣ ـ المعجم الكبير، الطبراني
٨٤ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة
٨٥ ـ معركة هرمجدون بين النفي والإثبات في التوراة والإنجيل والقرآن، د. أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، القاهرة
٨٦ ـ المعيار والموازنة، الإسكافي، بيروت
٨٧ ـ مفاتيح الغيب، (تفسير الفخر الرازي)
٨٨ ـ الملاحم والفتن، ابن طاوس
٨٩ ـ المناقب، الموفق الخوارزمي
٩٠ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، الحافظ ابن القيم الجوزية
٩١ ـ المهدي الموعود المنتظر، الشيخ نجم الدين العسكري، مؤسسة الإمام المهدي، طهران ١٤٠٢ هـ
٩٢ ـ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، إصدار مركز الرسالة، قم ١٤١٧ هـ
٩٣ ـ المهدي المنتظر علىٰ الأبواب، محمد عيسى داود، دار المصطفى للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة ٢١
٩٤ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة

٩٥ ـ نور الأبصار، مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي الشافعي
٩٦ ـ نهج البلاغة، شرح محمد عبده
٩٧ ـ هل يشاهد جيلنا نهاية العالم، نخبة من خدام الإنجيل
٩٨ ـ هل ينتهي العالم عام ٢٠٠٠، د. سليمان المدني، المنارة، بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
٩٩ ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان
١٠٠ ـ ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، طبع اسلامبول
١٠١ ـ اليواقيت والجواهر، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة

فهرس

مقدّمة ٥

الباب الأول: مَنْ هُوَ السُّفْياني؟

الفصل الأول حقيقة السُّفياني ١٣
السُّفياني الأول ١٥
السُّفياني الآخِر ٢٣
الفصل الثاني السُّفياني في التراث الديني ٥١
السُّفياني في تراث أهل الكتاب ٥١
السُّفياني في العهد الجديد (الإنجيل) ٥٥
مَنْ يساعد الوحش على قيام سلطانه في الأرض؟ ٥٧
مَنْ هو الوحش الخارج من الأرض؟ ٥٧
السُّفيانيّ في تراث المسلمين ٦١
اسمه في النصوص الإسلامية ٦٢
نصوص تحدّد هوية السُّفياني الآخِر ٦٢

الباب الثاني: مَنْ هو المهدي؟

الفصل الأول حقيقة المهدي ٧٩
المهدي من وُلْدِ فاطمة عليها السلام ٧٩
المهدي من وُلْدِ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٨٠
المهدي في وظيفة الأئمة من ذرية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٨٢

الشهود علىٰ ولادته ٨٩
اعترافات علماء الأنساب بأن المهدي من وُلْد الحسن العسكري ٩٧
اعترافات علماء المسلمين السنَّة بأن المهدي من وُلْدِ الحسن العسكري ١٠٠
تصرُّف السلطة العباسية دليل علىٰ ولادته ووجوده ١١٣
العسكري؟ ١١٩
المهدي من وُلْد العباس ١١٩
المهدي من وُلْدِ الحسن بن علي بن أبي طالب ١٢٢
المهدي اسمه محمد بن عبد الله ١٢٧
الفصل الثالث أدلَّة مساعدة علىٰ كون المهدي هو محمد بن الحسن العسكري ١٣٣
الدليل الأول حديث الثَّقَلَيْنِ ١٣٥
الدليل الثاني حديث (مَنْ ماتَ ولم يعرفْ إمام زمانه) ١٣٩
الدليل الثالث حديث (إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة) ١٤١
الدليل الرابع أحاديث (الخلفاء اثنا عشر) ١٤٣
الدليل الخامس أحاديث الغَيْبة ١٥١
الفصل الرابع المهدي في التوراة والإنجيل ١٦٣
الفصل الخامس زمان ظهور المهدي ١٨٥
الأحداث والعلامات العامّة ١٨٩
الأحداث والعلامات الخاصة ٢٠١

الباب الثالث: خروج السُّفياني

الفصل الأول ظهور السُّفياني ٢٠٧
خروج السُّفياني ٢١٣
الفصل الثاني أفعال السُّفياني وقت خروجه ٢٢١
الفصل الثالث حركة السُّفياني إلى العراق ٢٢٧
السُّفياني يتوجّه بجيوشه إلى العراق ٢٢٩
السُّفياني يدخل البصرة باتجاه بغداد وبقيّة مدن العراق ٢٣٣

السُفياني يدخل بغداد ٢٣٩
السُفياني يدخل الكوفة ٢٤٥
حال أهل الكوفة حين دخول السفياني إلى ديارهم ٢٥١
السُفياني ينشر القتل والدمار في جميع أنحاء العراق ٢٥٥
ماذا يحلُّ بالعراق وأهله بعد احتلال السفياني للعراق؟ ٢٥٧
الفصل الرابع دور الشعوب الإسلامية والعربية فيما يجري في العراق ٢٦٥
ظواهر في الحياة اليومية للشعب العراقي في ظلّ الاحتلال الأمريكي ٢٦٥
الروايات التي أشارت إلى الشعب الإيراني ٢٦٩
الشعب اليمني ينتفض أيضاً ٢٧١
الفصل الخامس السُفياني يتوجه نحو الأقطار المجاورة للعراق ٢٧٥
لماذا تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدول؟ ٢٧٦
السُفياني يتوجه إلى سوريا ٢٧٩
السفياني يسيطر علىٰ كل بلاد الشام ٢٨٣
السُفياني يشنُّ حرباً علىٰ إيران ٢٨٥
السُفياني يحتل المدينة المنورة ٢٩١
ما يفعله جيش السُفياني بالمدينة المنورة ٣٠٧

الباب الرابع: ظهور المهدي وتحقيق الوعد الإلهي

الفصل الأول وصول المهدي إلى مكة المكرمة ٣١٣
الفصل الثاني الخسف بالجيش الذي يتوجه إلى مكة المكرمة ٣١٧
الفصل الثالث البيعة الخاصَّة ٣٢١
الإمام المهدي في منى ٣٢١
الأنصار يبايعونه بين الركن والمقام ٣٢٣
الفصل الرابع ساعة الصفر ٣٢٩
البيان الأول ٣٣٥
ماذا تفعل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها بعد هذا الحدث؟ ٣٣٩

الباب الخامس: المواجهة بين المهدي والسفياني

الفصل الأول تشكيل الجيش الإسلامي ٣٤٣
وصول الأنصار إلى مكة ٣٤٣
كمال العدد وبداية التحرّك ٣٤٧
تحرير المدينة المنورة ٣٤٩
الفصل الثاني العراقُ.. الخطوةُ الأولى في المواجهة ٣٥٣
أحداثٌ في العراق قبل وصول المهدي ٣٥٣
المهدي في العراق ٣٥٧
المواجهة الأولى ٣٥٩
الفصل الثالث الشام.. الخطوة الثانية في المواجهة ٣٦٥
التعبئة ٣٦٥
التوجُّه إلى الشام ٣٦٩
ما هي منطقة مجيدو؟ ٣٧٧
المواجهة الكبرى.. معركة سهل مجيدو ٣٩١
وبدأت المعركة ٣٩٧
إقامة ملكوت الله في الأرض ٤٠٧
المصادر والمراجع ٤١٥
الفهرس ٤٢١